الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة :سطيف2
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير
التخصص: النحو الوظيفي
إعداد الطالب: عبد المالك العايب

عنوان المذكرة:

أثــر الـربط المعجمي في اتّساق النص القرآني

سورتا الرّحمان والواقعة أنموذجاً

– دراسة لسانية وظيفية –

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
د.كمال قادري	أستاذ محاضر"أ"	جامعة سطيف"2"	رئـــــــــيساً
أ.د.عز الدين صحراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة بـــــاتنة	مشرفاً ومقرّراً
د.يوسف وسطاني	أستاذ محاضر"أ"	جامعة سطيف"2"	عضواً مناقشاً
د.عبد الكريم بورنان	أستاذ محاضر"أ"	جامعة بـــــاتنة	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية:2014/2013

UNIVERSITE SETIF2

شكر وعرفان

الشكر لله-عز وجل- أولاً و آخراً..

ثم الشكر موصول للأستاذ الفاضل رئيس المشروع الدكتور: كمال قادري،

على ما أولى به دفعة "النحو الوظيفي"من اهتمام خاص، وهو الذي كان سببا في منحنا فرصة تحقيق طموحاتنا..أسأل الله تعالى أن يُثيبه ويبارك في علمه وعمره.

كما أشكر الأستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور/عزّ الدين صحراوي، تقديراً له واحتراماً لمجهوداته، وما عاناه من أجل تقويم هذا العمل.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الخالص إلى أسرة كلية الأدب واللغات وقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة فرحات عباس، وإلى كل من قدم لي يد العون طيلة مسيرة هذا البحث وعلى رأسهم زوجتي زينه صالحي ، والأخ عبد الرحمان قشاشطة.

وختاما ...أشكر جميع الأساتذة المؤطّرين لدفعة "النحو الوظيفي".

مقـــــدمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

لقد توجّه البحث اللغوي في الآونة الأخيرة إلى دراسة النصوص بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل، تتخطى بذلك حدود الجملة إلى محيط النص، الذي أخذ يوما بعد يوم يلفت انتباه الباحثين، بعد أن أثبتت الدراسات السابقة قصور البحث عند حدود الجملة في الدراسات اللغوية؛ لأنّ البحث في الصلات القائمة بين النص في جانبيه اللفظي والمعنوي من أهم الجوانب التي تمكّن تتبعها في ضوء المنهج الوظيفي.

ويمكن أن أقف في هذا البحث على تلك الوشائج القائمة بين نظام اللغة في تراكيبها، أو مفرداتها أولاً، وبين ما تؤديه من معان وأغراض تتعلق بقصد المتكلم وفهم المتلقي ثانياً، الذي يختلف في تلقيه للنصوص تصديقاً أو تكذيباً، إنكاراً أو تردّداً، ممّا يستوجب من المتكلم صوغ كلامه وفق هذه الحالات العامة لتلقّي نصه، وهو ما يمكن تطبيقه على الربط المعجمي وأدواته كالتكرار والتضام(موضوع الدراسة)، الذي يُسهم بشكل كبير في اتّساق النصوص وتماسكها، ويُعد الربط المعجمي من أهم قضايا نحو النص، بوصفها الشرط الأساس للفصل بين كون كلام معينٍ نصاً أو لا نص. لذا تُعدّ الأطروحات التي تُعنى بتوصيف وسائل الاتصال اللساني من مميزات التطورات النصية بتحليلاتها النقدية المختلفة.

ولأنّ نجاح التواصل اللساني بوصفه الوظيفة الرئيسية للغة، يتوقف على نجاح النص في تعالق أجزائه وترابطها، وحسن توظيفه لظواهر الاتساق النصي. لذا فإنه قد وقع اختياري على الموضوع الموسوم بـ: **أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني** "سورتا الرحمان والواقعة أنموذجاً".

حيث أردت من خلاله طرح إشكالية الربط المعجمي ودوره في اتساق النصوص وتماسكها، على ضوء المنهج الوظيفي الذي يعنى بنحو النصوص،

وكذلك إلى الكشف عن وسائل ذلك الاتساق، من أجل الوصول إلى القواعد النصية التي استند عليها، وبيان العلاقة بين الوحدات المعجمية وقيمتها التعبيرية، والشكل الوظيفي الذي اتخذته تلك الوسائل في أدائها للوظائف المنوطة بها، وهي قضية جوهرية في النص القرآني، تطرح تساؤلات عديدة في ذهن القارئ، وعليه ألخّص إشكالات البحث في النقاط التالية:

-كيف تمّ الانتقال من محورية الجملة في الدراسة اللغوية إلى النص مركز الاهتمام؟

-ماذا نعني بالنص؟ وما حدوده؟

-ما أبرز الجهود العربية والغربية التي أسهمت في مجال الدراسات النصية وخطّت حدود اتساق النصوص؟ وماذا نعني بالاتساق؟ وما هي وسائله؟

-ماذا نعني بالربط المعجمي؟ وما دوره في اتساق النص؟

-ما وظيفة المستوى المعجمي في تحقيق الاتساق داخل نص سورتي الرحمان والواقعة؟

وفيما يخصّ المدونة فقد اخترتُ نماذج من القرآن الكريم بعدِّه وحدة لغوية معجزة البيان، وهو أوضح نص تتجلى فيه مظاهر الاتساق، يُساعد كثيراً في استجلاء قواعده ووسائله، فيكون بذلك معياراً لجدواها أو عدمه في أدائها لوظائفها اللغوية في أحوالها النحوية المختلفة تارةً، والمتشابهة تارةً أخرى، وهو النص الإلهي المعجز في لفظه ونظمه وبيانه.

ولاشكّ أنّ الباحث فيه يتعامل معه على أنه وحدة واحدة مترابطة، وتُعدّ سورتا **الرحمان** و**الواقعة** حقلاً لسانياً معجمياً خصباً لمختلف ظواهر الربط المعجمي، فالأولى تضمّ أنواع التَّكرار وبخاصةً الجُملي منه الذي يظهر في قوله تعالى :

﴿**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾. وقد تكرّرت إحدى وثلاثين مرّة، وهي نسبة كبيرة مقارنة بعدد آيات السورة البالغ ثمانية وسبعين آية ، أما الثانية فمبنيّة على تصوير مجموعة من المشاهد ابتداءً من أحوال يوم القيامة وأهوال الساعة وانقسام الناس إلى ثلاث طوائف،

ثم ما أعده الله لكل طائفة من الجزاء الذي يظهر التقابل فيه شديد بين أهل الجنة وأهل النار، كما أقامت الدلائل على وجود الله ووحدانيته في خلق الإنسان، وإخراج النبات، وإنزال الماء..ثم تُختم بشدائد وأهوال أيضاً، إنّهما بحق حقلاً خصباً لظواهر الاتساق.

وأحسب أنّ تحليل النصوص أيّاً كان نوعها لا يكون مُجدياً ما لم يقف الوقفة العلمية المركّزة على الجانب الافرادي(المعجمي) فيه، حرصاً منه على تجلية موقع اللفظ في دلالة النص، وكاشفاً عن نظامه البنائي التركيبي.

والمستوى الافرادي في النص يُمثّل الأساس القاعدي، وينعكس عليه المستوى التركيبي والدلالي المتأثران بوظيفته داخل السياق، وإذا كان التحليل اللساني للنصوص يُعدّ من أهم القضايا اللسانية المهمة، والتي شدّت انتباه واهتمام الباحثين في العلوم الإنسانية عامة والعلوم اللغوية والأدبية خاصة، فإنه تعيّن القول: "أنه لا تحليل إلا بمنهج"، لذا كان المنهج الوصفي الوظيفي المعتمد هو منهج التحليل النحوي لنص سورتي الرحمان والواقعة في هذه الدراسة، وهو وصفي لأنه يصف البنية اللغوية للنصوص أولاً، وهو وظيفي لأنه يكشف عن التناغم بين البنية وظروف إنتاجها ودلالتها.

أما عن دوافع اختياري هذا الموضوع هو تقديم قراءة نصية تطبيقية وفق المنهج اللساني الحديث، وهي محاولة تهدف إلى الاقتراب أكثر من النظرية النحوية التي تؤطر اللغة من منظور لساني معاصر، وإرساء نتائج الأبحاث التي سبقتني في هذا المجال، والتي أذكر من بينها دراسات:

- الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 1430هـ-2009م.
- دلالة التكرار في سورة الرحمان، زبيدة بن أسباع، مجلة الأثر، العدد 14، جوان2012م، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر.

– الاختيار المعجمي لألفاظ الجنة في سورة الرحمان، عبير نجار ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)، الأردن، ج25، 2011م.

ومن أجل الوصول إلى دراسة منسجمة تجعل من البحث منطلقا لتحقيق بعض الأهداف، سطّرتُ الخطة الآتية معتمدا نظام الفصول:

– **الفصل الأول وعنونته بـ:(مفهوم النص وآليات اتساقه)**، حيث أفردت الجزء الأول منه لمفهوم الجملة والنص، وانتقال الدراسة النحوية من الجملة إلى النص، بالإضافة إلى تعريف النص في المعاجم اللغوية العربية القديمة والأجنبية الحديثة، مع التطرق إلى التعاريف الاصطلاحية المختلفة للنص لدى علماء لغة النص عند الغرب أولا ثم العرب المحدثين ثانياً، ثم خصّصت الحديث في الجزء الثاني منه لمفهوم نحو النص وأهدافه، ومن ثَم الوصول إلى الاتساق النصي الذي عنيت فيه بتعريف الاتساق ووسائله المتمثلة في الربط المعجمي بشكليْه(التكرار والتضام)، والربط النحوي والصوتي وأشكالهما المتعددة.

– **أما الفصل الثاني الموسوم بـ(أثر التكرار في اتساق النص القرآني)**، فقد افتتحته بتمهيد يوضح معالم التكرار ويرصد ملامحه، ثم عرّفت التكرار وذكرت أنواعه المتمثلة في التكرار المباشر والجزئي والاشتراك اللفظي والترادف مبينا في كل حالة أثرها في اتساق سورتي الرحمان والواقعة بأمثلة مختارة من السورتين، لأخلُص في الأخير إلى وظائف التكرار وأغراضه البلاغية، ثم قدّمتُ جدول يحوي قائمة بأنواع التكرار الواردة في السورتين، ثم مثّلتُ نتائجه بيانياً على شكل دوائر نسبية توضّح نسبة وروده وتوزيعه، فكان التعليق على نتائج هذا الجدول هو خلاصة هذا الفصل.

– **وأخيراً الفصل الثالث وعنونته بـ(أثر التضام في اتساق النص القرآني)**، فقد أفردته للحديث عن التضام وأثره في اتساق النص القرآني، فبدأته بالتمهيد يليه تعريف التضام ثم ذكرت أنواعه المتمثلة في: التقابل والارتباط بموضوع معين، متتبعاً في كل مرة أثره

في اتساق نص السورتين، لأنهي هذا الفصل بوظائف التضام وأغراضه البلاغية، وما توصّلتُ إليه من نتائج بعد عملية الإحصاء لأنواع التضام.

ثم خاتمة ضمنتها مجمل النتائج المتوصل إليها، تُجيب في مجملها عن الإشكال العام المطروح، وهو (كيف يتّسق النص القرآني بفعل الربط المعجمي).

وللإلمام بشتات جوانب الموضوع، والإجابة عن الإشكاليات المطروحة كان لزاماً عليَّ الرجوع إلى جملة من المصادر والمراجع أنهل منها مادتي، وكان أهمها:

- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1984م.
- أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة الكرماني، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، (د.ط)، (د.ت).
- علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، تق: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ط1، 2007م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000م.
- الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 1405هـ–1985م.
- التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ط 2، 1407هـ–1986م.

وعلى الرغم من استعانتي بمثل هذه المراجع المهمة وأخرى لا تقلّ عنها أهمية في مجالي التفسير واللغة، فقد واجهتني جملة من الصعوبات والعقبات في سبيل الوصول إلى نتائج مرضية، تتلخص في المشكلة التي تتعلق بتعدّد المصطلحات للمسمى الواحد (والتي تتعلق بنحو النص أو النحو الوظيفي) وصعوبة التوفيق بينها، والاختلاف الحاصل

بين علماء التفسير في تأويل بعض ألفاظ السورتين، ولكن بفضل الله تعالى أولاً، ثم بفضل توجيهات الأستاذ المشرف تمكنت من تذليلها ليرى هذا العمل إلى النور.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدّم بخالص الشكر والعرفان لكل من أسهم في إثراء هذا البحث وفي مقدمتهم رئيس المشروع الدكتور:"كمال قادري" والأستاذ المشرف الدكتور: "عز الدين صحراوي" على توجيهه لي وصبره عليَّ، و الذي ما كنتُ أبرحُ النقاش معه إلا بمزيد من العلم والثبات ، فقد كان نعم المشرف وخير المؤطّر، أسأل الله تعالى أن يجعل منه ذخر خير للطالب الجامعـي.

وصلى الله وسلم وبارك على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

الفصل الأول:

مفهوم النص وآليات اتساقه

I - من الجملة إلى النص:

إنّ اللغة هي الأداة التي يستعملها الإنسان في تفكيره والتعبير عن وجدانياته، وفهم رغبات الآخرين والتواصل معهم، ومشاركتهم خبراتهم، وحدّها « أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم»[1] كما عرفها "**ابن جني**"(ت392هـ) في خصائصه. إذ كانت اللغة ولازالت محلّ اهتمام الباحثين واللغويين قديماً وحديثاً، والمتتبع للدراسات اللغوية واللسانية والنحوية يجدها قد اعتمدت جميعها على وجه التقريب منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة دون غيرها، الذي تميّز بالتنوع والتعدد والاختلاف[2].

ولقد اجتهد الباحثون منذ "**أفلاطون**"(ت347 ق.م) حتى عصرنا الحالي على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم في تحديد تعريف جامع مانع للجملة، فكثرت المصطلحات وتشابكت المفاهيم، وتداخل بعضها ببعض، كمفهوم الجملة والكلام عند القدماء[3].

1 - مفهوم الجملة:

أ - **لغةً:** (الجُمُل): الجماعة من الناس بضم الميم والجيم، ويُقال: جَمَلَ الشيءَ جمعه، وقيل: لكل جماعة غير منفصلة جملة، والجُملة: واحدة الجُمل، والجُملة: جماعةُ الشيء، وأجمل الشيء: جمعه عن تفرقه، والجُملة: جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره، يقال: أجملتُ له الحساب والكلام[4].

ب - **اصطلاحاً:**

يقول"**ابن جني**" في تعريفه للجملة:« هي كل لفظ مستقل يعدُّ بنفسه مفيد بمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل»[5].

---

1 : عثمان بن جني (أبو الفتح)، الخصائص، تح: عبد الحميد هداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1424هـ-2002م، ج1، ص:87.

2 : ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418هـ- 1998م، ص:88.

3 : ينظر: محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1408هـ-1988م، ص:11.

4 : ينظر: جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، (ط1)، 1300هـ، ج11، مادة (جمل)، ص:132.

5 : ابن جني، الخصائص، ج1، ص:87.

وعلى نحو هذا يقول "**عبد القاهر الجرجاني**"(ت471هـ):« اعلم أنّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمىّ كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان أفادا، نحو:(خرج زيد) سمي كلاما وسمي جملة»[1].

كما نجد "**الزمخشري**"(ت538هـ) ممن نحا هذا المنحى في مفصّله حين قال:« الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، و ذلك لا يتأتى إلا اسمين كقولك: "زيد أخوك" ... أو فعل واسم نحو قولك: "ضرب زيد" ... وتسمى جملة»[2].

في حين أننا نجد من علماء اللغة من فرّق بين المصطلحين أمثال "**الرضي الاستراباضي**" (ت686هـ) حيث يقول:« والفرق بين الكلام والجملة أنّ الجملة ما تضمّن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أم لا... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس»[3].

ويتضح ذلك مع رأي "**ابن هشام**"(ت761هـ) الذي يشدد على عدم ترادفهما:« فالكلام هو القول المفيد بالقصد... والجملة عبارة عن الفعل والفاعل... والمبتدأ وخبره.. وما كان بمنزلة أحدهما، وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين، كما توهمه كثير من الناس»[4].

وفي هذا السياق يؤكد "**عبد الرحمن الحاج صالح**" أنّ مصطلح (جملة) لم يكن معروفا قبل هؤلاء، واعتبره أمر غريب «ألا يوجد أثر لكلمة (جملة) في كتاب سيبويه، وكذلك العبارة (جملة مفردة) لا أثر لها في الكتاب، ولا نعثر على كلمة "جملة" بعد سيبويه إلا في كتاب "المقتضب" "**للمبرّد**"، ونرجح أن شيخه المازني هو الذي وضع المصطلح، فإنه أول نحوي يستعمل كلمة (فائدة)؛ بمعنى العلم المستفاد من الكلام، وهذا المفهوم يعبّر عنه سيبويه بكلمة (علم)»[5].

---

1 : عبد القاهر الجرجاني، الجمل، تح: علي حيدر، دمشق، 1972م، (د.ط)، ص: 40. نقلاً عن: محمود بوستة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2008هـ-2009م، ص:03.

2 : ابن يعيش، شرح المفصّل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص: 18.

3 : رضي الدين الاستراباضي، شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ- 1992م، ج1، ص:31-32.

4 : ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الاتحاد العربي، القاهرة ، (د.ط)، (د.ت)، ج2، ص:416

5 : عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، مجلة المبرز، العدد2، ص:08.

والجملة في أبسط تعريف لها هي:« أقلّ قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر» [1]، ومنه نستنتج أنّ الجملة وحدة لغوية أقل من الكلام تُفيد السامع معنىً تحمله عناصرها، ويميّزها عن غيرها من الجمل الأخرى.

ونلاحظ مما سبق، أنّ انطلاق النحو العربي على غراره من الأنحاء في العالم من نحو الجملة، لا يعد قصورا؛ وإنما مردُّه إلى الأسباب التي من أجلها تم القيام بتعقيد اللغة، فتقويم اللسان كان دافع النحاة إلى الاهتمام بالقواعد التي تتضمن نطق الجملة نطقا يبتعد عن اللحن في العربية، حيث نعلم أن المستوى التركيبي هو أكثر المستويات تجليا للدرس النحوي؛ لأنّه مناط ظهور العلامة الإعرابية بتضام الكلمات بعضها إلى البعض.

وفي نظرية (النحو الوظيفي) عند العرب يقدّم اللساني المغربي"**أحمد المتوكل**" حدّاً آخراً للجملة متبعاً نظريات "**سيمون ديك**" الذي يعطي الجانب التداولي الأولوية مع إقراره بالجانب التركيبي والدلالي، ويُعدُّ المنظور الوظيفي للجملة من أهم الاتجاهات اللسانية الحديثة، الذي يقوم على مبادئ وأسس، هي:

1 وظيفة اللغات الطبيعية الأساسية، هي وظيفة التواصل.

2 موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلّم/المخاطب.

3 هدف الوصف اللغوي هو تحقيق ثلاثة أنواع من الكفاية، هي:

أ -الكفاية النفسية (Psychological adequacy).

ب-الكفاية التداولية (Pragmatic adequacy).

ج -الكفاية النمطية (Typological adequacy)[2].

وعليه يقرّر "النحو الوظيفي" أن الجملة تُشتق عن طريق بناء بنيات ثلاث:

-البنية الحملية (structure Predictative).

-البنية الوظيفية(structure Functional).

-البنية المكونية (البنية الصرفية-التكوينية)(structure Constituent)[3].

---

1 : إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، لجنة البيان العربي، القاهرة-مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص:191.

2 : أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1405هـ-1985م، ص:10.

3 : المرجع نفسه، ص:11.

ويتم بناء هذه البنيات عن طريق ثلاث مجموعات من القواعد:

– قواعد الأساس(Fund)، وقواعد إسناد الوظائف(Functions assignement rules)، وقواعد التعبير(Expression rules) على التوالي[1].

والجمل حسب مقولة المحمول التركيبية هي جمل ذات محمول فعلي، وجمل ذات محمول غير فعلي (أي محمولها مركب وصفي أو اسمي أو حرفي أو ظرفي)، وتنقسم الجملة ذات المحمول غير الفعلي بدورها إلى جملة تشتمل على رابط(كان)، وجملة لا تشتمل على رابط. ومنه يصطلح "المتوكل" على ثلاثة أنواع من الجمل: الجملة الفعلية والجملة الاسمية والجملة الرابطية[2]، وقدم الرسم التالي لتوضيح بنية النحو في تطبيق قواعد الأساس وقواعد إسناد الوظائف وقواعد التعبير[3]:

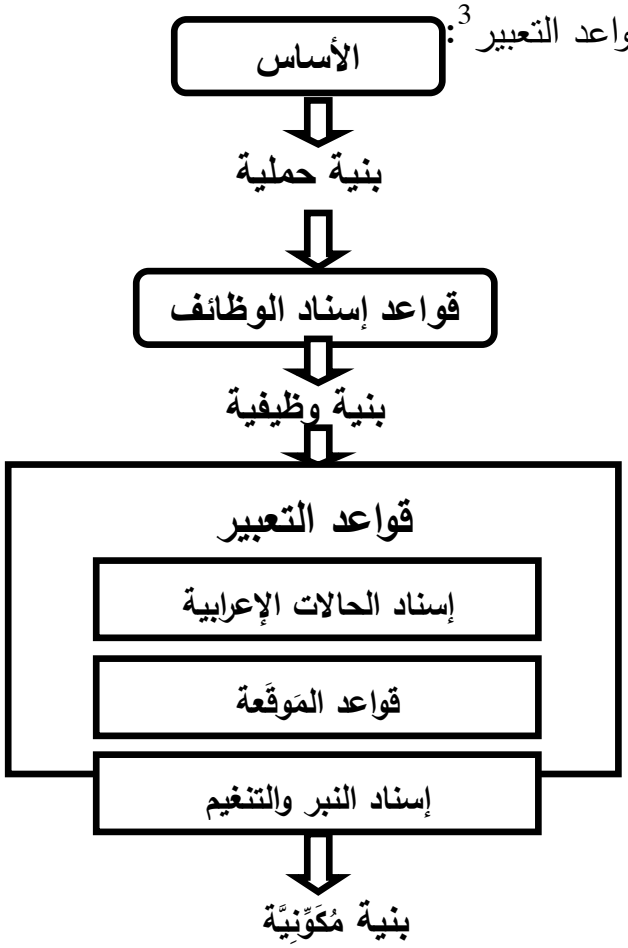

(ما قبل التمثيل الصوتي)

الشكل رقم(01): **بنية النحو في تطبيق قواعد الأساس وقواعد إسناد الوظائف وقواعد التعبير**

1 : أحمد المتوكل، المرجع السابق، ص:11.

2 : المرجع نفسه، ص:78.

3 : أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 1986م، ص:22.

وإذا حاولنا تتبع مفهوم الجملة عند الباحثين والدارسين الغربيين في العصر الحديث نجد الاختلافات نفسها حول مفهوم الجملة، فهي:« عبارة عن فكرة تامة» [1] عند "**إيفتش** "، أو« تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة» [2] كما يعبّر عنها "**جاردنر**" و"**جولدمان**" و"**آيسلر**".

في حين أننا نجد "**كلاوس برينكر**" يصف الجملة بأنها:« وحدة لغوية تتشكل من فعل (محمول) بوصفه المركز التركيبي وسلسلة من مواقع أركان الجملة (الفاعل، والمفعول، والتحديدات الظرفية..الخ) التي تقع كل منها في علاقات تبعية محددة للفعل (المرتكز)» [3].

إذن، للجملة نواة تنطلق منها، وتسمى الفعل المرتكز، وجمل تتفرع عنها وتسمى تكوينات جملية. أما "**جون ليونز**" يرى أنها:« ذات نمط تركيبي ذو مكونات شكلية خاصة»[4].

وفي علم اللغة بشكل عام يجتمع كل من "**هاريس**" و"**بلومفيد**" و"**كارل ديتر بونتج**" على مفهوم واحد للجملة لا تخرج عن كونها:«أكبر وحدة نحوية موصوفة»[5].

تشترك التعريفات السابقة في اعتبار الجملة محور الدرس اللغوي، والوحدة اللغوية الأساسية المستقلة بذاتها المغنية عن غيرها. وقد ظلت ردحا من الزمن أساس الدرس البلاغي والنحوي، فبُينت مكوناتها ومختلف قواعدها، التي قامت عليها النظريات النحوية والاتجاهات اللسانية على اختلاف مشارب أصحابها؛ فالجملة بنية قارة في الكلام، وقرارها هذا جعل النظريات التي اشتغلت بوصفها وتقنينها، متينة متانة نسبية [6]، ونتيجة بعض العيوب التي وقع فيها "**نحو الجملة**" كـ«الإصرار على استقلال النحو عن الموقف الاتصالي، وإخضاع الجمل الطويلة المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب اللغوية البسيطة» [7]،

---

1 : روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص:88.

2 : المرجع نفسه، ص: 88.

3 : كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص(مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005م، ص: 33-34.

4 : روبرت دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء، ص:88

5 : نقلاً عن: عبد المجيد جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1998م، ص:65.

6 : ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص(بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)، المركز الثقافي العربي، الحمراء-بيروت، ط1، 1993م، ص:14.

البسيطة»[1]، الأمر الذي دفع بالباحثين إلى دراسة النص الأدبي وضبط قوانينه ضبطا موضوعيا علميا من أجل الوصول إلى نتائج أقرب ما تكون إلى الدقة.

2 - أنواع الجملة:

لقد قسّم النحاة القدماء الجملة على اعتبار عدّة أساسات تتعلق بالجملة نفسها، فمنهم من يُقسّمها تقسيماً بحسب الشكل(جملة بسيطة - جملة كبرى - جملة صغرى)، ومنهم من يُقسّمها بحسب المحلّ(الجملة التي لها محل من الإعراب - الجملة التي ليس لها محلّ من الإعراب)، ويمكن أن تُقسَّم الجملة في اللغة العربية أيضاً حسب العمدة فيها(المسند والمسند إليه)، فتكون على النحو التالي:

أ- **جملة اسمية:** وهي جملة تبتدئ باسم ويليها الاسم، أو يليها الفعل أو الحرف. ففيها المسند إليه أولاً ثم المسند، وقد يتقدّم المسند على المسند إليه في حالات التقديم والتأخير.

ب- جملة فعلية: وهي جملة تبتدئ بالفعل، أو اسم الفعل، مهما كان زمانه، ويليها الاسم ظاهراً أو مضمراً[2].

وأما في العصر الحديث فقد قدّم علماء اللغة تقسيماً جديداً للجملة باعتبارها جزءاً من النسيج العام في بنية النص الكلية، ومن هنا يمكننا أن نفرّق بين نوعين:

أ- **جملة نظام:** وهو شكل الجملة المجرد الذي يولّد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما. الأمر الذي يجعل الجملة أكثر استقلالية.

ب- جملة نصية: هي الجملة المنجزة فعلا في المقام، وفي هذا المقام تتوفر ملابسات لا يمكن حصرها، يقوم عليها الفهم والإفهام[3].

وتتعدد الجمل في المقام الواحد على لسان شخص واحد نظرياً إلى ما لا نهاية له، وهذا التعدد يعود إلى التفرّد من حيث البنية المولدة للجمل[4].

وقد قسّم "**جون ليونز**" أيضاً الجملة، إلى نوعين:

---

1 : فولفجانج هاينه ودييتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: صالح فاتح الشايب، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض - السعوية، (د.ط)، 1997م، ص:18.

2 : ينظر: صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2004م، ص:27.

3 : ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص(اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م، ص:19.

4 : ينظر: الأزهر الزّناد، نسيج النص(بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)، ص:14.

أ – **جملة نصية:** وهي التي تستقل في دلالتها داخل النص.

ب– جملة غير نصية: وهي عبارة عن جزء الجملة. كأن تقول: هل رأيت محمداً؟ الجواب: أنا لم أر محمداً، لم أره، زيد لم يره أيضاً. فالنص الأول فقط هو الذي ينبغي أن يوصف بالنصية؛ لاستقلاله في المعنى، والباقي جُمل غير نصية لاشتمالها على ضمائر غير مستقلة في ذاتها[1].

ويُوضح ذلك "**أندريه مارتيني**" حينما وضع حدود الجملة بكونها« كل عبارة ترتبط جميع وحداتها بمسند وحيد أو بمسندات مترابطة، وحلّلها إلى مجموعة من: المونيمات والتركيبات، منها ما يمثل نواة الجملة وهو التركيب الاسنادي الذي يتألف من عنصرين أساسيين هما: "المسند" ويمثل نواة الجملة أو الخطاب أو الحكم، و"المسند إليه" الذي يمثل عنصراً هاماً لتمام الجملة(المحكوم عليه).. أما بقية العناصر فمتعلقة بالنواة وهي فضلات تضاف لتحديد الزمان والمكان، أو لتخصيص أحد عناصر الإسناد...الخ، فإذا حذفناها لا تختل الجملة» [2]. فمثلاً التركيب المكون من: "يرتبك الطلاب يوم الامتحان"، فـ"يرتبك الطلاب" هو نواة التركيب الإسنادي الذي تتأسس عليه الجملة ولا يمكن أن يزول وإلا فسدت.

ولقد اهتم لسانيو الجملة –رغم تعدد آرائهم وأقوالهم– بالوصف النحوي لها، كما رأينا ذلك مع "**بلومفيلد**" و"**هاريس**" وآخرهم "**مارتيني**". في المقابل لم يدرسوا المعنى، وأبعدوا العوامل الاجتماعية والتبليغية التي يحتاجها الناس لقضاء حاجاتهم والتعبير عن أغراضهم ومقاصدهم، وقد برّروا موقفهم هذا بأن دراسة المعنى« من اختصاص علماء آخرين خارج اللسانيات، وأن منهجهم يقتضي إبعاد المعنى من التحليل اللغوي؛ لأنه ظاهرة لا يمكن مشاهدتها مباشرة، ولهذا لجأوا إلى مشاهدة السلوك اللغوي وما يصحبه من أحوال محسوسة، متأثرين في ذلك بالنظرية التي كانت سائدة في الدراسات النفسية آنذاك وهي السلوكية» [3].

---

1 : ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص:19–20.

2 : نقلا عن: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات العامة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000م، (د.ط)، ص:101.

3 : المرجع نفسه، ص:58.

وفي هذا الصدد يقول "**هاريس**":« إن اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جملة مفردة، بل في نص متماسك»[1].

فلمّح بذلك إلى أنّ الوصف البنيوي للنصوص لا يقف عند حدّ الجملة، ورأى أنّه لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا تمّ التركيز على أمرين في تحليل الخطاب، وهما:

أ – العلاقات التوزيعية بين الجمل.

ب –الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي[2].

ولقد أخذت ملامح هذه الرؤية تتبلور منذ الستينيات من القرن الماضي تحت مسمى "**لسانيات النص**" أو"**نحو النص**" ، معتمدة آراء مجموعة من العلماء أمثال: "**أنجاردن**"1939م، و"**هيلمسليف**"1943م، و"**هاريس**"1952م، و"**هارتمان**"1964م، و"**فيانرش**" 1966م، الذين يرون ضرورة تجاوز "الجملة" بالدراسة إلى **(النص)**و**(الخطاب)**، واعتبارهما الوحدة اللغوية الأكبر للتحليل، انطلاقاً من النقد الذي وجه للمدارس التي تتخذ من الجملة منطلقا لتحليلها اللغوي، ويبدو أن هذا التوجه الجديد كان وليد محدودية "نحو الجملة"–كما يرى منتقدو هذا الاتجاه– في« تحليل ظواهر خطابية معينه» [3]، فهو في نظرهم –أي نحو الجملة– نحو ناقص وضعيف ومن ثم غير صحيح. لذا فقد طوّر اللسانيون أمثال: "**دريسلر**" 1973م، و "**هاليدي**"و"**رقية حسن**" 1973م، و "**هارتمان**"1975م، في مرحلة السبعينيات من القرن الماضي حقلاً جديداً تجاوزوا فيه حدود الجملة إلى النص، بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى. وعليه فقد أدخلوا مصطلحات ذات مفاهيم جديدة مثل: الملفوظ Enoncee والتلفظ Enonciation والخطاب Discours، والنص (Text).

وهكذا توسع موضوع هذه الدراسة، فمن لسانيات الجملة إلى لسانيات التلفظ والملفوظ والخطاب، وأخيراً وقوفاً على (نحو النص)، الأمر الذي يجعلنا نتساءل: هل تعدى هذا العلم الجديد(نحو النص)الجملة بالدراسة، حقاً؟ بل ما حدُّ هذا العلم أولاً؟ وهل له علاقة بنحو الجملة أم لا؟

وللإجابة على هذه التساؤلات أبدأ بتعريف مصطلح (النص) أولاً.

---

1 : فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص:21.

2 : ينظر: جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1998م، ص:65.

3 : مازن الوعر، نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مجلة الموقف الأدبي، العدد385، ص:17.

II - مفهوم الـــنص:

لقد تجاوز الدرس اللساني الحديث حدود الجملة بالدراسة، واعتبرها تمهيد ضروري لعلم اللغة النّصي، الذي أصبح التركيز فيه على النص كمحور الاهتمام في بحث تحليل النصوص، والسمات النصية في ذلك العلم تُعطي ضرورة ابستمولوجية لضبط مجاله، وفهم مكوناته، لتمكين الباحث من مفاتيح الولوج فيه، ومفهوم النص ضرورة تختلف الآراء فيها لتعدّد المنطلقات والمواقع والغايات، ولعلّ أحسن المداخل في طرحها المدخل اللغوي.

1 -لغةً:

لقد تعدّدت المعاني اللغوية لمادة (ن ص ص) في المعاجم العربية القديمة والغربية الحديثة، واختلفت الرّؤى فيها، إلاّ إنّه سأكتفي برصد المفاهيم اللغوية التي تشترك والمفهوم الاصطلاحي في تحديد ماهية مصطلح (**النص**).

1.1 - مفهوم النص في المعاجم العربية:

ذكر "**ابن منظور**" (**ت711هـ**) في "**لسان العرب**" عند مادة (ن ص ص) عدّة معاني للنص:

أ - **المعنى الأول**: الظهور والبيان، وذلك في قولهِ: النّصُّ: رفعُك الشيء، نصَّ الحديث ينصُّه نصاً: رفعه. وكل ما أُظهر فقد نُصَّ. وقال عمر بن دينار: ما رأيت رجلا أنصَّ للحديث من الزُّهري أي: أرفعَ له وأسندَ. يقال: نصَّ الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصَصتُه إليه. ونصَّت الظبيةُ جيدَها: رفَعَتْه. ووُضِع على المنَصَّةِ أي: على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. والمنصَّة: ما تُظهَرُ عليه العروس لتُرَى[1].

ب -**المعنى الثاني**: الرفع والتحريك، وذلك في قوله: ونصَّ المتاعَ نصّاً: جعل بعضه على بعض، ونصَّ الدّابةَ ينصُّها نصّاً: رفعها في السير، وكذلك الناقة، وقد نصَّصْت ناقتي: رفعتها في السير[2].

ج -**المعنى الثالث**: الشدة والوصول بالشيء إلى أقصى غايته، وذلك في قوله: وأصل النَّصّ أقصى الشيء وغايتُه، ثم سمي به ضربٌ من السير سريع. قال ابن الأعرابي:

---

1 : ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ص ص). ص:97.

2 : المرجع نفسه، ص:98.

النصُّ الإسنادُ إلي الرئيس الأكبر، والنصُّ التوقيفُ، والنصُّ التعيين على شيء ما، ونصُّ الأمر شدتُه[1].

د –**المعنى الرابع**: الاستقصاء والبحث عمّا جهل ، وذلك في قوله: ونص الرجلَ نصّاً إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده. ونصُّ كل شيء: منتهاه. قال الأزهري: النص أصلُه منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده. وفي حديث هرقل: يَنُصُّهم أي يستخرج رأيهم ويُظهِرَه، ومنه قول الفقهاء: نصُّ القرآنِ ونصُّ السنَّة أي ما دلَّ ظاهرُ لفظهما عليه من الأحكام[2].

هـ – **المعنى الخامس**: الاستقامة والاستواء، وذلك من قوله: وانتَصَّ الشيءُ وانتصب إذا استوى واستقام، قال الراجز: فباتَ مُنتصّاً وما تَكرْدَسَا[3].

و جاء في تاج العروس للزبيدي المعاني نفسها، وزاد:

و **النصُّ**: الإسناد إلى الرئيس الأكبر والتوقيف والتعيين على شيء ما[4]. وكل ذلك مجاز من النص بمعنى الرّفعِ والظهور.

تُجمع كل هذه المعاني في عبارة واحدة –كما يراها الأزهر الزنّاد– ارتبطت بالرّفعة والعلو والإظهار. فالنص يُطلق على ما به يَظهَرُ المعنى، أي الشكل الصوتي المسموع من الكلام أو الشكل المرئي منه عندما يترجم إلى المكتوب، وهذا الشكل الصوتي يمثّل آخر طول يَبلُغه الكلام في تولده(البنية السطحية) إذ ينطلق تركيب الملفوظ من الأساس، حيث تجتمع العناصر المقولية بالصيغ الصرفية الحاصلة في المعجم، ثم تنتظمها القواعد التركيبية في بنيةٍ تُطابقها بينةٌ دلالية(البنية العميقة)، ثم تجري هذه البنية تحويلات تأخذ بعدها شكلاً صوتياً هو ما يمثّل حدثاً يُسمع ويُنقل عن طريق قناة ما[5].

---

1 : ابن منظور، المرجع السابق، ص:98.

2 : المرجع نفسه، ص:98.

3 : المرجع نفسه، ص:98

4 : ينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تع: أبو الوفاء الحوريني، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2004م، باب (النون)، فصل (الصاد)، ص:653-654.

5 : ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص(بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، ص:12.

2.1 - مفهوم النص في المعاجم الأجنبية:

ورد في المعجم الفرنسي عند مادة (texte) مأخوذ من مادة (textus) اللاتينية التي تعني: النسيج، وتطلق كلمة (texte)على الكتاب المقدس أو الكتاب القداس... كما تعني منذ العصر الإمبراطوري ترابط الحكاية أو النص... والنص منظومة عناصر من اللغة أو العلاقات التي تشكل مادة مكتوبة أو إنتاجا شفهيا أو كتابيا [1]، ويشترط هذا القول ارتباط الألفاظ والجمل بعضها ببعض، في جوّ من العلاقات محكمة النسيج، تجمع عناصر " النص" المختلفة والمتباعدة ليكون بذلك وحدة متكاملة ومتلاحمة. وارتباط معنى "النص" بالنسيج نجده أيضا في بعض اللغات الأجنبية الأخرى كالإنجليزية (text) والإسبانية (texto) والروسية (tekta) ، وأصلها يعود إلى (textux) التي ترتبط بمعنى النسيج[2].

ويحاول بعض الباحثين العرب تقريب معنى "النص" في المعاجم العربية إلى هذا المفهوم كما ذهب إليه "محمد الهادي الطرابلسي" في قوله:« هذا المعنى ليس غريبا عن تصور العرب للنص. فقد تبين لنا أن الكلام عند العرب يكون نصا إذا كان نسيجا، والنص والنسيج في بعض الوجوه يلتقيان؛ ففي اللسان(مادتا: ن ص ص، ن س ج) والنص جعل المتاع بعضه على بعض، والنسيج ضم الشيء إلى الشيء، فالأول تركيب والثاني ضم والتركيب والضم واحد»[3].

وأمّا في المعجم الانجليزي (أكسفورد) عند مادة (**Text**) فقد ورد فيه المعنى التالي: **النص هو** : لب المسألة المعالجة في المخطوط أو الكتاب أو الجريدة... وهو يتميز عن الفهارس ونقاط التوضيح والملحقات والعناوين الرئيسية المختلفة[4].

وما يلاحظ أن المعنى المعجمي لمصطلح (**النص**) لا يخرج عن كونه تركيب ضم نسيجا متعالقاً، تثبت التعاريف اللاتينية مفهوم الاتساق فيه، الذي ينادي به (**نحو النص**).

---

1 : Robert Micro, Alin Roy et autres . dectionnaire le Robert , Paris, Montréal canada , 2eme edition , 1998, P:1321

2 : ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص(بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، ص:13.

3 : المرجع نفسه، ص:06.

4: ينظر: A.S.Hornby.Oxford Advanced Learners Dictionary. Edition: Oxford press. Seventh Edition. P.1254.

2 -اصطلاحاً:

لقد تعددت تعاريف النص الاصطلاحية وتنوّعت بتنوّع الاختصاصات المعرفية، وبتعدّد الاتجاهات والنظريات والمدارس اللسانية، الأمر الذي أدّى بالباحثين إلى التباين في إمكانية وضع مفهوم للنص يجتمعون عليه.

وسأتعرّض في هذا الجزء لمفهوم النص وفق محورين، المحور الأول عند العرب القدماء(نحاةً وبلاغيين وفقهاء)، والثاني في الدراسات الحديثة سواء أكانت عند الغرب أم العرب، وذلك بتتبع مختلف الآراء ومحاولة التقريب بينها خدمة لأهداف البحث، ومساهمة في تعميق الفهم لمصطلح (النص).

1.2 -مفهوم النص في الدراسات اللغوية العربية:

لقد أدرك العرب القدماء لفظ النص واستخدموه للدلالة على الإنتاج اللغوي، وعياً منهم بخصائصه اللغوية والمعنوية، وتابعهم في ذلك الفقهاء ومن لفّ لفّهم.

أ- النص عند النحاة وعلماء البلاغة:

لقد تعرّض النحاة والبلاغيون العرب القدماء لمصطلح (نص) في كتاباتهم، وتداولوه على سبيل الدلالة والاستئناس بنصوص غيرهم لتبرير حكمٍ أو نفيه، إذ لم تكن -تلك الاستعمالات-مقصودة خصيصاً لمفهوم النص لانحصار الدراسة عندهم في مستوى "الجملة"[1]. إلا أنّ المتتبّع لكلام هؤلاء لَيتبيّنُ له أنّ هذا الاستعمال يحتمل تأويلاً (فهماً) لا يبتعد عن التنظير الحديث لمصطلح نص، بل يُعدُّ قاعدة لمجموعة من المعايير قنّنها المحدثون في نظرية متكاملة تعرف بـ**(نحو النص)**.

ولقد ورد لفظ نص في كتاب (الخصائص) **لابن جنّي** في معرض ردّه عن المتكلّمين في معنى الكلام قائلاً:« وقد علمت بذلك تعسف المتكلمين في هذا الموضع، وضيق القول فيه عليهم، حتى لم يكادوا يفصلون بينهما، والعجب ذهابهم عن نص سيبويه فيه، وفصله بين الكلام والقول، ولكل قوم سنّة وإمامها»[2].

---

1 : ينظر: خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 1430هـ-2009م، ص:23

2 : ابن جني، الخصائص، ج1، ص:193.

في هذا السياق يصل "**ابن جنّي**" بالمتلقي إلى ثبوت الحكم ووضوح معناه، وذلك «لاستعمال لفظ "نصّ" بمعنى الدال الذي يحمل مدلولا "رسالة" متكاملا ويُقدّم حكماً جديداً لم يكن يعرفه من قبل» [1]، وقد ورد هذا المعنى في كتابات اللغويين، كقول "**ابن هشام** " (ت761هـ) في (مغني اللبيب):«أمّا الأوّل فلأنّ عطف البيان في الجوامد بمنزلة النعت في المشتقات فكما أن الضمير لا ينعت كذلك لا يعطف عليه عطف بيان، ووهم الزمخشري فأجاز ذلك ذهولاً عن هذه النكتة وممن نص عليها من المتأخرين "أبو محمد ابن السيد" و"ابن مالك" والقياس معهما في ذلك» [2]، والملاحظ لاستعمال لفظ (نصّ) في هذه النصوص، وتداوله بين علماء البلاغة والنحو للدلالة على الشيء الثابت، ليتبيّن له تقارب المعاني مع استعمال اللغويين لهذا المصطلح بمعنى الرفعة والظهور، وكلها تتضمن سمات النص وخصائصه عند المحدثين.

ب- النص عند الفقهاء:

وأقرب ما حُدّ به النص ما قاله " **ابن حزم**"(ت456هـ) من أن النص:« ...هو اللفظ الوارد في القرآن أو السنة المستدل به على حكم الأشياء، وهو الظاهر نفسه، وقد يسمى كل كلام يورد كما قاله صاحبه نصاً» [3]. وهذا التعريف قريب من مفهوم النص الشائع عند الأصوليين حين استخدامهم كلمة "نصَّ" في استدلالهم على الأحكام الشرعية، إلا أنّ"ابن حزم" قيده باللفظ، أي الكلمة المكتوبة التي تؤدي المعنى الأقرب المتبادر إلى الذهن دون تأويل، ثم يعمّم قوله فيربط النصّ بالكلام الحقيقي الذي يرد بمعنى صاحبه. هذا المفهوم يقترب كثيرا من مفهوم النص ومعاييره في علم اللغة.

ويمكن الاستئناس لهذا الرأي بمذهب الأحناف في إضافة الدلالة إلى النص، فيصبح لها مفهوماً اصطلاحياً يقصد به «ما ثبت من النظم لغةً لا استنباطاً بالرأي» [4]، نحو

---

1 : خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص:23

2 : جمال الدين ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 2005م، ص:41.

3 : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تق: إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1400هـ، ج1، ص:42.

4 : نقلاً عن: ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق(رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها)، م إ: معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1424هـ، ص:253

قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾[الإسراء، الآية: 23]، فدلالة عبارته على تحريم الأفّ، ودلالة النص شمول التحريم لكافة أنواع الأذى، إذ نفي الأدنى من الأذى، يستلزم نفي الأعلى منه[1].

إنّ تلك المفاهيم التي وردت عند علماء اللغة والفقه القدماء في معالجتهم لدلالات (النص)، تشكّل مجموعة من المعايير النصية نظّر لها المحدثون في ما يُعرف اليوم بـ(نحو النص)، والتي تقوم على:

- كون النص منطوقاً أو مكتوبا أو كليهما.
- مراعاة الجانب الدلالي.
- مراعاة التحديد الحجمي.
- مراعاة الجانب التداولي.
- مراعاة جانب السياق.
- مراعاة جانب التماسك.
- مراعاة الجانب الوظيفي للنص.
- مراعاة التواصل بين المنتج والمتلقي.
- الربط بينه وبين مفاهيم تحويلية، مثل الكفاءة والأداء... وغيرها.
- إبراز كونه مقيّدا[2].

وبهذه الخصائص يصبح النص متكامل السمات النصية التي تؤهله لأن يكون قابلاً للدراسة.

2.2- مفهوم النص في الدراسات الحديثة:

وفي علم اللغة الحديث الذي تبنته الدراسات الغربية منذ النصف الثاني من ستينيات القرن الماضي، وتلقّفه الدارسون العرب على ما فيه من اختلافات، يستعمل لفظ (النص) مقابلاً للمصطلح اللاتيني (text)، وهو بهذه الصفة له تعاريف عدّة تختلف لاعتبارات عدّة يمكن تقسيمها إلى قسمين: القسم الأول يصف المكونات اللغوية للنص، وكيفية تنظيمها ممّا يشكل نصا متماسكا. والقسم الثاني يركز على النص باعتباره حدثا تواصليا أو تفاعلا

---

1 : ينظر: ردة الله بن ردة الطلحي، المرجع السابق، ص:253

2 : صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000م، ج1، ص:29.

لغويا، يشتمل على ثلاثة أبعاد رئيسية هي: كيفية استخدام اللغة، وعملية إنتاج النص، وتفاعله في السياقات المختلفة. وسأشير إلى ذلك من خلال طرح مواقف أهل الاختصاص.

أ- عند الغرب:

يختلف مفهوم (النص) في الغرب باختلاف تخصصات الباحثين ، سواء أكانوا لسانيين أم نقاداً.

أ.1- من منظور لساني: يرى "**كلاوس برينكر**" أنّ تعاريف النص ذات المنظور اللساني قد انطلقت من اتجاهين:

- **الاتجاه الأول:** يقوم على أساس النظام اللغوي، وتعتمد معظم التعاريف فيه على تحديدات (نحو الجملة) ذات الأصل البنيوي أو التوليدي-التحويلي، حيث يظهر النص كتتابع جملي متماسك. كما يراه "**هاليداي ورقية حسن**" الذيْن ذهبا إلى أن النص هو عبارة عن متتالية من الجمل تربط بينها علاقات قبلية وأخرى بعدية، سواء أكان منطوقاً أم مكتوباً، نثراً أم شعراً، بِغضِّ النّظر عن طوله أو قصره، فيُعد بذلك حتى نداء الاستغاثة مثلاً أو مسرحية بأكملها من قبيل النصوص [1]. وعليه فإن النص« وحدة دلالية، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها»[2].

وضبط "**هارلد فاينريش**" مفهوم النص بأنه:« تكوين يُحدّد بعضه بعضاً، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضاً لفهم الكل» [3]، وعليه فإنّ النص كل تترابط أجزاؤه بعضها ببعض، إذ يؤدي الفصل بينها إلى عدم وضوح النص، كما يؤدي عزل أو إسقاط عنصر من عناصره إلى عدم تحقيق الفهم، فالجمل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد، بحيث تُسهم كل جملة في فهم الجمل التي تليها فهماً معقولاً، كما تُسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهماً أفضل[4].

- **الاتجاه الثاني:** ويقوم على أساس نظرية التواصل، التي تعتبر النص حادثة تواصلية ذات وظيفة. كما ذهب إلى ذلك " **بيتر هارتمان**" حين قال:« النص قطعة ذات دلالة وذات

---

1 : ينظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص(مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ص:22.

2 : أحمد عفيفي، نحو النص(اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص:13.

3 : محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1987م، ص:36.

4 : ينظر: المرجع نفسه، ص:36.

وظيفة، ومن ثم فهي قطعة مثمرة من الكلام»[1]، كما يجده: علامة لغوية أصلية تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي[2].

ونقل "**فان دايك**" الرأي نفسه في حديثه عن السياق قائلا:«... ولكن مدار الأمر يرجع إلى قواعد عرفية (نحوية ودلالية) تسرى على جماعة الاتصال كلها. فكل كاتب يعرف القواعد ذاتها المعروفة للجماعة ويطبقها حين ينتج نصوصه أو منطوقاته ويبطل التفاعل إذا جهل تلك القواعد»[3]. هذا التعريف يبرز لنا أنّ النص –منطوقاً كان أو مكتوباً– هو عملية إنتاجية تقوم على أساس تطبيق قواعد معروفة (نحوية ودلالية) يقوم بها الكاتب أو المتكلم قصد التواصل.

ويُشير "**كلاوس برينكر**" إلى أن (النص):« هو تتابع محدود من علامات لغوية متماسكة في ذاتها، وتُشير بوصفها كلاً إلى وظيفة تواصلية مدركة»[4]. وعليه فقد جمع "**برينكر**" بين المنظورين الأساسيين للسانيات النص الذيْن سبقا تقديمهما، فهما يكملان بعضهما البعض في عملية التحليل اللغوي، إذ يفتقد الأول إلى الوظيفة وهي الارتقاء به إلى حد التواصل، الذي يقوم أساساً على الفعل الإنجازي في نظرية الفعل الكلامي[5]، وتُجمل الشروط العامة التي يجب أن يفي بها كل بناء لغوي حتى يُعدّ نصاً بوجه عام، تحت مفهوم النصية(قوة التلاصق النصي).

أ.2– من منظور نقدي:

والتعاريف الأخرى ذات المنطلق النقدي تركّز على عملية القراءة(جانب المتلقي)، فتعتبر (النص) ممارسة لغوية (كلاما)، وليس نظاما(لغة)، وبذلك تتجاوز عملية الاتصال فيه أطرافها المعروفة(المرسل، الرسالة، المستقبل)؛ لأنّ النص عملية إنتاج مستمرة، وهو فضاء يمكّن صاحبه وقارئه من عملية التواصل المستمرة[6].

---

1 : سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص:94–95.

2 : ينظر: المرجع نفسه، ص:95.

3: فان دايك، علم النص(مدخل متداخل الاختصاصات)، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص:177.

4 : كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص(مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ص:27.

5 : ينظر: المرجع نفسه، ص:29.

6 : ينظر : صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر –لونجمان، (د.ط)، (د.ت)، ص:230.

ويقول "**رولان بارت**" :« النص نشاط وإنتاج .. النص قوة متحوّلة، تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها، لتصبح واقعاً نقضياً يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم، إن النص يتكوّن من نقول متضمنة، وإشارات وأصداء لغات أخرى وثقافات عديدة- تكتمل فيه خريطة التَّعدُّد الدّلالي» [1]. وقد تبلور هذا المفهوم عند "**بارت**" من خلال تتبعه لتفاعل اللغة داخل النص، ذلك أنه يفكّك لغة الاتصال، ويعيد بناءها على أنها ذات حجم وحركة تركيبية أكثر اتساعاً.

ويتلخص موقفه من المفهوم التفكيكي في النقاط التالية:

- لا يصبح النص مجرباً، كشيء يمكن تمييزه خارجياً، وإنما كإنتاج متقاطع، يخترق عملاً أو عدة أعمال أدبية.
- النص قوة متحولة، تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها، لتصبح واقعاً نقيضاً يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم.
- إنه لا نهائي، لا يحيل إلى فكرة معصومة، بل إلى لعبة متنوعة و مخلوعة.
- إن النص وهو يتكون من نقول متضمنة، وإشارات وأصداء للغات أخرى وثقافات عديدة تكتمل فيه خارطة التعدُّد الدلالي، وهو لا يجيب عن الحقيقة، وإنما يتبدد إزاءها.
- إن وضع المؤلف يتمثل في مجرد الاحتكاك بالنص، فهو لا يحيل إلى مبدأ النص ولا إلى نهايته، بل إلى غيبة الأب مما يمسح مفهوم الانتماء.
- النص مفتوح، ينتجه القارئ في عملية مشاركة، لا مجرد استهلاك. هذه المشاركة لا تتضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجهما في عملية دلالية واحدة. فممارسة القراءة إسهام في التأليف.
- يتصل النص بنوع من اللذة المشاكلة للجنس، فهو واقعة غزلية [2].

أمّا "**جوليا كريستيفا**" فتعتبر النص« عملية إنتاجية باعتباره جهاز عبر لغوي، يعيد توزيع نظام اللغة، بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيراً إلى بيانات مباشرة، تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها» [3]، ومنه:

---

1 : سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص:103.

2 : ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص:297-298.

3 : نقلا عن: المرجع نفسه، ص:294-295.

– النص ممارسة سيميولوجية معقدة (أي مجموعة من العلامات)، وأنه ظاهرة عبر لغوية (أي تتعد اللغة إلى رموز و علامات أخرى) وهو لا ينحصر في اللغة[1].

– النص أكثر من أن يكون قول فقط أو خطاب، على أساس أنه مكوّن بفضل اللغة، التي لا يمكن حَصْر مقولاتها. لذا فهو يُعيد تفكيك النظام اللغوي، ثم يقوم ببنائه وإعادة توزيعه. ثم إنه مجموعة من عمليات تناص مع نصوص أخرى سابقة لعصره وأخرى متزامنة معه، وملائمة لبنيته، تتفاعل فيما بينها وتتقاطع لتشكل سياقه التاريخي والاجتماعي.

وينطلق تصوّر "**جاك دريدا**" للنص من الاعتماد على تاريخ الفلسفة التي تُلغي التعارض بين المستمر والمنقطع، ومنه يعتبر النص نسيج لقيمات [2]، أي له عدّة أعمار بمنظور الانتماء التاريخي له، فهو يملك عدة أصول أو نسق من الجذور يقيم منها حدوده المادية من جهة، ومدلوله بمستوياته المختلفة من جهة ثانية. وبهذا نخْلُص إلى أن النص يتكون من ركنين كبيرين هما:

– **إستاتيكي:** الركن الثابت، ذو النسق من الجذور، فبعد عملية الإنتاج النصي يُمكن اعتبار النص نظام مركب من أبنية ذات امتدادات المتعددة، كما تتعدد داخله مجموعة من المستويات غير المتجانسة يجمع بينها النص الأدبي، مثل مستويات الأصوات اللغوية والوحدات الدلالية والموضوعات أو بعض التجارب المقدمة خلاله مما يساهم في بناء عضوية النص.

– **ديناميكي:** الركن المتحرك، ويُعدُّ جزء من النص دينامي من حيث انطلاقه من بنية ثابتة لتحقيق بنيات صغرى هي بنات البنية الوالدة(الأولى)، وهو دينامي أيضاً من حيث إنه يمكن بناء بنية مجرّدة من عنصر واحدٍ أو عنصرين أساسيين[3].

إذن يتخذ الركن الدينامي (المتحرك)، من الاستاتيكي نواة له فهي مسؤولة على تحليل تعقداته الدينامية الناتجة عن شدة التفاعل، كما تنظم عناصره وتضبطها حتى تحافظ على استقرارها داخل النص، وعموماً فبجمع الركنين (الاستاتيكي والدينامي) يتحقق النص بشتى تفاعلاته.

---

1 : ينظر: خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص:27.

2 : ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص:307.

3 : ينظر: محمد مفتاح، التشابه والاختلاف(نحو منهجية شمولية)، المركز الثقافي العربي، لبنان–المغرب، ط1، 1996م، ص:50.

ب- عند العرب:

يقف الباحث في هذا النطاق من استعمال العرب لمصطلح (نص)على حقيقة هامة مفادها «عدم إتيان معجم لسان العرب على غرار المعاجم العربية القديمة بالمعنى الاصطلاحي لكلمة (نص)، إذ وقفت جميعها عند حدود المعنى اللغوي للكلمة فقط»[1]. ممّا دفع ببعض المعاجم اللغوية الحديثة إلى تدارك هذا النقص[2]، كمعجم (**مصطلحات الأدب)** الذي جاء فيه أنّ النص هو:« الكلمات المطبوعة أو المخطوطة التي يتألف منها الأثر الأدبي»[3].

ولم تستطع هذه المحاولات-على قلتها- أن ترقى إلى مستوى المفاهيم الاصطلاحية العامة، وتضع للنص تعريفا جامعا ذلك أن النص بمعناه الاصطلاحي الحديث والمعاصر لم يتبلور عند العرب إلا بعد اطلاعهم المباشر على أصوله النظرية عند الغرب، وتبنيهم إياها واعتمادهم عليها في دراساتهم[4]، ولا أدلّ على ذلك من وجود الاختلاف نفسه في تحديد ماهية المصطلح، وهو ما يظهر بين اللغويين والنقاد، أمثال: "**الأزهر الزنّاد**" الذي يعتبر النص « نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، وهذه الخيوط تجمع عناصرها المختلفة والمتباعدة في كلّ واحد هو ما نطلق عليه مصطلح **نص**»[5]، فالنص عبارة عن نسيج من الجمل المتداخلة والمتناسقة فيما بينها.

والنص عند "**شكري عيّاد**" :« لم يعد سلسلة لغوية في هذه الحالة، بل هو حضور واحد، يلتقي نسق من أوله بنسق من آخره، تسري ذبذبة كذبذبة الأوتار من كلمة إلى عبارة فيتردد صداها من مئات الكلمات والعبارات»[6]. إنه **(النص)** في اتّساق ألفاظه، وانسجام معانيه وترابطها، كأنه ذبذبة أوتار تنساب إلى الأذن انسياب المياه في الساقية.

---

1 : يوسف العايب، المتعاليات النصية في أدب السجود والمعتقلات في الجزائر، رسالة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، م إ: قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، 2011-2012م، ص:15. (مخطوطة).

2 : ينظر: المرجع نفسه، ص:15.

3 : مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مطبعة لبنان-بيروت، (د.ط)، 1974م، ص:566.

4 : ينظر: يوسف العايب، المتعاليات النصية في أدب السجود والمعتقلات في الجزائر، ص:16.

5 : الأزهر الزناد، نسيج النص(بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، ص:12.

6 : شكري عيّاد، اللغة والإبداع(مبادئ علم الأسلوب العربي)، انترناشيونال بوس، القاهرة، ط1، 1988م، ص:131.

ويعدّ "**سعد مصلوح**" النص« سلسلة من الجمل كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل الداخلة في تشكيله» [1]. ويُبرز هذا التعريف مكونات النص التي يستحضرها الكاتب في صورة جمل تدخل في تشكيله من (قضايا ومعلومات مكتسبة)، تتداخل وتترابط فيما بينها(اتساقا وانسجاما) لتُقدّمَ للسامع على شكل سلسلة مفيدة، فائدة يحسن السكوت عليها.

ويعرّف "**صلاح فضل**" النص بأنه:« القول اللغوي المكتفي بذاته، والمكتمل في دلالته»[2]، ويضيف أيضاً:« وما لا يحقق هذا الشرط –مهما كان طوله– لا يُعد نصاً»[3].

من خلال هذا التعريف نجده قد انطلق من فكرتين:

–الأولى: **(الاكتمال)** التي تعني أن النص المكتمل هو الذي يحقق مقصدية قائله في عملية التواصل اللغوية.

–الثانية: **(انغلاق النص)** وتعني: اكتفاءه بذاته، لا حاجة له بالعناصر الأجنبية عنه لتوصيل المقصد كالمتكلم أو السامع أو السياق، ويستخدم هذا الأخير كمحور لتحديد الاكتمال في هذا المجال.

ويتبنى " **صبحي إبراهيم الفقي** " تعريف " **روبرت دي بوجراند** " صراحة في كتابه (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق)، واعتبره رأي جامع لتعاريف(النص)المختلفة، فهو« حدث تواصلي يلزم لكونه نصاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلّف واحد من هذه المعايير:

أ – السبك أو الربط النحوي (cohesion).

ب – الحبك (coherence) أو التماسك الدلالي.

ج – القصد (intentionality) وهو الهدف من إنشاء النص.

د – القبول أو المقبولية (acceptability) وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.

هـ – الإخبارية أو الإعلام (informativity)أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.

و – المقامية (situationality) وتتعلق بمناسبة النص للموقف.

---

1 : سعد مصلوح، من نحو الجملة إلى نحو النص. نقلاً عن: أحمد عفيفي، نحو النص(اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص:24.

2 : صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص:299.

3 : المرجع نفسه، ص:299.

ز - التناص (intertextuality)»[1].

وعليه فإنّ كل العناصر النصية (من مرسل للرسالة ومتلقيها والسياق وأدوات الربط النحوية وغيرها) تكون محلّ الاهتمام في التحليل النصي.

III -مفهوم نحو النص وأهدافه:

نحو النص ولسانيات النص ولسانيات الخطاب وعلم النص هي تسميات مختلفة لمسمى واحد، موضوعه (النص)، بحيث يكون هذا الأخير مجالا للفهم والتأويل والتحليل والإنتاج، وبالتالي فهو الوحدة الأساسية للدراسة اللسانية أو النحوية، منه تبدأ وإليه تنتهي[2]. فما هو مفهوم هذا العلم الذي يجعل من النص أساس الدراسة اللسانية؟ وما هي أهدافه؟

1- مفـهوم نحو النص:

نحو النص فرع معرفي ظهر كاتجاه في البحث اللغوي في النصف الثاني من ستّينيات القرن الماضي في غرب أوروبا، ويهدف إلى الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل النص[3]. واستوى فرعا من فروع الدراسة اللسانية ، وهو أمر يشهد عليه تاريخ نشر الأعمال المؤسسة لهذا العلم بين سنة 1968م و 1970م، قبل أن يصبح النص مشغلاً تُخصّص له المؤلفات والأعمال الجماعية الضخمة في السبعينات بالخصوص[4]. وقد تفاوت الدارسون في درجات الفصل في مفهوم هذا العلم، يقول "**الأزهر الزنَّاد**" :« فلسانيات النصوص أو نحو النص تدرس النص من حيث هو بنية مجردة تولد بها جميع ما نسمعه ونطلق عليه لفظ (نص)، ويكون ذلك برصد العناصر القارة في جميع النصوص المنجزة مهما كانت مقاماتها وتواريخها ومضامينها، فهي بذلك تبحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، فتنظر مثلاً في الروابط المختلفة بين جمل النص التركيبية منها والزمنية وما كان منها بالمضمرات وغيرها»[5].

---

1 : صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص:33-34.

2 : ينظر: يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي،(رسالة دكتوراه في اللسانيات الوظيفية الحديثة)، م إ: قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، 2005-2006م، ص:322.

3 : فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص:03.

4 : ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ط1، 2001م، ج1، ص:79.

5 : الأزهر الزناد، نسيج النص(بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، ص:18-19.

ويحدّد كل من "**جورج.يول**" و"**جون.براون**" مجال دراسة نحو النص بقولهما:

« اللسانيات النصية فرع من فروع اللسانيات يعنى بدراسة مميزات النص من حيث حده وتماسكه ومحتواه الإبلاغي والتواصلي» [1]، وعليه فإن محاور اللسانيات النصية مجتمعة في النقاط التالية:

1 -الحد والمفهوم و ما يتصل بهما.

2 -المستوى التواصلي وما يرافقه من عناصر و وظائف (fonctions) لغوية داخل مقام تواصلي (situation communicative).

3 -التماسك والاتساق أو ما نصطلح عليه بـ: النصية المقابلة للمصطلح الغربي (textualité) [2].

ويرى "**نيلس**" أنّ لسانيات النص تعني: الدراسة للأدوات اللغوية للتماسك النصي الشكلي والدلالي. ويؤكد على أهمية السياق وضرورة وجود خلفية لدى المتلقي أثناء تحليل النص[3].

كما يرى "**صبحي إبراهيم الفقي**" علم اللغة النصي بأنه: « ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها: الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه، والإحالة أو المرجعية(référence) وأنواعها، والسياق النصي(Textuel Contexte)، ودور المشاركين في النص(المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء»[4].

ويذهب " **سعيد حسن بحيري**" إلى أنه يجب أن يُراعى في وصف وتحليلات (نحو النص)« عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية، إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية

---

1 : ج.يول و ج.براون، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني و منير التريكي، دار النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط)، 1997م، ص:30.

2 : ينظر: أحمد مداس، لسانيات النص(نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري)، عالم الكتب الحديث، القاهرة، ط1، 2007م، ص:03.

3 : نقلاً عن: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق(دراسة تطبيقية على السور المكية)، ص:35.

4 : المرجع نفسه، ص:35.

النصية وقواعد ترابطها، وبعبارة موجزة قد حددت للنص مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها بدقة إذا التزم حد الجملة»[1].

2- أهداف نحو النص:

يسعى نحو النص إلى تحليل البن ى النصّية واستكشاف العلاقات النسقية المفضية إلى اتساق النّصوص وانسجامها والكشف عن أغراضها التداولية [2]، وهذه الوظيفة لا تتحقق إلا بأمرين، هما:

- الوصف النصي T.Description.
- التحليل النصي T. Analysis[3].

وتكون بداية هذا التحليل بتوضيح مكوّنات النص ابتداءً من الجملة الأولى، ثم بيان الموضوعات التي تناولها النص، وإدراج الدراسة الإحصائية تحت إطار الوصف من حيث بيان الروابط الموجودة في النص*، حتى نصل إلى بيان وظيفة هذه الروابط، حينئذ يبدأ التحليل النصي [4]، الذي يُعطي تفسيراً لأبعاد النص المتنافرة، عبر بيان وظيفة السياق في التقريب بينها**.

فلسانيات النص تراعي في وصفها وتحليلها عناصر لم توضع في الاعتبار من قبل، وتلجأ في تفسيراتها إلى قواعد تركيبي ة، إلى جوار القواعد الدلالية والمنطقية [5]. فهي بذلك تخرج من نطاق تحليل الجملة إلى تحليل النص، فتدرس الظواهر التركيبية (كعلاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل، وحالات الحذف والتحويل إلى الضمير...)، التي تخرج عن إطار الجملة المفردة ، والتي لا يمكن تفسيرها تفسيراً دقيقا إلاّ من خلال وحدة النص الكليّة ، وبإدخال أيضًا عناصر أخرى دلالية وتداولية إلى الوصف

---

1 : سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص:119.

2 : ينظر: فان دايك، علم النص(مدخل متداخل الاختصاصات)، ص:07.

3 : صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص:55.

* : تلك الروابط ما نسميها بوسائل التماسك، كالربط المعجمي والنحوي وغيرهما، وسأوضح ذلك في صفحات البحث القادمة.

4 : ينظر: المرجع نفسه، ص:55.

** : ويضيف بعض الباحثين دور المتلقي أثناء عملية التفكيك.

5 : ينظر: فان دايك، علم النص(مدخل متداخل الاختصاصات)، ص:07.

والتحليل اللغويين يتغيّر الإطار الأساسي الذي يضم الجملة، إذ إنّه لم يعد كافياً لاستيعاب العناصر السابقة، لذلك عدّ النص بأكمله وحدة أساسية للتحليل.

فقد تميّز (نحو النص) بانطلاقه من دلالات عامة تتجاوز الجملة هدفها تحديد الوسائل التي مكّنت من ربط الجمل شكّلت منها وحدة دلالية متلاحمة الأجزاء ، عن طريق تفكيك ما يسمى بالنظام. الذي يحكم البنية العامة للنص، من حيث ترابط عناصره أو أجزائه.

وقد غدا في ظل هذا التوجه الجديد أن القواعد أو القوانين الأساسية المجردة للنص، هي التي تُمكّن مستعمل اللغة من فهم وإنتاج ما لانهاية من النصوص المتنوعة، وعليه فإن الكفاءة أو الملكة اللغوية للمتكلم/ المخاطب، هي بالأساس ملكة أو كفاءة نصية؛ أي كفاءة فهم وإنتاج نصوص، لا كفاءة فهم وإنتاج جمل صحيحة نحويا، غير أن هذه الكفاءة ليست غاية في حد ذاتها، وإنما هي جزء من عدة كفاءات أو ملكات أخرى ضمن الملكة التبليغية العامة[1]. وعلى هذا الأساس فإن مفهوم (النص) أو (نظرية النص) تقوم على جهاز مصطلحي مفاهيمي، لا يزال إلى اليوم محل نقاش وإثراء وتطوير، سواء داخل حقل نحو النص أو داخل النظريات النحوية الحديثة كالنظرية "التوليدية التحويلية" أو نظرية (النحو الوظيفي) التي أدمجته في بنيتها النحوية العامة[2].

IV - الاتساق النصي:

لا شك أن نحو النص يتعامل مع النصوص على أنها: بنية كلية، ومن ثم تكون المدخل إلى التحليل النحوي عن طريق تحليل الخواص التي تؤدي إلى اتساقها، وتعطي عرضاً لمكوناتها التنظيمية النّصية[3]. لهذا كان للاتساق النصي حيزاً كبيراً في الدرس النحوي إذْ هو ظاهرة تشتمل على تفاعل القارئ مع النص [4]. والنص المتّسق هو الذي يُتيح لقارئه التنقل بين جمله بسهولة، ويقرؤه كوحدة غير متجزئة.

هذا الموضوع كان محطّ دراسة علماء اللغة قديماً وحديثاً، علَّهم يُرسُون أواصل الصلح بين القارئ والكاتب، حيث إنّ هذا الأخير عند كتابته نصاً متّسق الأركان، يكون

---

1 : ينظر: يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص:322.

2 : المرجع نفسه، ص:322.

3 : ينظر: فان دايك، علم النص(مدخل متداخل الاختصاصات)، ص:95.

4 : نقلا عن: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:184.

بمثابة منحه مفاتيح لغوية للقارئ ترشده إلى الفهم والتفسير. فما مفهوم الاتساق؟ وما هي أهم وسائله؟

1- مفهوم الاتساق:

1.1- لغةً:

يقول "**ابن منظور**" في الجذر (و س ق):« وسقت النخلة إذا حملت، فإذا كثر حملها قيل: أوسقت أي: حملت وسقًا، وسقت الناقة وغيرها تسِق أي حملت وأغلقت رحمها على الماء، فهي واسق، ونوق وِساق- وسقت عيني على الماء ، أي ما حملته الوسوق، ما دخل فيه الليل وما ضم، وقد وسق الليل واتسق، والطريق يتسق ينضم واتساق القمر امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة، واستوسقت الإبل: اجتمعت، والاتساق: الانتظام»[1].

ويقول"**الفيروز آبادي (ت 817هـ)**" في "قاموسه":«وَسَقَه يَسِقُه جمَعه وحمَلَه، ومنه: (والليل وما وسق) وطرده ومنه: الوسيقة وهي من الإبل كالرفقة من الناس. والناقةُ حملت وأغلقت على الماءِ رحمها فهي واسق، واستوسقت الإبلُ اجتمعت، واتّسَقَ: انتظَام»[2].

وقد جاءت مادة "السبك" في المعاجم العربية تقريباً بهذا المعنى لمادة (وسَقَ)، من مثل جمع الأجزاء المتعددة، والعمل على تأليف هذه الأجزاء؛ حتى تصبح شيئا واحدا متماسكا، جاء في اللسان:« سَبَك الذهبَ والفضة ونحوه من الذائب يسبُكهُ ويسبِكُه سَبْكاً وسَبَّكه ذَوَبه وأفرغه في قالبٍ»[3].

فالسبك إذن يتعلق بالبنية الشكلية أو السطحية للنص، ويتم عن طريق أدوات تعمل على تتابع الكلمات تتابعاً صحيحاً من الوجهة النحوية والمعجمية، تعتبرها معاجم اللغة الحديثة مهمّة في ترابط أجزاء النص عن طريق أدوات ربط صريحة.

وعليه، فالمعنى المعجمي للفظ السبك يتقارب مع المعنى الذي اصطلح عليه في علم اللغة الحديث؛ إذ يعني في المعاجم ربط الأجزاء المتعددة، والعمل على جعلها شيئاً واحداً، وهو نفس ما يطلق عليه في علم اللغة الحديث؛ إذ يعني ربط الجمل المتعددة حتى تكون نصاً.

---

1 : ابن منظور، لسان العرب، مادة: (و س ق). ص:4836.

2 : الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة: (و س ق).

3 : ابن منظور، لسان العرب، مادة: (س ب ك)، ص:4837.

2.1- اصطلاحاً:

يعد مصطلح(الاتساق)أو ما يرادفه من استعمالات العرب القدماء والمحدثين أو غيرهم لهذا اللفظ أحد المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها دراسة الإنتاج الأدبي على مستواه البنائي والشكلي، إذ يكاد يندر منهم من لم يتكلّم في التحام لفظه وسبكه وتماسك عناصره وتناغم انزياحاته. وقد عرفه العرب القدماء قبل غيرهم.

أ- مفهوم الاتساق عند العرب القدماء:

لقد أدرك اللغويون العرب أن النص يجب أن يكون وحدة واحدة، وعبروا عن ذلك بعبارات منها(جودة السبك)و(يفرغ إفراغا واحداً)، وقد ذكروا بعض أسس الاتساق النصي التي أقام عليها العلماء المحدثون أصول نظريتهم، ومن أهم ما ذُكر في هذا المجال ما نقله "**الجاحظ**" (ت255هـ) في(البيان والتبيين) حين اشترط في نظم الشعر أن يكون ذا أجزاء متَّفقة، أو سلسلة من النظام متواتية الأركان، مماثلة لبعضها البعض، غير متباينة ولا متناثرة، حيث يقول: « وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أُفرغ إفراغاً واحداً وسُبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان »[1]، إلا أنّ هذه النظرة حديثاً سُبغتْ بطابع علمي*، فأصبحت تُعرف بالاتّساق النصي.

وقال:« إذا كان الشعر مُسْتكرهاً، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض، كان بينهما من التنافر مابين أولاد العِلاّت، وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى أختها مُرضياً موافقاً، كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة »[2]، ذلك أن وقعه غير متجاور ولا مؤتلف، كما اشترط في تلاحم أجزاء النص عدم تنافر ألفاظه، فقال في الشعر الذي لا نستطع إنشاده إلا ببعض استكراه لغياب التناسق بين ألفاظه: « ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض»[3].

وقال في نص الشعر المتّسق:« وكذلك حروف الكلام، وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساء، ولينة المعاطف سهلة، وتراها متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشق

---

1 : عمر بن بحر الجاحظ (أبو عثمان)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط 4، 1975م، ج1، ص:67.

* : حيث ضُبطت بمجموعة من القوانين على الشاعر مراعاتها والتقيد بها لنجاح عمله.

2 : المرجع نفسه، ص:66.

3 : الجاحظ، البيان والتبيين، شرح: حسن السندوبي، دار الفكر، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص:87-88.

على اللسان وتكده، والأخرى تراها سهلة لينة ... خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد »[1]، وعليه يمكن القول بأن " **الجاحظ**" اهتم بمسألة (الالتحام) التي تقوم على عنصرين هما:

-الأجزاء المشكلة للجملة (الألفاظ).

-الأجزاء المشكلة للفظ (الحروف).

فالاتساق إذن، مترتب عن تلاؤم الأصوات المشكلة للألفاظ وتباعد المخارج المكونة للكلمات، مما يسهل على اللسان النطق بها[2].

يتضح لنا مما سبق أن "الجاحظ" تناول (الاتساق) من زاوية الصوت لا التركيب أو الدلالة، إلا أنه بقدر ما احتُرم هذا المبدأ (الصوتي) تكون الأجزاء متلاحمة، وبقدر استبعاده تبرأت الأجزاء من بعضها[3].

وقد نبّه "**ابن طباطبا**" على ضرورة توفر شرط الاتساق في الخطاب الشعري واعتبره قاعدة لا ينبغي أن يحيد عنها الشاعر، حيث يقول: « وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتّسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله ... يجب أن تكون القصيدة ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة، و جزالة ألفاظ، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة ... تقتضي كل كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها، متعلّق بها مفتقرا إليها »[4].

يكشف هذا النص عن ضرورة الانتظام داخل النص، الذي يضمن اتساقه، وتعليق آخره بأوله، إلا أنّ "**بن طباطبا**" يجعل من هذا الأمر واجبا ليظل النص محتفظاً بقوة معانيه وجودتها.

وقد كتب في معنى الاتساق عالم البلاغة " **عبد القاهر الجرجاني** "، في نظريته المشهورة بـ(نظرية النظم)، حيث قال: «...واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغض المسلك في توخي المعاني...أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان فيها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً، وأن يكون

---

1 : الجاحظ، المرجع السابق، ص:89.

2 : محمد خطابي، لسانيا ت النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط1، 1991م، ص: 143-144.

3 : ينظر: المرجع نفسه، ص:144.

4 : ابن طبابا، عيار الشعر، مر: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (د.ط)، 1982م، ص:131.

حالك فيها حال الباني يضع يمينه ههنا، في حال ما يضع بيساره هناك، نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين ... » [1]، هذه النظرة في شرح مفهوم التماسك «تكاد تكون أوضح من شرحها في العصر الحديث» [2]، وقد أشار أيضاً إلى (الاتساق) بنوعيه، حينما أجاب عن سؤاله:

– ما الذي أعجز العرب من النص القرآني؟، فقال:«تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً وآيةً آيةً، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظةً يُنكر شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً...» [3]، فقد أقرّ بأن النص وحدة كليّة باعتباره الوحدة الكبرى في التحليل النصي، كما ذكر عدّة مصطلحات بيّنها علماء اللغة المحدثون، فيكون بذلك قد أقرّ الاتساق الشكلي والانسجام الدلالي الذين هما كل ما يتعلق بالتحليل النصي.

ب– مفهوم الاتساق في الدراسات الحديثة:

إن موضوع الاتساق من الاتجاهات الحديثة في دراسة النصوص اللغوية، وقد تبلورت ماهيته وأسسه في الربع الأخير من القرن المنصرم على يد "هاليداي ورقية حسن"، ومن تبعهما في هذا المجال من علماء الغرب أو علماء العرب.

ب.1– مفهوم الاتساق عند علماء الغرب:

يعتبر كل من "**هاليداي ورقية حسن**" الاتساق بأنه:« علاقة معنوية بين عنصر في النص، وعنصر آخر يكون ضرورياً لتفسير هذا النص، هذا العنصر الآخر يوجد في النص، غير أنه لا يُمكن تحديد مكانه إلا عن طريق هذه العلاقة التماسكية» [4].

– من الملاحظ أن هاليداي ورقية حسن ركّزا على الجانب الدلالي لموضوع الاتساق، «الذي يُحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدّده كنص» [5].

ويذهب إلى ذلك "**فان دايك**" حين حدّد الاتساق على« مستوى الدلالات حيث يتعلق الأمر بالعلاقات القائمة بين التصوّرات والتطابقات والمقارنات والتشابهات في المجال

---

1 : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: علي أبو رقية، موفم للنشر، الجزائر، (د.ط)، 1991م، ص:103–102.

2 : صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق(دراسة تطبيقية على السور المكية)، ج1، ص:127.

3 : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:89.

4 : نقلا عن: أحمد عفيفي، نحو النص(اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص:90.

5 : نقلا عن: محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:15.

التصوّري، كما يتحدّد على مستوى الإحالة أيضاً، أي ما تُحيل إليه الوحدات المادية في متوالية نصية»[1].

إن منظوري "هاليداي" و"فان دايك" يقتربان من بعضهما من وجهتين:

- يهتمان بالوسائل اللغوية التي يُبنى بها انسجام النص(الروابط والترابط) مع تفاوت في تفصيل هذه الروابط.
- يدرسان الانسجام كشيء معطى في النص[2].

والرسم التالي يُوضّح ذلك:

النظام الدلالي

المعاني

↙

الكلمات (النظام الصوتي والكتابة)

↙

الأصوات/الكتابة (النظام الصوتي والكتابة) [(3)].

ويُعيد "محمد خطّابي" للمستوى النحوي والمعجمي دوره في هذه العملية، بعد تعقيبه على هذه النظرة، قائلاً:« إنّ الاتساق لا يتم في المستوى الدلالي فحسب، وإنما يتم أيضاً في مستويات أخرى كالنحو والمعجم»[4].

وتشرح "**جوليا كريستيفا**" أثناء حديثها عن تناغم الانزياحات داخل النص الأدبي، كيفية ربط أجزاء النص بواسطة عناصر أخرى تتحدّدُ وظيفتها بتجاورها مع تلك الأجزاء لتشكل بينهما علاقة تماسك لا تنقضي بأيّ أمر، حيث تقول: «فالدليلان المتعارضان في الأصل(واللذان يشكلان الحلقة الموضوعاتية، حياة/موت، خير/شر، بداية/نهاية...الخ)، يتم ربطهما من جديد وتوسيطهما عبر سلسلة من الملفوظات التي تكون علاقتها مع

---

1 : نقلا عن: صلاح فضل، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص:111.

2 : ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:89.

3 : ينظر: المرجع نفسه، ص:15.

4 : المرجع نفسه، ص:15.

التعارض جلية أو ضرورية منطقياً، وإنما تتسلسل بدون أن يُوقف تجاورُها ذاك أيَّ أمر قاهر»[1].

ولقد أحصى " **ديتر فيهجر** " شرطين لبناء سلاسل اسمية، ويعتبران كمبدأ مؤسس للاتساق النصي، ولا يمكن أن تبني سلاسل اسمية إلا تلك العناصر في نص، التي تتعلق بموضوع واحد بعينه وظاهرة واحدة بعينها للواقع، وبذلك يُعدُّ التطابق الإحالي إلى جانب التكافؤ الدلالي للعناصر شرطاً جوهرياً لبناء سلاسل اسمية...وبوصف تلك العناصر المتكافئة في دلالاتها انعكاسات لظواهر الواقع، يتوفر فيها تطابق إحالي يتعلَّق بحال(واقعة) بعينها، ومن خلال ربط (دلالة الانعكاس) بـ (دلالة الإحالة) يتقرر مبدأ السلاسل الاسمية مبدأ مؤسّساً لتماسك النص[2].

من خلال هذا الرأي نستنتج أن للنص:

– سلاسل اسمية: وتعني تتابع الجمل داخل النص على شكل سلاسل تربط بينها وحدة الموضوع والظاهرة.

– دلالة الانعكاس: وتعني أن العناصر التي يحتويها النص تمثّل المرآة العاكسة لظواهر الواقع.

– دلالة الإحالة: وتعني أن هذه العناصر تُحيل إلى ظواهر الواقع.

وقد عدّ "**ديتر فيهجر**" أساس الاتساق هو تقرير مبدأ السلاسل الاسمية، التي بدورها تنتج عن العلاقة التي تربط (دلالة الانعكاس) بـ (دلالة الإحالة)، فكلاهما أساس للاتساق إذا روعي الجمع بينهما.

ب.2- مفهوم الاتساق عند علمـــــاء العـــــرب:

يعدُّ ما قدّمه "**صبحي إبراهيم الفقي**" رائداً في الدراسة اللسانية العربية، والاتساق عنده يعني:« تلك العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تُسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى... كما يهتم التماسك

---

1 : جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، ومر: عبد الجليل ناظم، دار توباق للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1991م، ص:35.

2 : ينظر: سعيد حسن بحيري، إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008م، ص:271.

بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وأيضا بالعلاقات بين جمل النص، وبين فقراته، بل بين النصوص المكوّنة للكتاب.. ومن ثم يحيط التماسك بالنص كاملاً، داخلياً وخارجياً»[1].

ويُعرّف "**محمد خطّابي**" الاتساق بأنه:« ذلك التماسك بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكوّنة للنص» [2]، أي: يُعنى برصد العلاقات بين أدوات الربط النحوية والمعجمية المختلفة في النص.

ويتضح المعنى العام للاتساق عند دوره في تحقيق الترابط بين بداية النص وآخره، دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة، فهو الذي يخلق بنية النص التي لا يمكن أن تكون مجرّد تتابعات للعلامات ولكنها تملك تنظيماً خاصاً من داخلها ورؤية دلالية من ذاتها، تساعد على أداء الوظيفة العامة المناطة بالنص.

ويقول "**سعيد حسن بحيري**" في الترابط:«... فأشكال الترابط سواء كانت بأدوات معينة أو دون أدوات تستلزم النظر إلى النص بوصفه وحدة كاملة، لأنها استعمالات لغوية غير عادية، ترتكز على عناصر تماسك لا يصرّح بها النص» [3]، ويتّضح من هذا التعريف أن هناك أدوات ترابط شكلية تبدو لنا، وأخرى ضمنية لا يصرّح بها النص، فعلى القارئ استخلاصها من خلال الغوص في ثنايا النص، ومن بين الظواهر التي تعمل على تحقيق الاتساق في مستواه، وهو ما نسميه الآن بوسائل الاتساق، أذكر: الإحالة، والضمائر، والاستبدال، والحذف، والربط المعجمي...الخ.

2- وسائل الاتساق:

للاتساق من المنظور اللساني أشكال متعددة، حددها علماء اللغة وبينوا كيفية إحداثها للاتساق النصي من أجل أداء الوظيفة المناطة به، انطلاقا من الحقيقة التي تعتبر الكتابة التي ينقصها الاتساق فاشلةً في التواصل، أو في توصيل رسالتها إلى القارئ، ومن أشهر الذين اهتموا بهذا الموضوع "**هاليداي ورقية حسن**" في كتابهما (الاتساق في الإنجليزية) الصادر عام 1971م بلندن.

---

1 : صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق(دراسة تطبيقية على السور المكية)، ج1، ص:97.

2 : محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:5.

3 : صلاح فضل، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص:106.

وفي ما يلي أطرح أهم تلك الوسائل التي ترجمها علماء اللغة العرب على غرار "صلاح فضل" و"صبحي إبراهيم الفقي" .

1.2- الربط المعجمي:

وهو الربط الذي يتحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر[1]، فتتحرك تلك العناصر المعجمية داخل النص مع عناصر تتصل بتفسيرها في اتجاه بناء فكرته وتكوينه، مما يُسهم في الفهم والتواصل، ويظهر هذا النوع من الربط بين الكلمات المعجمية في الجملة من حيث هي ذوات دلالات مفهومية على حدّ تسمية علماء النظرية التحويلية (قيود الانتقاء) Sélection Restriction[2].

وهو في نظر(تمام حسان) «ما يقوم بين مفردات المعجم من علاقات تجعلها في أصناف متمايزة، بحيث يلتقي صنف منها بصنف فيصح للكلمة من هذا، والكلمة من ذاك أن يجتمعا في الجملة الواحدة فيستقيم المعنى باجتماعهما، ويتنافر صنف منها مع صنف فلا يستقيم المعنى بالجمع بين مفرداتها في الجملة »[3]، ويتحقق الربط المعجمي من خلال وسيلتين هما:

أ -التكرار:

وهو وسيلة إحالية تكرارية، تتمثل في تكرار لفظٍ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد[4].

مثال: قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[البقرة،الآية:10]. يُساعد تكرار كلمة (مرض) أكثر من مرة في عملية التماسك النصي.

وللتكرار صور عديدة أوردها موجزة:

- تكرار نفس الكلمة (المسمى واحد).
- الترادف أو شبه الترادف وهو: استخدام كلمات لها معنى مشترك(يبتكر- يخترع).

---

1 : نقلاً عن: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، تق: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط 1، 2007م، ص:105.

2 : ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص:297.

3 : المرجع نفسه، ص:297.

4 : ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص(اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص:106.

– الكلمة الشاملة: وهي: تكرار كلمة تكون الثانية عنصر في فئتها(لحم– لحم بقر).

– الكلمة العامة: وهي: مجموعة من الكلمات لها إحالة عامة(مشكلة– سؤال –فكرة – أمر ما) [1].

ب– التضام:

وهو عبارة عن ارتباط عنصر بعنصر آخر خلال الظهور المشترك المتكرر في: سياقات متشابهة[2]، مثل:(تحرير– ورق– كاتب– حبر)، وتنقسم وسائل التضام إلى:

– الارتباط بموضوع معين: مثل: المرض–الطبيب.

– التقابل أو التضاد: مثل: يبرد– يسخن.

– علاقة الجزء بالكلّ: مثل: صندوق–غطاء الصندوق.

– علاقة الجزء بالجزء: مثل: أنف–عين.

– الاشتمال المشترك: مثل: كرسي– منضدة، تشتمل عليهما كلمة(أثاث).

– الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة منتظمة: مثل: السبت–الأحد–الاثنين– ...الخ.

– الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة غير منتظمة: مثل: أخضر– أحمر– أصفر...الخ[3].

ومما سبق، فالتكرار والتضام هي علاقات معجمية تربط الألفاظ بعضها ببعض، بحيث يمكن إدراك هذه العلاقات دلالياً، والربط المعجمي هو موضوع هذا البحث لذا أفردت لكلا طرفيه فصلاً خاصاً به.

2.2– الربط النحوي: ووسائله هي:

أ– أدوات الربط (الوصل): وهي:(لأن–لكن–بالرغم من–عليه) وتُشير إلى العلاقات التي بين مساحات المعلومات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات [4]، لذا فهي وسيلة بناء لتفسير ما سيقدم في علاقته بما سبقه [5]، كما يُطلق على مثل هذه الروابط مصطلح (الانتقال)، حيث يتمكن القارئ بواسطتها التنقل بين الأجزاء المختلفة في النص، وتفسيرها

---

1 : ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:106.

2 : المرجع نفسه، ص:109.

3 : ينظر: المرجع نفسه، ص:109.

4 : روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص:346.

5 : نقلاً عن: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:110.

تفسيراً صحيحاً، وهناك عدة أصناف لأدوات هذا الربط سوف أختار منها ما اعتمد عليه "هاليداي ورقية حسن" وهي أربعة عناصر.

أ.1- الربط الإضافي (الفصل): سُميَ بهذا الاسم لأنه يربط الأشياء التي لها نفس الحالة بواسطة الأدوات(الواو- أيضاً- كذلك- أو- أم) [1]. وتستخدم هذه الروابط أيضاً للتأكيد على الارتباطات غير واضحة في النص، كما يقوم منتج النص بإقحامها لقصد بلاغي، فـ(الواو) تفيد معنى الاشتراك، و(أو) تعطي معنى البديل، أو لفظة "بالمناسبة" يوحي بتقديم فكرة خطرت بالبال في ما بعد، أو كلمات تحمل معنى التشابه الدلالي مثل (على نحو متشابه-مثل هذا)[2].

أ.2- الربط الاستدراكي(وصل النقيض): يربط الاستدراك بين صورتين من صور المعلومات، بينهما علاقة تعارض [3]، مُستخدما في ذلك عدّة أدوات مثل(لكن- مع ذلك- على أي حال- بل- أنا أعني...الخ). مثال:

- حاولت إنجاز البحث بمفردي، لكنني لم أنجح.
- اعتقدتُ أن كل المعلومات التي راجعتُ صحيحة، ومع ذلك يكتشف الأستاذ الخطأ.

أ.3- الربط الزمني: يُعدّ من وسائل الاتساق النصي، إذْ يقوم بربط مجموعة من الجمل تربط بينها علاقة الزمن، حيث تربط هذه الأخيرة بين الأحداث من خلال:

- علاقة التتابع الزمني: ويُعبّر عنها من خلال الأداة(ثم- بعد- على نحو تال- وبعد ذلك...الخ) مثل: دخلت الغرفة، ثم أضأتُ النور. أو: بعد أن دخلتُ الغرفة أضأتُ النور.
- علاقة ما يحدث في ذات الوقت: مثل:(في ذات الوقت- حالاً- في هذه اللحظة...الخ).
- علاقة تُشير إلى السابق: مثل:(مبكراً- قبل هذا- سابقاً...الخ) [4].

أ.4- الربط السببي (التبعية أو التعلّق): وتكون فيه العلاقات بين الأحداث علاقات ذات قوة متينة، على أن الأحداث يمكن أن تكون متعيّنة أو مشروطة بعضها ببعض، وينبغي أن تسمى هذه الفئات الشاملة لمختلف أنواع الروابط مما يُعبّر عنه باقتران تبعية العلاقات

---

1 : ينظر: عزة شبل محمد، المرجع السابق، ص:111.

2 : نقلاً عن: المرجع نفسه، ص:111.

3 : أحمد عفيفي، نحو النص(اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص:129.

4 : عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:112.

بين القضايا والأحداث بلفظ القضايا المتشارطة [1]. ويقع تحت العلاقة السببية الرئيسية علاقات خاصة مثل:(النتيجة-السبب-الغرض-الشرط). ويُعبر عنها من خلال(إذا-لهذا-لذلك- لأن- إذا...الخ) [2]. مثال:

-رسب في الامتحان نتيجة تهاونه.

- كان يتردد على دور النشر لذلك كوّن مكتبة.

- استعمل الدواء لأنه مريض.

-إذا نزل المطر فسَينبتُ الكلأ.

ب- الاستبدال:

هو عملية تعويض عنصر بعنصر آخر، بحيث يكون هذا الأخير له نفس الوظيفة التركيبية (للمُعَوَّض)، كقوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (20)وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (21)﴾[سورة الفتح، الآية: 20-21]. فقد تمَّ استبدال كلمة (مغانم) بكلمة (أخرى)، وأستشهد على صحة ذلك بما ورد في تفسير "الجلالين: (أخرى)هي: صفة (مغانم) [3].

وتنقسم أنواع الاستبدال حسب الوظيفة النحوية لعنصر الاستبدال، إلى ثلاثة أنواع:

ب.1- الاستبدال الاسمي: وتُعبر عنه الألفاظ التالية:(نفس- آخر-أخرى-آخرون-ذات-واحد)، فتُحل محلّ الاسم أو العبارة الاسمية، والآية السابقة خير مثال على ذلك.

ب.2- الاستبدال الفعلي: ويُعبّر عنه بالفعل البديل/الكنائي، حيث يأتي إضماراً لفعل أو حدث معين أو عبارة فعلية، ليُحافظ على استمرارية محتوى الفعل، كقولك: عبدتُك ربي على نهج الرسول وأدري عن يقين ماذا فعلتُ.

---

1 : يُنظر: فان دايك، النص والسياق(استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، لبنان-المغرب، 2000م، ص:103. وقد فصّل في قضية الشرط والتشارط، فذكر له عدّة أنواع مدعّمة بالأمثلة. يُنظر: ص:103، وما بعدها.

2 : يُنظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:112.

3 : محمد أحمد المحلي وعبد الرحمن السيوطي، تفسير الجلالين، دار القرآن الكريم، لبنان، ط1، 2007م، ص:513.

ب.3- الاستبدال الجملي: ويتم فيه استبدال جملة بأكملها بضمير مثل:(هذا- ذلك- تلك...الخ)، ويقع خارج حدود جملة الاستبدال، كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ [سورة النجم، الآية:22]. فكلمة (تِلْكَ) جاءت بدلاً من الآية السابقة لها، وهي: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ﴾ [سورة النجم، الآية:21]. فيعتمد دائماً في تفسير الآية الثانية على التي تسبقها. ومن فوائد الاستبدال أذكر:

- توسيع السيطرة الدلالية لجملة ما، لجملة أو عدّة جمل تليها.
- استخدام الكاتب لأدوات الاستبدال، يجنّبه التكرار المعسر.
- يُعد الاستبدال أحد وسائل الاقتصاد في الاستخدام[1].

ج_ الحذف:

قد تحذف كلمة أو عبارة بدلاً من تكرارها، وتأتي بنية النص صحيحة على تمامها، لكن هذا لا يُتأتى إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة(قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه) يُغني في الدلالة كافياً في أداء المعنى، كما يكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره، [2] كقوله تعالى: ﴿... أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ... ﴾ [سورة التوبة، الآية: 03]. والتقدير: ورسوله بريء منهم أيضاً[3]. وللحذف أنواع ثلاثة:

ج.1- الحذف الاسمي: وهذا النوع يقع داخل الجملة، بحيث يحذف الاسم بعد:

- العنصر الإشاري: ويُعبّر عنه بـ(كل-بعض- أي- كلا- كلتا...). مثال:

توقف اللاعبون عن التدريب في ساعة متأخرة من ليلة أمس. الكل كان متعباً.

- العنصر العددي: ويُعبّر عنه من خلال العدد بـ(أول-ثان-ثالث-رابع ...الخ) أو الكلمات الدالة على الكم مثل:(كثير-قليل-العديد من...)
- العنصر النعتي: كقولنا: أحبّ الإجابة على الأسئلة الصعبة أولاً. أعتقد أن السهلة أفضل لك.

---

1 : نقلاً عن: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:114.

2 : ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2003م، ص:208.

3 : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعارف، لبنان، (د.ط)، 1982م، ج2، ص:332.

ج.2- الحذف الفعلي: أي أن يكون المحذوف عنصراً فعلياً، مثل: هل ذهبت إلى السباحة؟ نعم، والتقدير: نعم ذهبت.

ج.3- الحذف داخل ما يشبه الجملة: ومن المواضيع التي يكثر فيها الحذف الأسئلة التي يُجاب عنها بنعم أو لا، مثال: هل ستأتي غداً؟ نعم[1].

د- الإحالة:

ويُطلق عليها مصطلح الصيغ الكنائية أو الإحالة المتبادلة أو الإرجاعية، وهي عبارة عن مجموع كلمات ليس لها معنى تام في ذاتها، ولتحديد معنى الإحالة المقصود يجب أن تحيل إلى كلمات أخرى. مثل:(هو- نحن- هذا- هذه)[2]، وهي في ذلك تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه [3]. وتنقسم الإحالة إلى قسمين:

د.1- الإحالة النصية(الداخلية):

سميت بذلك لإحالتها العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ[4]، أي: أن العنصر المشار إليه موجود في محيط النص، وتنقسم بدورها إلى قسمين:

- **الإحالة السابقة(البعدية):** تعدُّ الإحالة البعدية الأكثر شيوعاً من بين الأشكال الأخرى، وهي تشير إلى أنها تعود على مفسِّر سبق التلفظ به. مثل قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[سورة البقرة، الآية:37]. وإذا ما تأملنا هذه الآية نجد لفظ (ربه) هو المحال عليه، وقد ارتبط بمجموعة من الإحالات المتنوعة، منها المضمر ومنها الضمير، كما في(فتاب، إنه، هو). وكذلك لفظ (عليه) يحيل إلى لفظ (آدم).

- **الإحالة اللاحقة(القبلية):** وهي تشير إلى أنها تعود على مفسِّر مذكور بعدها في النص. مثل قول الشاعر:

وهو الرّبُّ والشهيدُ على يـــــو *** م الحِيَارَين والبَلاءُ بلاءُ [5].

---

1 : ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:118.

2 : نقلاً عن: المرجع نفسه، ص:118.

3 : محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:17.

4 : عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:123.

5 : الحسين بن أحمد الزَّوزَني(أبو عبد الله)، شرح المعلقات السبع، تق: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط 2، 1425هـ-2004م، معلقة الحارث بن حلّزة اليشكري، البيت:82، ص:245.

والعنصر المحال إليه(الرب–الشهيد)أتى بعد الضمير (هو).

د.2– إحالة سياقية(خارجية):

وتشير إلى أن العنصر المشار إليه محدد في سياق الموقف [1]، ويحتاج هذا النوع من الإحالة إلى المقام أو السياق أو المعارف السابقة لتفسيره. مثل قوله تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38)وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39)إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40)وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (41)وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (42)﴾[سورة الحاقة، الآية: 38–42]. (إنّه) أي: القرآن الكريم (وما هو) أي: القرآن نفسه، فعرفنا ذلك بمعرفة سابقة.

ويشير "هاليداي ورقية حسن" إلى أنه يوجد في أيّ لغة عناصر معينة لها خاصية الإحالة، لتكون ثلاثة أنماط للإحالة، هي:

1– الإحالة الشخصية: أو الضمائر الشخصية، ويندرج تحت هذا النمط الأنواع التالية:

– **الإحالة الممتدة:** وتُشير إلى عملية أو تتابع من العمليات أو واقعة معقّدة، ويستخدم لها في العربية العنصر(هو أو تلك) اللذان يعودان على الأشياء.

– **الإحالة المطلقة:** وتنطبق على الحال التي يتناول فيها المتكلم موضوعاً عاماً فيعالجه دون أن يربطه بزمان معين وكأنه حقيقة دائمة أو حال ثابتة، ويلاحظ هذا بشكل عام في الأبحاث العلمية والنظرية وفي الحكم والأمثال، كقولنا:(من وجد الإحسان قيداً تقيَّدا).

– **الإحالة الخارجية العامة:** ويكون المرجع متصلاً بسياق الموقف، وأدواتها(نحن– أنت– هم– هي– المرء). مثل: كيف مضى اليوم؟ الجواب، من الأساتذة إلى المذكرة.

2– الإحالة الإشارية: ويميز داخلها بين ثنائيات هي:

– العناصر الدالة على القرب (هذا– هذه)، والعناصر الدالة على البعد (ذاك).

– العناصر الدالة على المفرد (ذاك– هذا)، والعناصر الدالة على الجمع (اللذين).

– العناصر الدالة على المكان(هنا– هناك)، والناصر الدالة على الزمان (الآن–آنذاك)[2].

3– الإحالة المقارنة: ويفرّق "هاليداي ورقية حسن" بين نوعين من الإحالة المقارنة:

---

1 : نقلاً عن: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:123.

2 : ينظر: المرجع نفسه، ص:123–124.

- **المقارنة العامة:** وتقع بين محوري التشابه والاختلا ف دون أن تأخذ في الاعتبا ر صفة معينة. فهي تأخذ شكل التطابق أو التشابه أو الاختلاف.

مثال: إنه نفس المرجع الذي رأيناه بالأمس.

إنه مرجع مشابه لذلك الذي رأيناه بالأمس.

إنه مرجع مختلف عن الذي رأيناه بالأمس.

- **المقارنة الخاصة:** عكس المقارنة العامة؛ فهي تأخذ في الاعتبار صفة معينة عند مقارنتها بين شيئين سواء من حيث الكم أو الكيف[1].

مثال: إن الطالب المجتهد يسأل بطريقة منظمة مثل ذلك الباحث.

3.2- الربط الصوتي:

لقد انكب اهتمام علماء اللغة على دراسة وسائل الربط وتنوعها، من الربط معجمي إلى الربط النحوي وحتى الربط الصوتي، وهذا الأخير يُعدُّ أحد الوسائل الشكلية التي تزيد في تماسك النص، حيث يلعب دوراً كبيراً في إنتاجه وسهولة تلقيه واستيعابه وحفظه وروايته، كما يُعدّ أحد الاستراتيجيات التعليمية التي ارتبطت بالفن السردي سواء على مستوى الألفاظ الغريبة أو الأساليب البلاغية.

كما قدمت البلاغة العربية من خلال (علم البدي ع) دراسات متعددة تتناول موضوع الكشف عن أنواع الروابط الصوتية في النصوص العربية من وزن وقافية وسجع وجناس، وهي العناصر المشكّلة للربط الصوتي.

ج.1- السجع: مصدر للفعل (سجع) الرجل سجعاً، إذا تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر[2]، وهو وحدة الحرف الأخير في الفاصلتين، ويقع في النثر كما هو في الشعر، كما ذهب النثر بفاعلية السجع داخله، فقد ذهب الشعر بالوزن والقافية[3].

وينقسم السجع في النثر إلى ثلاثة أضرب:

---

1 : نقلاً عن: عزة شبل محمد، المرجع السابق، ص:124.

2 : الكلاعي، إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، تح: محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985م، ص:227.

3 : عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، ط4، 2001م، ص:346.

– **التصريع أو المرصع:** يتحقق إذا كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية. مثل قوله تعالى :﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26) ﴾ (**سورة الغاشية**).

– **المتوازي:** هو اتفاق الفاصلتين في الوزن والتقفية. مثل قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13)وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ(14) ﴾ (**سورة الغاشية**).

– **المطرف:** هو ما اتفقت فيه الفاصلتين تقفيةً لا وزناً، كقوله تعالى:

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا(1)فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا(2) ﴾ .(**سورة المرسلات**)[1].

ج.2– الجناس: وهو تشابه كلمتين في النطق واختلافهما في المعنى[2]، وينقسم إلى قسمين:

ج.1.2– الجناس التام: هو ما اتفق فيه طرفاه على أربعة أمور:

(جنس الحروف– وعددها– وضبطها–وترتيبها).

وللجناس التام ثلاثة أضرب هي: المماثل والمستوفي والمركّب.

ج.2.2– الجناس غير التام: هو ما اختلفت لفظتاه في أحد من الشروط السابقة الذكر، وهو ثلاثة أقسام أيضاً، هي: المضارع واللاحق والمصحّف.

ومع هذا تبقى هناك أقسام أخرى لأنواع الجناس لم أذكرها وهي مفصلة في كتب البلاغة، والمقام لا يسمح بذكرها.

ج.3– الوزن والقافية: وهما عنصران صوتيان يلعبان دوراً كبيراً في عملية الاتساق على مستوى النص الشعري، وبما أنه لا يفيد في دراسة السرد، فإنه لا يحسن بنا الإطالة والتفصيل فيه.

لقد ذهب الشعر بالوزن والقافية بحقٍ فهما موسيقى مزدوجة شقها الأول أفقي ممثلاً في الوزن، وشقها الثاني رأسي ممثلاً في القافية [3]، على ذلك تقوم موسيقى الشعر، كما تُعدُّ موسيقى الشعر العربي بناءً جوهرياً يُفيدُ في تشكيل النص الشعري، ويقوم بوظيفة جمالية،

---

1 : عبده عبد العزيز قلقيلة، المرجع السابق، ص:346

2 : ينظر: المرجع نفسه، ص:329.

3 : ينظر: المرجع نفسه، ص:340.

بل ذهب الوزن والقافية إلى أبعد من ذلك فهما ما يُميّز الشعر، ألا نسمع أن الشعر هو: الكلام الموزون المقفى الدال على معنى.

-والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو:

-هل هناك علاقة بين وسائل الربط الصوتي عامة والكفاءة السردية للنص؟

ومحاولةً للإجابة على هذا السؤال: فإن النص قد يلجأ أحياناً إلى التنويع في استخدام وسائل البديع لأغراض عدة، منها الخروج عن المألوف مثلاً أو إثراء النص حتى يترفع عن براثن التسلية والارتقاء به إلى الوظيفة التعليمية التي يُجهد طاقته فيه لمعالجة قضية اجتماعية بأسلوب راقٍ يتماشى وطبيعة النص، فوسائل البديع في ذلك تجدها محدودة النظام، أما تنويعات النص فمتعددة، لذا فهو في استحضار واتصال دائم مع تلك الوسائل.

ملخّص الفصل الأول

بعد الانتهاء من إعداد هذا الفصل والذي يُمهّد نظرياً للجانب التطبيقي، أخلص إلى النتائج التالية:

– تأسّست الدراسات اللسانية على مفهوم الجملة الذي يتميز بالتنوع والاختلاف حتى إنه توجد تعريفات عديدة للجملة وردت قديماً وحديثاً، إلا أن القديمة منها كانت تخلط بينها وبين الكلام،

والحديثة أعطتها حداً آخراً

– لقد نتج عن تطوّر الدراسات اللسانية عبر فترات الزمن أهم تحوّل شهدَه هذا العلم؛ إذْ أن نشأة اللسانيات النصية مدينة للنحو التوليدي الذي أسهم بشكل مباشر في الانتقال من بنية الجملة ومكوناتها القاعدية إلى البحث المنظم في العلاقات بين الجمل في بنية أكبر يمثّلها النص، وقد تمّ تجاوز حدود الجملة إلى النص لعدم كفاية الأولى وحدها للوصف اللغوي، وهنا اتفق الباحثون على اعتبار أن النص ككل وحدة التحليل الكبرى.

– تبعاً لهذا التحوّل فقد كان لا بدَّ من الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص، وإن كانت الصلة بينهما وثيقة إلى الحدّ الذي لا يمكننا التمييز بينهما.

– إن كل متتالية من الجمل تشكّل نصاً، شرط أن يكون بين هذه الجمل علاقات، تتمُّ هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة تؤدي مجتمعة وظيفة نصية وتواصلية ضمن النص الأكبر، وعليه فالنص إنتاج مترابط متسق ومنسجم وليس(رصفاً اعتباطياً للكلمات والجمل وأشباه الجمل).

– النص هو مجموعة من الأحداث الكلامية التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي ومتلقٍ له، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بمضمون الرسالة، وموقف اتصالي يتحقق فيه التفاعل، كما أنه نسيج من الكلمات المرتبطة مع بعضها البعض وفق علاقات نحوية ومعجمية وتركيبية وصرفية لتأدية غرض أو غاية ما.

– كما يمكنني أن أخلص إلى أن لسانيات النص هي ذلك العلم الذي يهتمُّ بدراسة النصوص من حيث إنها بنية مجرّدة، كما تدرسه انطلاقاً من اعتباره بنية لغوية كبرى.

– تسعى لسانيات النص إلى اكتشاف العلاقات النسقيّة المؤدية إلى اتساق النّصوص وانسجامها، والكشف عن أغراضها التداولية من خلال تحليل البني النصّية بإحصاء الأدوات والروابط التي تُسهم في ذلك، ويتحقق الاتساق بإبراز دور تلك الروابط في الجمع بين عناصر النص والاهتمام بسياقها الداخلي وفق أنظمة التواصل المختلفة.

– يشترك نحو الجملة مع نحو النص في صفتين هما:

أ– السبك: وهو نوع من أنواع الربط المعجمي، حيث يرتبط عنصر بعنصر آخر من خلال الظهور المشترك المتكرر في سياقات متشابهة. مثل(الحرب، الأعداء، الصراع، الجنرال). وهذه الأحداث أو المكونات التي تُمثّل النص في مجموعها، تُحقق مع وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكينونته واستمراريته.

ب– الحبك: هو العلاقة المعنوية بين عنصر في النص، وعنصر آخر يكون ضرورياً لتفسير هذا النص، هذا العنصر الآخر يوجد في النص، غير أنه لا يُمكن تحديد مكانه إلا عن طريق هذه العلاقة التماسكية (بحسب رأي هاليداي ورقية حسن).

– لقد تمَّ توسيع مفهوم النص من خلال مفهوم الاتساق الذي ليس له طبيعة نحوية فحسب، بل يتضمن في الوقت نفسه جوانب تتعلّق بموضوع النص وجوانب دلالية، ويرتكز الاتساق على أساس دلالي محوري مجرّد للنص.

– الاتساق هو الكيفية التي يتماسك بها النص ليتميز عمّا ليس نصاً، ويختص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في النص، أي أنّ معيار الاتساق يقوم بإجراءات حيث تبدو له العناصر السطحية للنص على صورة وقائع يؤدي السابق منها اللاحق–كما يؤكد ذلك فان دايك–، ويتحقق ذلك بتوفير مجموعة من الوسائل التي تجعل النص محتفظاً بكينونته قادراً على التواصل، ومن بين هذه الوسائل: الربط المعجمي الذي أحاول أن أكشف عن أثره في إحداث الاتساق داخل النص القرآني، وفي تقسيمه إلى تكرار وتضام اعتمدت على كتاب(علم لغة النص النظرية والتطبيق لـ"عزّة شبل محمد"). فأفردتُ لكليهما فصلاً تطبيقياً خاصاً.

الفصل الثاني:

أثر التكرار في اتّساق النص القرآني

I. تمهيد:

لم يقف علماء اللغة عند حدّ الإطار النظري لعملية الاتساق وآلياته فحسب، بل ذكروا أنواعا من العلاقات في النص، وبينوا كيف تترابط الجمل والفقرات مكونة النص الكبير في بيان مدهش ، وقد أجمعوا على أنّ النص مهما طال أو قصر يتميز بجملة من المقومات أو الخصائص المقالية، تعود إلى اتساق أو تماسك نسيجه التركيبي أو البنيوي، ومقومات أو خصائص سياقية مقامية، تعود إلى انسجام تلك البنية أو ذلك النسيج مع مقاصده وأغراضه التبليغية، وهذه المقومات ترتبط ارتباطاً وثيقا بتحقق ما يعرف ببنية النص [1]، التي تنتظم المعلومات داخلها وتلتحم وفق نظام خاص، تلعب مقومات الاتساق فيه دوراً هاماً في عملية رصد علاقاته، وهذه الأخيرة التي تشغل حيزاً يكون به النص كائناً مستقلاً بنفسه من خلال انتظام كلماته ومركباته وجمله، تُشكّل بذلك سلاسل جملية تتعالق فيما بينها بروابط نحوية ومعنوية مختلفة، تمثّل مجال (نحو النص) الذي مداره الترابط بين أبنية النص الصغرى (العبارات والجمل) والكبرى (القطع والفقرات)، مؤدية وظيفة تبليغية أو مهمة الفهم أو الإفهام[2].

ومن بين الظواهر اللغوية التي تندرج ضمن الآليات المسئولة عن إحداث اتساق على مستوى اللفظ النصي ظاهرة (التكرار)، التي يدور حولها محور الدراسة في هذا الفصل، لذا سوف لن أتطرق إلا للأمور التي لها علاقة بين التكرار ووظيفته النصية والابلاغية، ومنها:

- العلاقة بين المعنى المعجمي للتكرار والاتساق النصي.
- أنواع التكرار ووظائفه داخل النص القرآني.
- دوره في تحقيق الاتساق في سورتي الرحمان والواقعة.

II. مفهوم التكرار:

1. **لغةً:** جاء في لسان العرب عند مادة (كرر): كرّر، ومصدره الكرّ، كرَّ عليه يكرُّ كراً، وكُروراً وتكرار، والكرُّ: هو الرجوع، يقال: كرَّه وكرَّ بنفسه يتعدّى ولا يتعدى.

---

1 : ينظر: يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 453.

2 : ينظر: المرجع نفسه، ص: 472.

وكرّ عنه ورجع، وكرَّ على العدوّ يَكُرُّ، ورجل كرار، ومِكَرّ، وكذلك الفرس، وكرر الشيء، وكَركَرَهُ أعاده مرّة أخرى.

والكَرَّة: المرّة، والجمع كرّات، ويقال: كَرَرْتُ عليه الحديث، وكَرْكَرْتُهُ إذا رَدَدْتُهُ عليه.

والكرُّ: الرجوع على الشيء ومنه التّكْرار.

والتَّكِرة: بمعنى التكرار.

وكَرَرْتُ الشيء تَكْريراً و تكْراراً.

وتَكَرْكَرَ الرجلُ في أمره أي: تردّد، والمكرّرْ من الحروف: الراء، وذلك لأنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتغير بما فيه من التكرير، لذلك أُحْتُسب في الإمالة بحرفين[1].

فمن معاني التكرار إذن: الرجوع، مما يلاحظ أن علاقة التكرار تشمل الإحالة القبلية أو السابقة بالرجوع لما سبق ذكره في النص بتكراره مرة أخرى.

ومن معانيه كذلك: البعث والتجديد، وكأنّه يريد القول بأن المتكلم يذكر عدّة جمل متتالية وبعد فترة من الحديث يكاد المستمع أن يصل إلى نسيان ما قيل في أول الكلام، فنجد المتكلم يعود ليكرّر بعض ما قاله أولا ليذكّر المستمع ويبعث الجملة من جديد.

ومن معانيه أيضاً: الضّم، ومنه ضمّ ظلفيت ي الرّحل، وفي هذا تحقيق للتماسك بين هاتين الظلفتين، ومن ثم يبدو فيه معنى الاتساق[2].

2. اصطلاحاً:

يُعدُّ التكرار واحداً من الظواهر اللغوية التي لها إسهامات عديدة على مستوى النص، ولأهميته أُفردَتْ له عدّة دراسات سواء عند القدماء أو المحدثين، محاولين تحديده كمصطلح، ورغم تباين آرائهم في ذلك واختلافهم سواء أكانوا نحاة أم بلاغيين أم نقاداً، إلا أنهم اجتمعوا على أنه إعادة للفظ أو للمعنى.

1.2- التكرار في الدراسات العربية القديمة:

أ- عند النحاة واللغويين: ذكر النحاة واللغويون العرب مصطلح التكرار ضمن مؤلفاتهم تحت باب (التوكيد) كباب من أبواب النحو العربي، وقد كان من بين هؤلاء:

---

1 : ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج:05، مادة (كرر)، ص:135-136.

2 : ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)،ج2، ص: 18.

"**ابن جني**" الذي يقول عن التكرار:« اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكَّنته واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد وهو على ضربين:

– أحدهما: تكرير الأول لفظه، وهو نحو قولك: قامَ زيدٌ قامَ زيدٌ، وضربتُ زيداً ضربتُ، وقد قامت الصلاة قد قامت الصلاة.

– الثاني: تكرير الأول بمعناه وهو على ضربين. أحدهما للإحاطة والعموم كقولك: أقام القوم كلهم. والآخر للتثبيت والتمكين كقولنا: قام زيدٌ نفسه»[1].

يمكننا أن نخلُص إلى القول: بأنّ العرب لا تلجأ لاستعمال التكرار إلاّ لفائدتين:

– التأكيد على الكلام المكرّر.

– إظهار العناية بالمتكلم به.

ويثبت هذا المعنى قول"**سيبويه**"(ت180هـ) في وصف التكرار:« واعلم أن هذا الباب أتاه النصب كمنصوب بما قبله من المصادر في أنّه ليس بصفة ولا من اسمٍ قبله، وإنما ذكرته لتُؤكد به، ولم تحمله على مضمرٍ يكون ما بعده رفعاً وهو مفعولٌ به.

ومثل نصب هذا الباب قول الشاعر، وهو الراعي[من الطويل]:

دَأَبْتُ إلى أن يَنْبُتَ الظِّلُّ بعدما ... تَقَاصَرَ حتّى كاد في الآلِ يَمْصَحُ

وَجيفَ المطَايا ثمَّ قلتُ لصُحبتي ... ولم ينْــزلوا أبْــردتُمُ فَتَــــرَوَّحُوا

لأنه قد عُرف أن قوله:(دأَبتُ)، سِرتُ، لما ذُكر في صدر قصيدته، فصار(دأبتُ) بمنزلة(أوجفتُ) عنده، فجعل(وجيفَ المطايا)توكيداً لـ(أوجفتُ) الذي هو في ضميره»[2].

ب– عند علماء البلاغة: تظهر عناية علماء البلاغة بالتكرار أكثر، من حيث كوننا نستطيع التعرّف على هذه الظاهرة في كتبهم، ومن ثم استجلاء مظاهرها وأهميتها في بناء المعنى داخل النصوص، كما نجد علماء البلاغة على قسمين من حيث قبولهم للتكرار:

–**القسم الأول:** ويُمثله فريق عزف عن الحديث في التكرار، بل عابه وعدّه طعناً في بلاغة الكلام، ومن بينهم" **ابن سنان الخفاجي**" (ت466هـ)، إذْ يقول:« وما أعرفُ شيئاً يقدحُ في

---

1 : أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط 2، (د.ت)، ج3، ص:101–104.

2 : عمر بن عثمان بن قنبر(سيبويه)، الكتاب، تع: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1420هـ–1999م، ج1، ص:450–451.

الفصاحة، ويغضّ من طلاوتها أظهر من التكرار لما يؤثر تجنبه وصيانة نسجه عنه...» [1].

و"**يحيى بن حمزة العلوي**" (ت745هـ)، الذي أكّد أنّ« الحرف الواحد إذا تكرر في الكلام المنظوم أو المنثور، كان ثقيلاً على الأنفس نازلاً عن الفصاحة، مُعيباً في البلاغة»[2].

-**القسم الثاني:** يُمثله فريق التفتَ إلى الظاهرة بوصفها إحد ى الأساليب التعبيرية التي لا يمكن إهمالها، فنجدهم قد ميّزوا بين نوعين من التكرار، فتكرار حسن يظهر عند أصحاب الفصاحة ومن عُرف بدقّته في التعبير، وتكرار قبيح يحطُّ من قيمة السياق يظهر عند الكثير من الناس ومن هم دون الفصاحة، ومن بين الذين خاضوا في هذا الموضوع بالشرح والتفصيل" **ابن الأثير**" (ت637هـ)، الذي عرّف التكرار بقوله:« هو دلالة اللفظ على المعنى مردّداً، كقولك لمن تستدعيه:(أسرع أسرع)، فإن المعنى مردّد واللفظ واحد»[3].

و"**السيد أحمد الهاشمي**" من الذين وسمو التكرار بالتوكيد، حيث قال:« يُؤتى به (التكرار) للأغراض التي يدل عليها فيكون:

- لمجرّد التقرير وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع نحو: جاء الأميرُ الأميرُ.
- وللتقرير مع دفع توهّم خلاف الظاهر نحو: جاءني الأميرُ نفسُه.
- للتقرير مع دفع توهم الشمول، نحو قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [ص، الآية:73].
- ولإرادة انتقاش معناه في ذهن السامع، نحو قوله تعالى:﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة، الآية:35]»[4].

---

1 : ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيحي، القاهرة، ط1، 1996م، ص:96.

2 : يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، ج3، ص: 52. نقلاً عن: فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان، ط1، 2004م، ص:23.

3 : ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط 2، ج2، ص:345.

4 : السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، إشراف: محمد جميل، دار الفكر للطباعة والتوزيع، بيروت– لبنان، 1424هـ– 2003م، ص:134.

2.2- التكرار في الدراسات الحديثة:

تناول المحدثون التكرار وفق رؤية جديدة تبتعد في كثير من الأحيان عن تلك النظرة القديمة؛ إذ« إنه الآن نقطة مركزية ترتبط كثير من الدلالات والأفكار به عبر الخيوط التعبيرية المختلفة» [1]، فهو تحقيق لبلاغة التعبير، وتأكيد للكلام والجمال في الأداء اللغوي، والدلالة على العناية بالشيء الذي كرر فيه الكلام[2].

يشرح "كلاوس برينكر" التكرار بأنه تطابق الإحالة(تساوي الإشارة) لتعبيرات لغوية معيّنة في الجمل المتعاقبة لنص ما، إذْ يُكرّر تعبير معيّن(كلمة أو ضميمة مثلاً) من خلال تعبير أو عدّة تعبيرات في الجمل المتتابعة للنص في صورة مطابقة إحالية (تصريحية أو ضمنية)، والمطابقة الإحالية والتحاول Koreferenz أشخاصاً، وأشياء وأحوالاً، ووقائع، وأفعالاً...الخ[3] .

و**التكرار** في اصطلاح علماء لغة النص شكل من أشكال التماسك المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف أو شبه مراد ف.. قصد التأكيد[4]. وقد أدرجه بعضهم ضمن الإحالة، حيث يصف الأزهر الزنّاد-الإحالة التكرارية- بأنها الإحالة بالعودة وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد. والإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دَوَرَاناً في الكلام[5].

ويقصد بالتكرار عموماً إعادة لفظين يكون المرجع فيهما واحداً، مثل عودة الضمير على متقدم في مثل قولنا: السماءُ نجومُها مضيئةٌ، فالضمير(الهاء) يعود على متقدم هو(السماء)، ولا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلى ما يحيل إليه، ومن ثم ترتبط الكلمة (الثانية) بالكلمة (الأولى). ويعد هذا التكرار من قبيل الإحالة إلى سابق، ويمكن أن يتمظهر العنصر المكرر في أشكال مختلفة، فإما أن يكرر الدال مع مدلول واحد، وإما أن يكرر مع مدلول يتحقق من جديد في كل مرة أو يتكرر المدلول الواحد مع دالاّت مختلفة، مما يؤكد السمة البنيوية للتكرار في النصوص.

---

1 : فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، ص36.

2 : ينظر: محمود سليمان ياقوت، علم الجمال اللغوي، دار المعرفة الجامعية، مصر،1995م، ج1، ص:499.

3 : ينظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص(مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ص38-49.

4 : نقلاً عن: أحمد عفيفي، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص106.

5 : الأزهر الزّناد، نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)، ص119.

فالتكرار إذن، هو إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة باللفظ نفسه أو بالترادف لتحقيق وظائف كثيرة، أهمها الربط بين عناصر النص المتباعدة، وتحقيق الاتساق الذي يضمن عملية الفهم أو الإفهام.

III. أنواع التكرار: وينقسم إلى أربعة أقسام:

1- التكرار المباشر 2- التكرار الجزئي 3- الاشتراك اللفظي 4- الترادف.

1- التكرار المباشر: أو التكرار المعجمي البسيط.

ويُقصد به تكرار الكلمات في النص دون تغيير، بما يعني استمرار الإشارة إلى العنصر المعجمي [1]. أو هو« تطابق الإحالة(تساوي الإشارة) لتعبيرات لغوية معيّنة في الجمل المتعاقبة لنص ما، إذْ يُكرّر تعبير معيّن(كلمة أو ضميمة مثلاً) من خلال تعبير أو عدّة تعبيرات في الجمل المتتابعة للنص في صورة مطابقة إحالية. المطابقة الإحالية والتحاول Koreferenz أشخاصاً وأشياء وأحوالاً ووقائع وأفعالاً وتصورات...الخ»[2].

وقد تنوّعت أشكال التكرار المباشر في القرآن الكريم، كما يظهر في سورة "الرحمان"[*]، فنجد تكرار الكلمة الواحدة مثلا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴿٧﴾أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴿٨﴾وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴿٩﴾.

فلفظ "الميزان" أعاده ثلاث مرات، «فصرّح ولم يضمر، ليكون كل واحد قائماً بنفسه، غير محتاج إلى الأول »[3]. والميزان أصله «اسم آلة الوزن، والوزن تقدير تعادل الأشياء وضبط مقادير ثقلها، وهو مِفْعال من الوزن.. وشاع إطلاق الميزان على العدل باستعارة لفظ الميزان للعدل على وجه تشبيه المعقول بالمحسوس»[4].

وهذا التكرار للفظ الواحد في ثلاث آيات متتاليات يبدو للوهلة الأولى أنه تكرار عادي لا يؤدي إلى معنى سوى تناسق الوزن، إلا أن لكل لفظة وظيفة تؤديها على حدا؛ فـ«الميزان

---

1 : ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص143.

2 : كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص(مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ص38.

(*): الرحمان: سورة مكية، وتسمى عروس القرآن تشبيها لما كثر فيها من تكرير "فبأي آلاء ربكما تكذبان"بما يكثر على العروس من الحلي في كل ما تلبسه. وكذلك سميت في كتب السنة وفي المصاحف بسورة الرحمان لأنها ابتدأت باسمه تعالى "الرحمان" ». ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)،1984م، ج27، ص:227-228.

3 : محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، (د.ط)، (د.ت)، ص231.

4 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:237-238.

الأول يعني ميزان الدنيا، والثاني ميزان الآخرة، والثالث ميزان العقل » [1]، كما ذهب إلى ذلك الكرماني في مؤلفه الموسوم بـ(أسرار التكرار في القرآن).

إلا أنّ القارئ لهذه الآيات الثلاث يلفت انتباهه هذا التكرار الظاهر للفظ "الميزان" في آخِرِ كل آية، مما يدل دلالة واضحة على أهمية العدل في حياة البشر، وأن الله عز وجل هو الذي افترضه بعد رفعه السماء، ثم طلب من عباده ألا يتجاوزوه إلى الظلم والخسران.

ويطرح هذا الأمر إشكال عدد المفعولات حينما يتعلق الأمر بتعدد جملة الحمل «إذ لا إشكال في أن تتعدد المفعولات بتعدد الحمول» [2]، وهذه الآيات تأخذ وظيفة المفعول في نظرية النحو الوظيفي، فقوله تعالى:

1 -**وَوَضَعَ المِيزَانَ**.

2 -**أَلَّا تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ**.

3 -**وَلَا تُخْسِرُوا المِيزَانَ**.

يأخذ المكوّن(**المِيزَان**)في كلا الآيتين(1و2)الحالة الإعرابية النصب(م. به) بمقتضى الوظيفة التركيبية المفعول المسندة إليه في مستوى إسناد الوظائف التركيبية إلى موضوع الحمل الرئيسي (رقم:1)، حيث سبقت هذه الأخير بأمر عظيم وهو(رفْع السماء)«تنويها بشأن العدل بأن نسب إلى العالم العلوي، وهو عالم الحق والفضائل، وأنه نزل إلى الأرض من السماء، أي هو ممّا أمر الله به »[3]، وقد تكرّر لفظ(**المِيزَان**)ظاهراً في مقام الضمير تنبيها على شدة عناية الله بالعدل، كما يأخذ المكون نفسه في الآية(رقم: 2) الحالة الإعرابية نفسها للمكون(رقم:1و3)، فيحمل على معنى العدل كونه منصوباً على نزع الخافض[4].

أَلَّا تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ ← **بعد نزع الخافض** ← لا تطغوا ميزانكم

1 : محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، ص:231.

2 : أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية(الوظيفة المفعول في اللغة العربية)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، (د.ط)، 1987م، ص:91.

3 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:238.

4 : ينظر: المرجع نفسه، ص:240.

وعلى حمل هذا المكون على معنى آلة الوزن يكون النهي عن الإنقاص بمعنى التطفيف في الميزان، كما قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَنقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ** ﴾.[هود.الآية:83]. وهذا من بديع نظمه تعالى الصالح لهذه المحامل المختلفة.

وقد تجلى تكرار الكلمة الواحدة في إعادة الفعل أكثر من مرة في نفس الآية عند قوله تعالى في سورة الرحمان: ﴿**يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**﴿٣٣﴾.

والفعل (تنفذوا) من نَفَذَ ينْفُذُ نفاذاً ونفوذاً، بمعنى: «جواز شيء عن شيء وخروجه عنه»[1]، ويقال: انفُذْ عنك، بمعنى: امض عن مكانك وجُزْه (أي تجاوزه) لتصل إلى غيره، ويقال: طريق نفاذ، أي: طريق مجاز ومنفذٌ للعامة والخاص وليس بمسدود[2]، وهذا إعلان لهم بأنهم في قبضة الله تعالى لا يجدون منجىً منها، وهو ترويع للضالين والمُضلّين من الجنّ والإنس[3]، بل أكثر من هذا فتكرار هذا الفعل بالبحث عن مهرب من قضاء الله في الدنيا وعقابه في الآخرة ليُؤدي وظيفة التوكيد على التدليل على العجز عن قوتهم للحساب غداً بالعجز عن نفوذ الأقطار اليوم[4].

فيقوم تكرار الفعل (تنفذوا) بدوره في ربط معاني الآيات بعضها ببعض، وتوصيل الغرض الأساسي للسورة بالأغراض الثانوية المتعلقة به، وذلك باستخدام روابط الاتساق الأكثر شيوعاً كالفعل المضارع، الذي عمل على خلق استمرارية في الحركة وسرعة في التتابع النفسي عند قراءتها، وهو ما يتفق بالتأكيد مع الصورة الحركية المطردة في كل آيات السورة، مما يوحي بالهيمنة والسيطرة من الله سبحانه وتعالى على هذا الكون الفسيح بكل ما فيه من إنس وجن وسماوات وأرض وظواهر طبيعية وغيرها.

وهناك اختيار معجمي لافت يطالعنا عند وصف الجنان في سورة الرحمان، ينحصر في سياقين ضمن مشاهد ثلاثة: مشهد الطبيعة، ومشهد المرأة، ومشهد المتّكَأ. قال عزّ وجلّ

---

1 : محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج27، ص:258.

2 : ابن منظور، لسان العرب، ج03، مادة (نفذ)، ص:516.

3 : ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:258.

4 : ينظر: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي(أبو البركات)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، ط 1، 1430هـ–2009م، ج02، ص:592.

في سورة الرحمان: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴿٤٦﴾﴾. وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴿٥٤﴾﴾. وقال أيضاً: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴿٦٢﴾﴾. وهي أمثلة أخرى للتكرار المباشر، والذي تَمثَّل هذه المرة في إعادة لفظ(الجنتين)، حيث تكررت على صيغة المثنى ثلاث مرات، لكل مُتّقٍ تحفان بقصره في الجنة، ويقول بعض المفسّرون أنّهما جنّتان ضمن الجنة الكبيرة المعروفة، ولكن اختصاصهما بالذكر في هذا المقام قد يكون لمرتبتهما، وهو مقام الإنعام وتذكير المولى عزّ وجلّ عباده بآلائه ونعمه [1]، فالجنّة في هذا السياق لا تضاهيها نعمة، وفائدة هذا التكرار لا تخرج عن الغرض العام للسورة، وهو تعداد آلائه وفضائله تعالى على عباده، حيث اعتمد عنصر التشويق في إعادة لفظ(الجنتين)، والجنة أو الجنتان من عظيم مِنَنه عزّ وجل.

ومن أمثلة التكرار المباشر أيضاً في النص القرآني إعادة الآية الواحدة عدة مرات، وهو ما يظهر عند قوله تعالى في سورة الرحمان: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. تكراراً عُرفت به هذه السورة حتى سُمّيت عروس القرآن [2]، حيث خَلقت نوعاً من الاتساق والترابط، خاصة أن(الفاء) جاءت رابطة للآية التي قبلها، وكذلك استخدام(الفعل المضارع)عمل على خلق استمرارية في الحركة وسرعة في التتابع النفسي عند قراءتها، وهو ما يتفق بالتأكيد مع الصورة الحركية المطردة في كل آيات السورة، مما يوحي بالهيمنة والسيطرة من الله سبحانه وتعالى على هذا الكون الفسيح بكل ما فيه من ظواهر طبيعية، وزمن فائت وآني ومستقبلي.

وقد تكررت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة، مؤدية في كل موضع وظيفة تميّزها عن الأخرى، وهو تكرار لم يشهده القرآن قط، حيث لم يحدث أن تكررت آية بهذا العدد في السورة الواحدة، وقد تكررت هذه الآية للتقرير بالنعم المختلفة المتعددة، فكلما ذكر الله عز وجل نعمة من النعم العظيمة التي أنعم بها على خلقه وبّخ على التكذيب بها فقال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. في كل ذكر تنسب إلى دلالة ما تعلقت به [3]. وقد جاء تكرار هذه الآية على أبعاد متجاوبةٍ؛ صوتُ هذا المدّ الطويل يكنفه ثلاثة مدود قصار، تؤدي

---

1 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:265.

2 : نقلا عن: عن محمد بن أحمد القرطبي(أبو عبد الله)، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط1، 1427هـ–2006م ج20، ص:112.

3 : ينظر: محمد الألوسي، روح المعاني، دار الفكر، بيروت–لبنان، (د.ط)،1403هـ، ج25، ص:97.

مع التكرار العام للآية تنغيماً داخلياً له أَخْذهُ وأسْرُه، ويقع هذا المدّ في لفظ الارتكاز من مدار المعنى وهو (الآلاء) بمعنى النعم ليزيد تميّزاً ووضوحاً في مقام التمنُّن والإلزام بالحجة [1]، موجها خطابه للثقلين –على قول النسفي– مدلّلا عليهما بلفظ الأنام.

في حين يرى "محمد الطاهر بن عاشور" أن الخطاب موجّه للناس مؤمنهم وكافرهم لأن القرآن الكريم نزل لمخاطبتهم و وعْضِهم وإقامة الحجة عليهم بذكر نعم الله وآلائه في هذا الكون، وهي نِعم لا ينكرها إلا جاحد، وذلك بتكرار السؤال (فبأي نعمة من نعم ربكم تكذبون؟) بعد كل منّة يذكرهم بها كدخول الجنة وصرف عذاب جهنم[2].

وقد جاءت هذه الآية تعقيباً على كلّ نعمة، فـ «ثمانية منها ذكرت عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منها عقيب ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم»[3]. ومجيء ذكر الآلاء عقيب عذاب جهنم ليطرح السؤال – بأي نعيم يذكّر؟!.

فيجيب "الكرماني" عن هذا التساؤل بأن تكرار هذه الآية بعد هول جهنم له وظيفة حسن التذكير بصرفها ودفعها، نِعم توازي النِعم المذكورة أو أنها حلّت بالأعداء وذلك يعد أكبر النعم[4].

وبعد السبعة تكررت ثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة، ولا غرابة في تكرار التمنن في مقام الإنعام بالجنة ونعيمها، وهذه وظيفة أخرى أدتها هذه الآية بعد تكرارها في موضع وصف الجنة، وبعد الثمانية ثمانية للجنتين اللتين دونهما[5].

إضافة إلى ما تقدم لقد خلقت الآية المكررة بعد كل آية أو آيتين ﴿**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ نوعا من الاتساق والترابط خاصة أن(الفاء)جاءت رابطة للآية التي قبلها.

كذلك من المعاني التي من أجلها تكرر هذا الاستفهام الإنكاري في سورة الرحمان التوبيخ على عدم الاعتراف بنعم الله وآلائه والإشراك به في الإلاهية، فيكون معنى الآية المكرر

---

1 : ينظر: عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ط2، 1407هـ–1986م، ص:64.

2 : ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:243–244.

3 : محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، ص:231.

4 : ينظر: المرجع نفسه، ص:231.

5 : ينظر: المرجع نفسه، ص:231.

(فبأي نعمة من نعم الله عليكم تنكرون أنها نعمة عليكم فأشركتم فيها غيره فضلاً عن إنكار جميع نعمه إذْ تعبدون غيره) بمثابة إقامة الحجة على كل منّة امتنها الله على عباده.

وإضافة إلى ما سبق فإن وظيفة التكرار في هذا السياق –فضلا عن الربط بين أجزاء النص– قد تكون ختاماً لمعنى أو تعداداً لمنّة وبداية لمعنى آخر أو منّة جديدة، وبذلك يبطل تشكيك المضلّلين من أن هذا التكرار من قبيل التكرار البليد أو المُمِل، وحاشاه تعالى أن يصدر منه ذلك، وأسوق الشكل التالي الذي أوضّح به الوظائف النصية لهذه الآية:

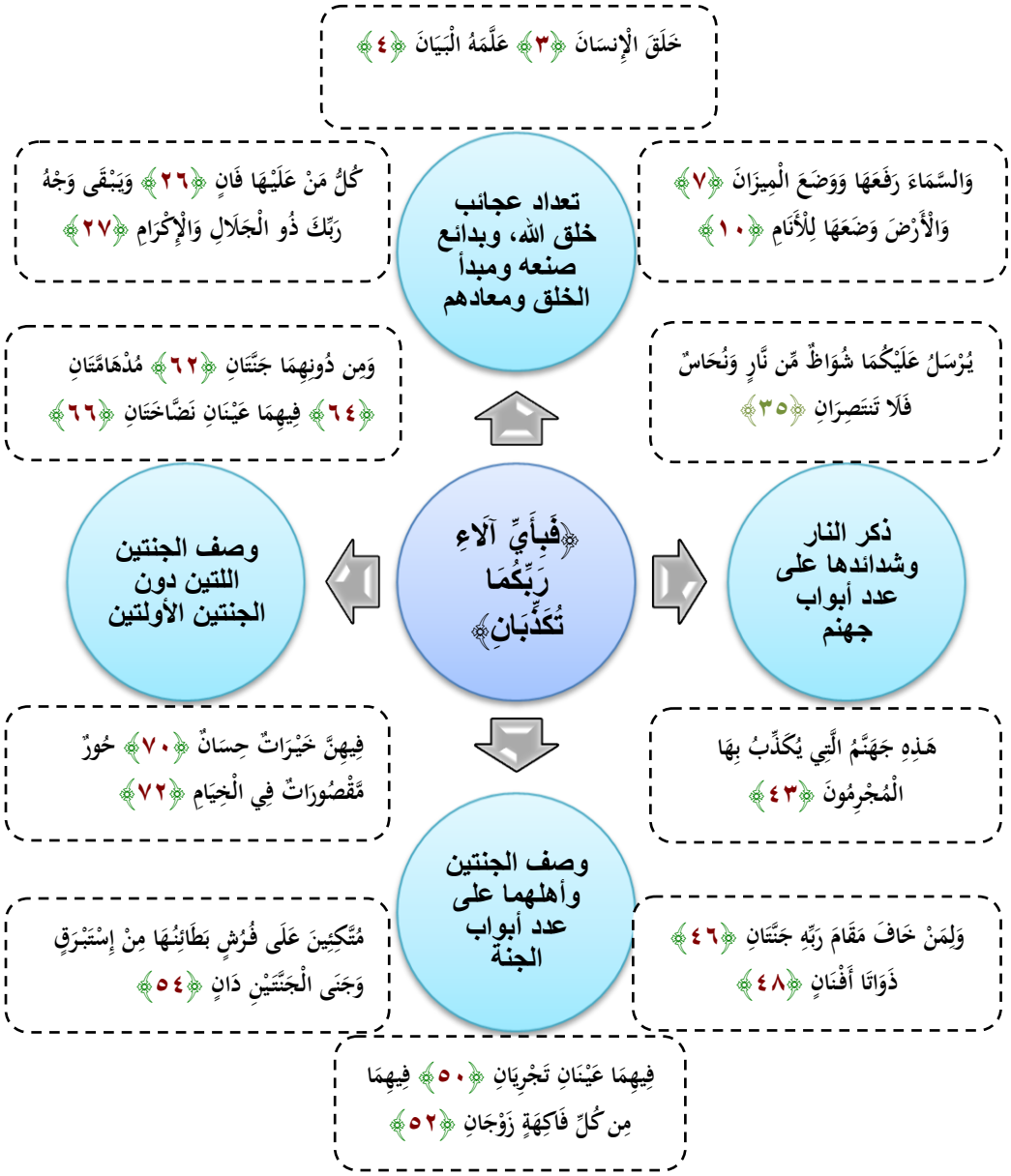

الشكل رقم(02):أثر تكرار الآية في ربط معاني سورة الرحمان

فارتباط قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بتِعداد نِعم الله وآلائه وتِعدادها من أول السورة إلى آخرها، ليُظهر للمتتبّع أثر التكرار في تحقيق الاتساق داخل النصوص، لذلك أعتمد الرسم التالي، الذي يُمثّل نموذج عن التحليل الوظيفي لهذه الآية المحورية في سورة الرحمان:

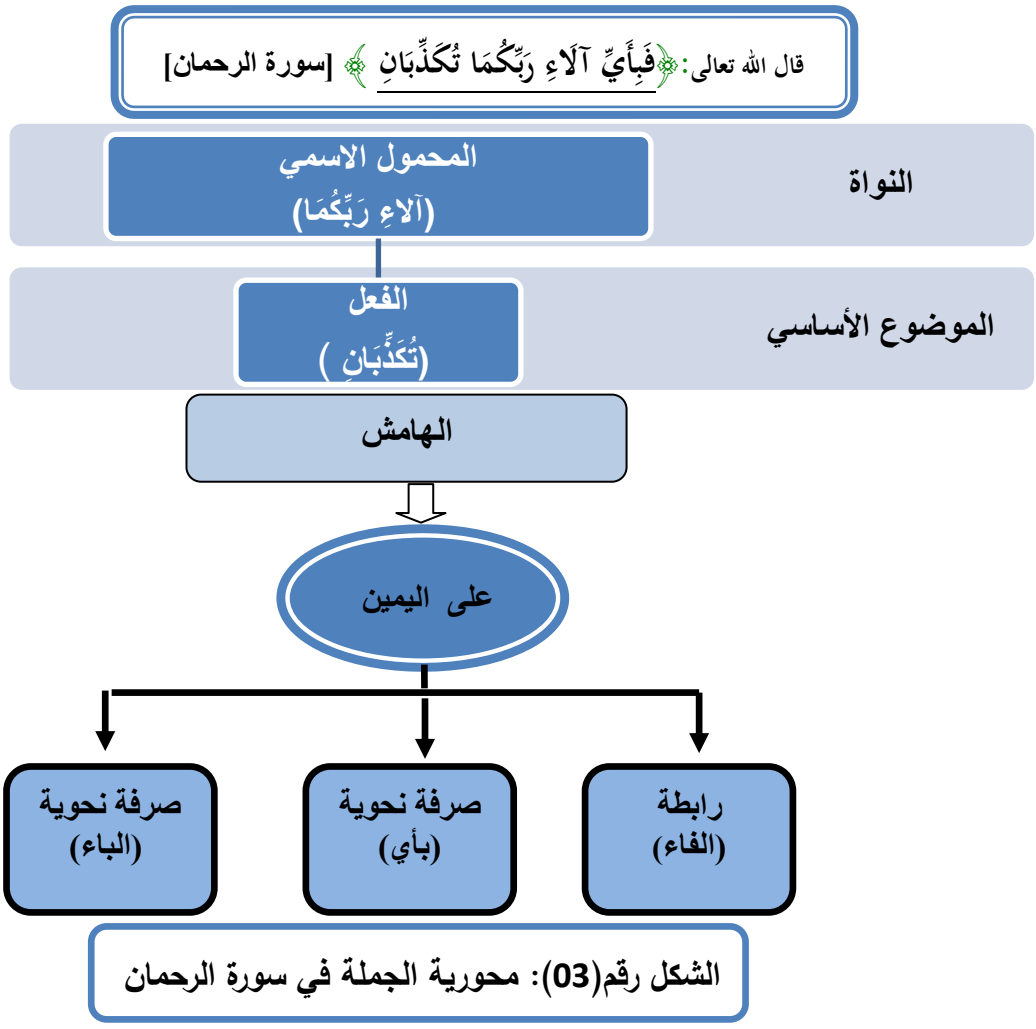

الشكل رقم(03): محورية الجملة في سورة الرحمان

وهكذا تتوالى التكرارات والدلالات في نص القرآن الكريم، سواء في معنى الكلمات الظاهر أو العميق، المجمل أو المفصّل، فلو تدبرنا سورة الواقعة* مع قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ

(*): الواقعة: سورة مكية، وسميت بهذا الاسم لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (شيّبتني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كورت)رواه الترمذي عن بن عباس، وهذه السورة جامعة للتذكير، قال مسروق:(من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة)، ومن أغراض السورة: أنها جاءت للتذكير بيوم القيامة وتحقيق وقوعه، ووصف ما يتعرض له العالم الأرضي بعد النفخ في الصور، وتؤكد أن القرآن منزّل من عند الله تعالى). ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:279-280.

السَّابِقُونَ﴿١٠﴾. لوجدنا أن هذا التكرار الذي جاء في أول السورة بذكر ثلاثة أصناف من الناس، مكررة مكانتهم من الله عز وجل، سيكون له أبعاداً دلالية يوضّحها استخدام تعاقب التكرار، مما يشكل سلاسل للمعنى.

وقد أفاد التفصيل أن الأصناف ثلاثة هم:

- أصحاب الميمنة: وهم الذين يجعلون في الجهة اليمنى في الجنة أو في المحشر، واليمين جهة عناية وكرامة في العرف، واشتقّت من اليمْن، أي البركة.
- أصحاب المشأمة: وهي اسم جهة مشتقة من الشؤم، وهو ضد اليمن فهو الضرّ وعدم النفع.
- السابقون: وهم أفضل من الأصناف الثلاثة، ووصْفُهم بالسبق يقتضي أنهم سابقون أمثالهم من المحسنين الذين عبّر عنهم بأصحاب الميمنة فهم سابقون إلى الخير[1].

فـ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أعاد ذكرها، وكذلك ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ و ﴿السَّابِقُونَ﴾، وهو تكرار لجملة اسمية (أصحاب1) مبتدأها واقعة جوابا لـ(إذا) الشرطية، و(الفاء)دلالة ذلك، وقد جعلت لربط الجزاء مع التفصيل للإجمال[2]، وأما المكرر فسبق بـ(ما) الاستفهامية الواقعة مبتدأ، وجملتها خبر للمبتدأ الأول (أصحاب 1)، وكذلك القول في ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾، وهي جملة معطوفة عن الأولى. وأما (السابقون 1) مبتدأ خبره (السابقون 2)، وهذا الخبر أبلغ في الدلالة على شرف قدرهم من الإخبار بـ(ما) الاستفهامية بخلاف الأمثلة الأولى[3].

والمركب الاسمي ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ و ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾« إظهار لفظي بعد الاستفهامين دون الإتيان بضميريهما»[4]، أكسب التكرار وظيفتين:

- وظيفة نصية تركيبية، تجلت في هذا السياق المعجز الذي سبكت به كلمات ومركبات وجمل الآيات.

---

1 : ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج27، ص: 286-287.

2 : ينظر: المرجع نفسه، ج27، ص:285.

3 : المرجع نفسه، ج27، ص:287.

4 : المرجع نفسه، ج27، ص:286.

- وظيفة دلالية، صورت مقام كل فئة (أصحاب الميمنة والمشأمة والسابقون) تعظيماً ثم إهانةً ثم تعظيماً.

وكذلك القول في تكرار قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾. وقوله:﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾، على أنّ اليمين والميمنة واحد، والشمال والمشأمة واحد أيضاً.

ومنه فإن تكرار جملة الإخبار في العربية على صيغة الاستفهام يفيد غالباً غرض التهويل أو التعظيم أو التفخيم، ويحدث ذلك من ذكر الشيء على طريق الإخبار عنه بما يشفي النفس من كشفه، فإذا بالمتكلم يعيد ذكره بلا زيادة بيان، فيزداد الغموض، وكأن المتكلم رأى ما يصفه به أقل مما حقه أن يوصف به، فتركه على ما كان قبل التكرار، لتذهب فيه نفس المخاطب كلَّ مذهب[1]، وهو من أساليب القرآن وإعجاز بيانه.

كما يظهر الدور الفعّال لتكرار الفعل في ربط نص الآيات بعضها ببعض، وتعليق معنى السابق باللاحق، مما يكسبها صفة التحوّل والاستمرارية، يقول تعالى في سورة الواقعة:﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾، ويقول: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾، ويقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾، ويقول:﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴿٧١﴾.

يظهر تكرار الفعل ﴿أَفَرَأَيْتُم﴾ مكرراً أربع مرات مقرونا بهمزة استفهام لغرض التحدي والتعجيز، وقد تصدّر الآيات المذكورة ليكون دليلا على ما يأتي بعده من أجوبة متضمنة معاني مقنعة تأخذ قلب القارئ، فقوله تعالى :﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾. إلى قوله:﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴿٧١﴾، تقتضي أوائل هذه الآيات أواخرها اقتضاءً لفظياً ومعنوياً، كما ائتلفت الألفاظ فيها بمعانيها المجاورة، والملائم بالملائم، والمناسب بالمناسب، فبدأ سبحانه بذكر خلق الإنسان، ثم ذكر ما لا غنى له عنه وهو الحبّ الذي منه قوامه وقوته، ثم الماء الذي منه سوغه وعجنه، ثم النار التي منها نضجه وصلاحه، وذكر عقيب

1 : ينظر: عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، ص127.

كل ما يأتي عليه ويفسده [1]، فقال في الأولى :﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴿٦٠﴾، وقال في الثانية: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾، ولم يقل في الرابعة ما يفسدها، بل قال :﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾، أي: والمسافرين ينتفعون بها[2].

كما يظهر أثر التكرار المباشر عبر نص السورة في ارتباطه بموضوعها من خلال:

- تكرار الكلمات المرتبطة بسياقات مختلفة تخدم الموضوع العام، كسياق التحدي وإقامة الحجة، مثل قوله تعالى في سورة الرحمان :﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾، وقوله عزّ وجل في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ إلى قوله:﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ المُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾.

- وتكرار الكلمات المرتبطة بسياق الجزاء والإحسان، مثل قوله تعالى في سورة الرحمان:﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴿٦٠﴾، وقوله -جلّ وعلا - في سورة الواقعة:﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴿٢٦﴾.

- وتكرار الكلمات المرتبطة بسياق العذاب، مثل قوله تعالى في سورة الواقعة:﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ﴿٤٢﴾.

إلى قوله:﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الحَمِيمِ﴿٥٤﴾فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴿٥٥﴾.

والجزاء سواء كان بالجنة أو النار فهو من جنس العمل، لكن السورتين قدمتا وصفاً دقيقا لطبيعة هذا الجزاء، وهي سمة تميزهما عن باقي السور الأخرى.

---

1 : محمود بن حمزة الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1406هـ-1986م، ص:180.

2 : ينظر: المرجع نفسه، ص:180.

ويختلف مدى الربط داخل النص القرآني باختلاف موقع التكرار من التراكيب، حيث نجد الربط يقع خارج حدود الآية، فيربط بين أوائل السورة ونهاياتها، فيكون عندئذٍ مدى الربط كبيراً نسبياً لتباعد المسافة بين التكرار، يقول تعالى في سورة الرحمان : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾. ثم قوله في آخرها :﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾. وقوله –جلّ وعلا– في سورة الواقعة:﴿وَأَصْحَابُ اليَمِينِ مَا أَصْحَابُ اليَمِينِ﴿٢٧﴾، ثم قال في آخرها :﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ﴿٩٠﴾.

بالإضافة إلى ما سبق يقدم التكرار المباشر شكلا آخر من أشكال الاتساق، من خلال ربط اسم السورة بنصها، عن طريق تكرار اللفظ المفتاح الذي يظهر على المصحف داخل الآيات، وقد اعتَبرت الدراسات اللغوية الحديثة (العنوان) نصاً مصغّراً، كما هو وحدة لغوية أساسية في عملية التواصل بين الكاتب والقارئ عموماً، كما لا يمكن فهم العنوان بمعزل عن النص لأن العلاقة بينهما علاقة جدلية، فقد نجد مثلا لفظ الجلالة (الرحمان) اسماً لسورة (الرحمان)، وهي ذاتها مفتتحة به :﴿الرَّحْمَنُ﴿١﴾عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴿٢﴾. وكذلك لفظ (الواقعة) في سورة (الواقعة).

ولا تقتصر وظائف التكرار المباشر في النص القرآني على الربط داخل السورة الواحدة فقط، بل تتعداها إلى الربط بين السور كلها، على اعتبار أنها تشكل نصاً كبيراً تمثل سورتا الرحمان والواقعة فيه حلقة من حلقاته، يربط بينهما موضوع الجزاء مثلاً، ذلك أن سورة الواقعة مقصودها «شرح أحوال الأقسام الثلاثة المذكورة في سورة الرحمان للأولياء من السابقين واللاحقين والأعداء المشاقين والمنافقين من الثقلين للدلالة على تمام القدرة بالفعل بالاختبار، الذي دلّ عليه آخر سورة الرحمان بإثبات الكمال، ودلّ عليه آخر هذه(يعني:الواقعة) بالتنزيه بالنفي لكل شيء به نقص، ثم الإثبات بوصف العظمة بجميع الكمال من الجمال والجلال، ولو استوى الناس لم يكن ذلك من بليغ الحكمة»[1].

1 : برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (د.ط)، 1415هـ–1995م، ج7، ص:402.

ويؤكد ذلك ما نجده من تشابه بين السورتين في ألفاظ الجزاء من الصنفين، من مثل قوله تعالى في سورة الرحمان :﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾. وقوله في سورة الواقعة:﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ﴿٤٢﴾. يقول جلال الدين السيوطي:« إن هذه السورة (سورة الواقعة) متآخية مع سورة الرحمان في أنّ كلا منهما في وصف القيامة، والجنة والنار، فقال هنا(سورة الواقعة) :﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ وهناك(سورة الرحمان) :﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ ﴿٣٧﴾ فكأن السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة»[1].

وأثناء تتبعنا للألفاظ المتكررة بين السورتين مثل:(خلق الإنسان، والجنة والنار...) نجد أن الترتيب قد عُكس« فافتُتح الرحمان بذكر القرآن، ثم ذكر الشمس والقمر، ثم ذكر النبات، ثم خلق الإنسان، والجان من مارج من نار، ثم صفة القيامة، ثم صفة النار، ثم صفة الجنة. وابتدأت الواقعة بذكر القيامة، ثم صفة الجنة، ثم صفة النار، ثم خلق الإنسان، ثم النبات، ثم الماء، ثم النار، ثم النجوم، ولم يذكرها في الرحمان، كما لم يذكر في الواقعة الشمس والقمر، ثم ذكر القرآن، فكانت هذه السورة كالمقابلة لتلك، وكردّ العجز على الصدر»[2].

ويقوم التكرار المباشر في إطار عملية الاتساق بعدّة وظائف متنوّعة تختلف من سورة إلى أخرى بما يخدم البنية النصية للموضوع الرئيسي لها، ومن تلك الوظائف أذكر:

-**وظيفة التوكيد**، وهي وظيفة رئيسية في التكرار وإن تخلّلته بين الفينة والأخرى وظائف أخرى كالقسم والمبالغة مثلا، ونلجأ للتوكيد عموما كلما أحسسنا بشيء من استهانة المخاطَب بمن يخاطبه، فبقدر وقوع الرّيب في الأمر تتكاتف وسائل التوكيد لدفعه، ومن أهمها على الإطلاق(التكرار)، قال الزمخشري:« وجدوى التوكيد أنك إذا كررت

1 : ينظر: جلال الدين السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ط 2، 1398هـ-1978م، ص: 134.

2 : المرجع نفسه، ص:135.

فقد قررت المؤكد، وما علق به في نفس السامع، ومكنته في قلبه وأمطت شبهه ربما خالجته، أو توهمت غفلة أو ذهاباً عما أنت بصدده فأزلته»[1].

-**ووظيفة التقرير**، وتظهر عند قوله تعالى في سورة الواقعة:﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾، وقوله:﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾، وقوله:﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾، وقوله:﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾. والفعل رأيتم مقرون بالاستفهام للتقرير بتعيين خالق الأجنة في بطون أمهاتهم من نطفة تمنى، إذ لا يمكن للناس أن يكذبوا ذلك، بل عليهم أن يقرّوا بأن الله خالق النسل، ومنبت النبات الذي من أجله يحرثون الأرض، وينزل من السماء الماء الذي يشربون، وينشئ الشجر الذي يورون به النار[2].

وبهذا تبدو سورة الرحمان والواقعة بحلة جديدة بعد تتبع مواطن أحد أنواع التكرار فيها، ألا وهو التكرار المباشر، إلا أنّ تكرار الجملة أو الآية والمتمثّل في قوله تعالى في سورة الرحمان: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾. الذي ظلّ يحمل على عاتقه الدور الأكبر، وظلّت وظيفته الأكثر بروزاً، وهي تكثيف المعنى ليبدو كل شيء متعلّق بها مهما ابتعد، لَيُضيف بذلك دلالةً جديدة في كل مرّة إضافة إلى الدلالة المتحصّل عليها.

وفي ضوء هذا التّصوّر يُنظر إلى الكلمة أو العبارة المكرّرة باعتبارها بؤرةً ومركزاً تدور المعاني المختلفة حوله، ثم تتكثّف لتعاود الدوران من جديد.

وممّا سبق، فالتكرار المباشر في سورتي(الرحمان والواقعة) يتعدّى كونه أداة للربط، إلى عدّه وسيلة من وسائل الاتساق النصي، بحيث يُدرك القارئ من خلاله نص القرآن الكريم بوصفه نصاً واحداً، كما يتصوّر أيضاً الأحداث متسلسلة كما هي ممثلة في الواقع، وبذلك ندرك أهمية هذا النوع في صنعه للتطوّر التكراري للكلمة المكررة وأثره في اتساق النص ككل، ولكن الربط في هاتين السورتين لا يقتصر فقط على هذا النوع من التكرار بل يتعداه إلى نوع آخر هو أيضاً يقوم بدوره في صنع ذلك التماسك، ألا وهو **التكرار الجزئي**.

---

1 : جار الله أبو القاسم محمود بن عُمر الزمخشري، المفصل في النحو، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)،2003م، ص:111-112.

2 : ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:313-326.

2- التـكرار الـــجزئي:

وهو ثاني أنواع التكرار، ويُقصد به التكرار الاشتقاقي، أو تكرار جذر الكلمة، وهو شكل آخر من أشكال الربط الذي يُضفي على النص طابع التنوّع وينفي عنه الرتابة [1]. فرغم أنّ اللفظة لها طابعها الخاص والمعتاد، إلا أن طبيعة ظهورها مختلفة ومتشكلة حسب السياق[2]، فتُعطي بذلك أكثر من إيحاء حسب نوع القراءة، فـ« العناصر التكرارية دائبة الحركة والتذبذب، لا تثبت على حال، بل تنتقل من نقطة لأخرى، ومن فكرة إلى فكرة، تشدُّ النظر ممّا يجعلها تجذب الانتباه»[3].

ويعرّف "أحمد عفيفي" هذا النوع من التكرار بأنه «إعادة عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال وفئات مختلفة»[4]. ويتم ذلك باعتماد الجذر اللغوي الواحد في أحوال مختلفة.

كما يقوم التكرار الجزئي بدوره على مستوى النص القرآني في الربط بين أجزائه المتقاربة أو المتباعدة داخل السورة الواحدة أو بين كافة السور.

ومهما تكن اللفظة فإنها تبقى جزءاً أساسياً في الصورة الفنية لعملية الاتساق في النص، وقوّةٌ تلاحم أجزائه، وترسم عليه تلك البنية التماسكية، حيث يقف نجاحه حسب الحاجة ووفق ما يقتضيه السياق.

ويحتلّ التكرار الجزئي داخل الجملة مواقع مختلفة منها:« موقع الخبر أو الفاعل أو المفعول به أو الموصوف أو المفعول المطلق أو المضاف إليه...الخ» [5]، كقوله تعالى في سورة الرحمان: ﴿**خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ ﴿١٤﴾وَخَلَقَ الجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴿١٥﴾**﴾ وقوله: ﴿**يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَ الإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴿٣٣﴾**﴾.

---

1 : ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص145.

2 : ينظر: فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، ص133.

3 : نقلا عن: المرجع نفسه، ص133.

4 : أحمد عفيفي، نحو النص(اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص107.

5 : عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص145.

فلفظ "**الإنسَان**" يُراد به آدم، وهو أصل الجنس [1]. و "**الجَانّ**" هو أبو الجن [2]، وقيل: المرادُ به إبليس وما خرج عنه من الشياطين [3]. وقد ذكر الله عز وجل الجنسين باللفظ الدال على العموم في السياق العام وهو سياق الخلق. ثم كرر سبحانه وتعالى لفظ "**الإنسان والجان**" في شكل آخر غير الشكل الأول فقال: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾**. فـ(**الجِنُّ وَالإِنسُ**) لفظ عام بدليل "أل" الاستغراقية، ومراده في هذا السياق الخاص بعضهم فقط، وهم الضالّون المضلّون، ومثل هذا لا يقال لجمع مختلط إلا والمقصود أهل الجناية منهم[4].

من خلال تكرار لفظ "الإنسَانِ والجَانِّ، الجِنِّ وَالإِنسِ" من بداية السورة إلى نهايتها تبرز الوظيفة التماسكية للتكرار، حيث ترتبط الآيات التي تدور حول الخلق تارة، وحول تحدي الأصناف الضّآلة المضلة من الجنسين تارة أخرى، مؤدية وظيفة التنبيه والتوكيد والتقرير في آنٍ واحد لتذكرهم في كلّ مرّة بحقيقة خالقهم ورازقهم.

ومن أمثلة التكرار الجزئي أيضاً توظيف الجذر اللغوي "وقع" بثلاثة أشكال مختلفة في آيتين متتاليتين عند قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿**إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾**. فيُسهم التكرار بشكل لافت في افتتاح السورة، مُعلناً عن موضوعها العام من بدايتها، والافتتاح بالظرف المتضمن معنى الشرط «افتتاح بديع يسترعي الألباب لترقّب ما بعد هذا الشرط الزماني، مع ما في الاسم المسند إليه من التهويل بتوقع حدث عظيم يحدث»[5].

---

1 : محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة–مصر، ط1، 1422هـ–2001م، ج22، ص:168.

2 : محمود بن عُمر الزمخشري(جار الله أبو القاسم)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض–السعودية، ط1، 1418هـ–1998م، ج6، ص:07.

3 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:245.

4 : المرجع نفسه، ج27، ص:258.

5 : المرجع نفسه، ج27، ص:281.

فـ"وَقَعَتِ، الوَاقِعَةُ" كقولنا: حدثت الحادثة، أو الكائنة أي قامت القيامة [1]، و قيل المرادُ: «النفخة الأخيرة»[2]. وقيل:« سُمّيت بالواقعة؛ لأنها تقع عن قرب» [3]، أو لكثرة ما يقع فيها من الشدائد. فالواقعة الموصوفة بالوقوع وهو الحدوث الذي قد سوّل لبعض الأنفس أن تكذّب به، يأتي النفي بـ"ليس" ليؤكد انتفاء وجود من ينكر وقوعها فعلاً، فإذا كان يوم القيامة أقلع منكروها ومكذّبوها عن اعتقادهم أنها لا تقع، وعلموا أنهم ضلوا في استدلالهم[4].

وبهذا التكرار اللافت ﴿وَقَعَتِ، الوَاقِعَةُ، لِوَقْعَتِهَا﴾، مع ما في حرفي (القاف والعين) من وقْع قوي على النفس يسترهب القلب، وعيد شديد بتحذير المنكرين من الخزي والندامة. وقد جاء في مقاييس اللغة عند مادة (وقع):«أنها أصلٌ جامع لمعنى السقوط، والواقعة: القيامة؛ لأنها تقع بالخلق فتغشاهم، والوقْعة: صدمة الحرب» [5]، وبذلك عمل هذا النوع من التكرار على بناء صورة ذلك اليوم العظيم في ذهن المتلقي وتهويله في نفسه، ليكون ما بعده من أهوال متعلّق بما سبق من حادث.

والشكل التالي يمثّل التحليل الوظيفي لهذا المقطع المكرّر

---

1 : ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج6، ص:20

2 : تفسير البغوي، ج4، ص:279. نقلا عن: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص:176.

3 : النكت والعيون، ج5، ص:445. نقلاً عن: المرجع نفسه، ج20، ص:176.

4 : ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:282.

5 : أحمد بن فارس بن زكريا(أبو الحسين)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ-1979م، ج6، ص:134.

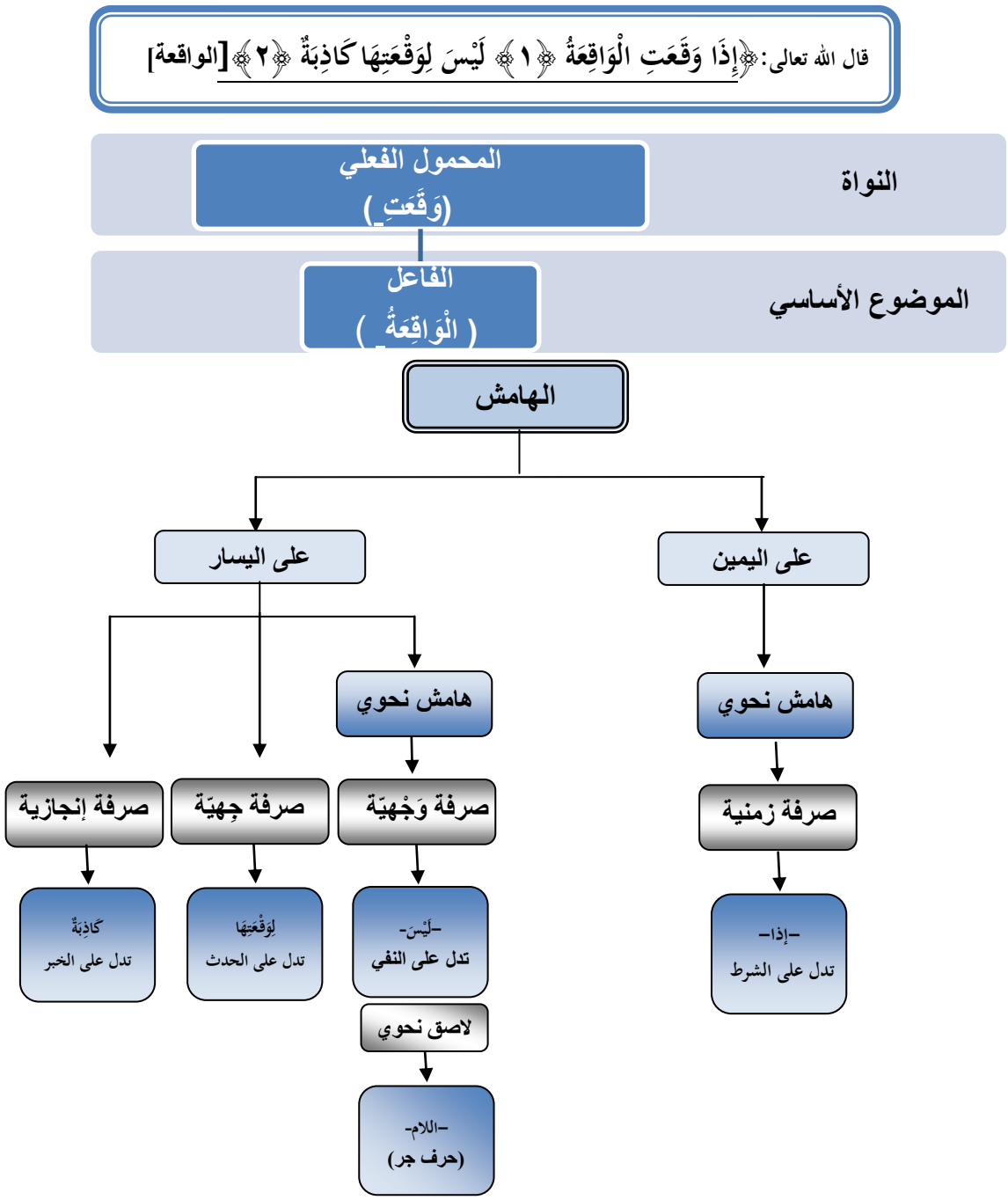

الشكل رقم(04): نموذج التحليل الوظيفي لمقطع مكرّر جزئياً

وبشكل عام، يقوم التكرار الجزئي بوظيفته في بناء وحدة نص السورة المرتبط موضوعها بتصوير واقع الناس يوم القيامة، والمفارقات الشاسعة التي تظهر بين أهل الجنة وأهل النار، ابتداءً من النفخة إلى دخول الحياة الأبدية حيث الجزاء، وذلك من خلال تكرار الكلمات المرتبطة بإقامة الحجة على الإنسان المضطربة نفسه في الحياة الدنيا. يقول سبحانه وتعالى في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ

الخَالِقُونَ﴿٥٩﴾، وقال:﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴿٦٤﴾ وقال أيضاً: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ المَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ المُنزِلُونَ﴿٦٩﴾.

فمخاطبة المولى عزّ وجل عباده في كل مرة بتكرار السؤال" أَأَنتُمْ"، هو «استفهام مراده تنبيه السامع إلى نفسه فيخجل ويرتدع، ويعي الجواب»[1]، وذلك باستعمال أداة الاستفهام "الهمزة" التي أدت وظيفة التقرير أو الإقرار بأمر هو ثابت عنده. ذلك إذا علمنا أن همزة الاستفهام «تجعل المُخاطِب في مطالبة المُخاطَب بالإقرار أمام أمرين:

-الإقرار بشيء ما.

-الإقرار بأنه هو الذي قام بذلك الشيء»[2].

ومن إعجاز أسلوب هذا النص الخالد أن يلي الهمزة الشيء المطلوب الإقرار به، وهو المستفهم عنه.

وأدوات الاستفهام كما نعلم منها ما يُطلب به للتصوّر، ومنها ما يطلب للتصديق، والهمزة تصلح للحالتين في هذا الموضع، ولكن ما وظيفتها في هذا السياق؟

ولمعرفة ذلك علينا فهم سياق الآية، والتي نتصوّرها بالشكل التالي:

-**أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ** ⟵ بل الله هو الخالق.

- **أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ** ⟵ بل الله هو المتسبب والمنشئ لما نزرع ونحرث

- **أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ** ⟵بل الله هو المنزل من السحاب ماءً.

إذن فالله -عز وجل- أراد من عباده الإقرار بما أراد، فهو سياق إقرار وإقامة الحجة على المخلوقين من خالقهم جلّ وعلا. وإذا كان كذلك فـ"الهمزة" هنا للتصديق، وهي:« إدراك وقوع نسبة تامة بين المسند والمسند إليه أو عدم وقوعها»[3]، لذا فالإجابة تقتضي الإثبات بـ"لا" أو النفي بـ(نعم) ليُقروا بأنهم ضعفاء عاجزين لا يقدرون على شيء مما تهيأ لهم أنهم

1 : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:151.

2 : علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، الأردن، ط2، 1414هـ-1993م، ص:17.

3 : السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص87.

صانعوه. فتكرار الفعل " تَخْلُقُونَهُ، تَزْرَعُونَهُ، أَنزَلْتُمُوهُ" في كل آية مرتين مسبوقاً بـ"الهمزة" مع المستفهم عنه "أنتم" لجموع المخاطبين، ليُظهر أسلوب استفهام مميّز له وظيفة الإقرار بسلاسة ويُسر، يجعل القارئ مندهشاً أمام اتساق هذا النص المعجز، ففي كل مرّة تستشرف أذنه إجابة مع ما فيها من تحدي وعظمة، فلا يملّ من تكرار بعض ألفاظها .

من خلال هذه النماذج المتّسقة التي تجعل من ذهن المتلقي حياً بفعل التكرار، يتم عنده رسم صورة عن المجتمع الغافل عن كثير من الحقائق (حقيقة خلقهم أو رزقهم ...)، وحينما يرتبط بحالات شعورية قاسية(ابتلاءات) تنجذب نحوها روحه، فيتذكر الجواب الذي فيه نجاته وصفاء عقيدته(بل الله هو الخالق، وهو المتسبب والمنشئ لكل شيء، بل هو المنزل من السحاب ماءً، بل قادرٌ على كل شيء). وهذا التحليل لجملة ذات المحمول الاسمي:

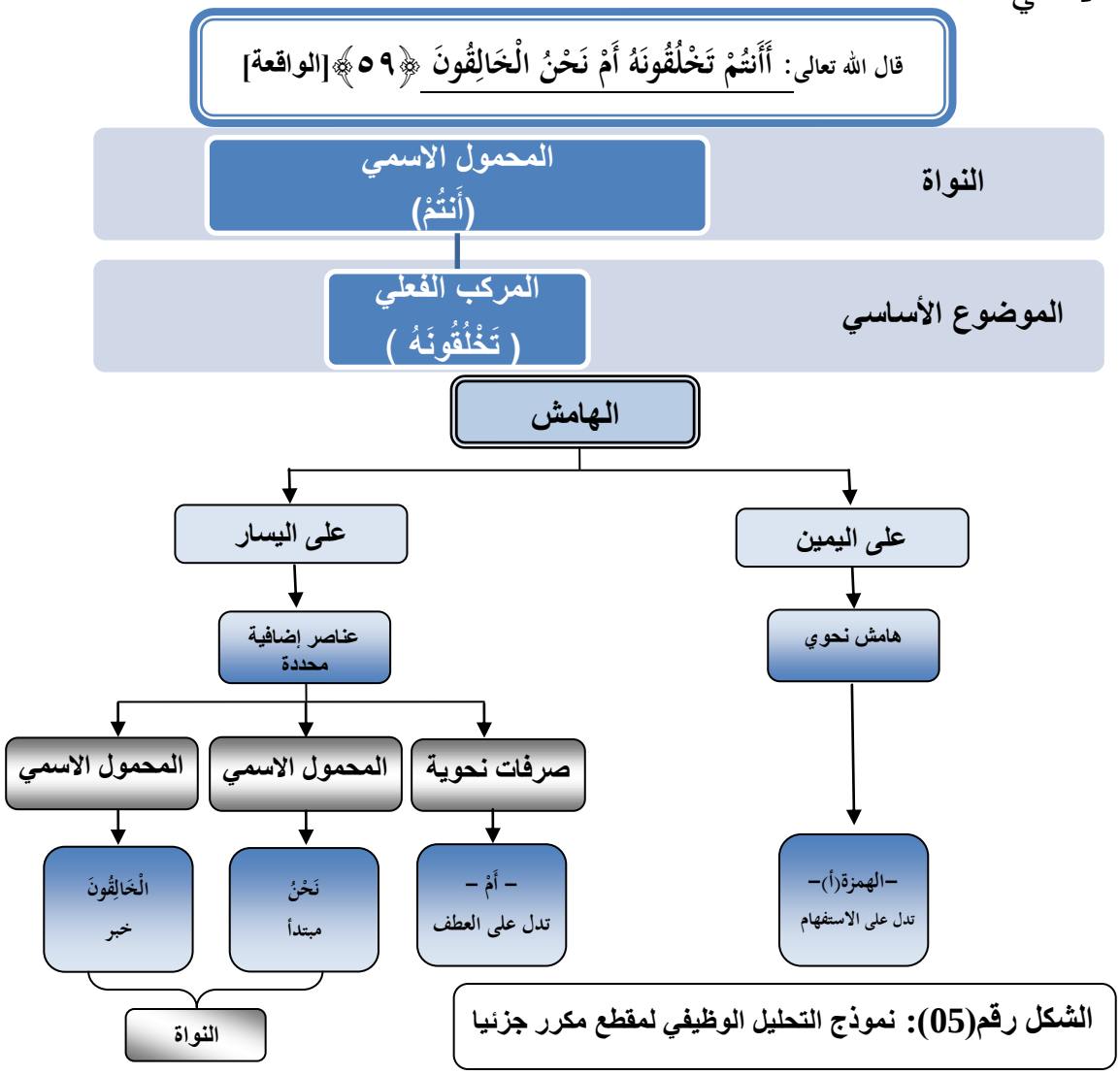

الشكل رقم(05): نموذج التحليل الوظيفي لمقطع مكرر جزئيا

ولترسيخ تلك العقيدة السليمة في نفوس العالمين، يلجأ القرآن الكريم إلى وسائل أخرى لتوكيد الخبر، ومخاطبة القلوب مباشرة لتصديقه، ومنها تكرار حروف التوكيد في الآية الواحدة، وفي أكثر من موضع. يقول سبحانه وتعالى في سورة الواقعة: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴿٤٩﴾لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴿٥١﴾لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾، وقال:﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴿٧٦﴾إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴿٧٧﴾.

فأداة التوكيد (إنَّ) مكررة في السورة عدة مرات، وهي حرف توكيد ونصب، ناسخ (مشبه بالفعل)، تدخل على الجملة الاسمية، فتنصب المبتدأ اسماً لها وترفع الخبر خبراً لها، وهي كذلك في هذه الآيات، إلا أن خبرها (المسند) جاء مقروناً بلام الابتداء في الآية (50 و52)، التي تدخل على خبر (إنّ) خاصة مؤكدة له دون أخواتها،« وإذا دخلت لم يتغيّر الكلام عمّا كان عليه (إعرابيا)» [1]. ممّا يتبيّن أن هذا الأسلوب الخبري المؤكَّد بأداتين "إنّ ولام الابتداء" موجّه للمنكرين والجاحدين لخبر السماء.

فلما أنكروا قضية البعث والنشور صُدّر الخبر لهم بـ(إنّ) من أجل مخاطبتهم بتحقيق وقوع البعث وشموله لهم ولآبائهم ولجميع الناس، بفعل الأمر الموجّه للرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– (قُلْ) للاهتمام به[2]. ولأن المقام يقتضي مزيد الإثبات، اقتضى الاعتماد على دلالة الحرف (اللام) لينتفي عنادهم ومغالطتهم للحق، بل ووعيدهم بيوم معلوم.

وتوكيد الخبر بـ(إنّ) و (اللام) ليس لردّ إنكارهم فحسب، بل والتصريح بتفصيل جزائهم في ذلك اليوم: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴿٥٢﴾. وفي تكرار المؤكدات وقعٌ على النفوس شديد من التعريض الإجمالي بالوعيد، ثم النداء بين المؤكِّد وخبره يستوقفهم كي يتنبّهوا أنهم المعنيون بهذا الخطاب.

ثم تواصل الآيات التي بين أيدينا الردَّ على المنكرين بالبعث، منوّهةً بشأن القرآن في اشتماله على قضية إثبات البعث الذي عدُّوه محالاً[3]، وذلك بتكرار أدوات التوكيد نفسها (إنّ)

---

1 : محمد بن السراج البغدادي، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط3، 1417هـ–1996م، ج1، ص:231.

2 : ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:307–308.

3 : المرجع نفسه، ج27، ص:271.

و(اللام) مع زيادة القسم. فقوله:﴿لَا أُقْسِمُ﴾ بمعنى: أقسم، و(لا) مزيدة للتوكيد، وأداة التوكيد بعده ﴿إِنَّهُ﴾ عائد عليه لزيادة توكيده، ويبدو أن إصرار المعاندين في جحودهم للحق يحتاج إلى توكيد القسم بمزيد من المؤكدات، فكُرّر لفظ القسم وأُسبق بلام مؤكِّد ﴿لَقَسَمٌ﴾، ووصف بأنه عظيم لا يُستهان به. عظيم عِظَم المقسوم عليه وهو "القرآن الكريم" الذي يُثبت ما أنكروه، فهو أيضاً في حاجة إلى ما يثبّته في نفوسهم، فتتفاعل أدوات التوكيد لذلك في صورة سلِسة مع ثنائية الإثبات والتأثير لإقناع المنكرين.

ونجد التكرار يعكس الحالة التي يكون عليها الناس من ربهم يوم القيامة مما يعطي تنبيها للغافلين والمكذبين، يقول تعالى في سورة الواقعة: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴿٨﴾وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴿٩﴾، وقال:﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴿٢٧﴾، ثم قال :﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴿٤١﴾. فيظهر التكرار الجزئي بين:(الْمَيْمَنَةِ و الْيَمِينِ) . (الْمَشْأَمَةِ والشِّمَالِ)، مما يصبح به المعنى أكثر وضوحاً وفهماً، لذلك قيل: إن القرآن يفسّر بعضه بعضاً.

والقرآن الكريم يصف الجنة والنار وما فيهما من راحة وعذاب، من خلال ثنائية العطاء والعذاب، التي تمثّل قطبي موضوع الجزاء في سورة الرحمان والواقعة، لذلك ينجذب نحو كل قطب مجموعة من الألفاظ التي تشكله، فيتعلّق بالعطاء مجموعة من التكرارات الجزئية التي ترسم صورة كليةً للنعيم المقيم، الذي تشتاق له روح كل إنسان. يقول تعالى في سورة الرحمان: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾، وقال:﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴿٧٢﴾، وقال:﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴿٦٠﴾، وقال:﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴿٧٠﴾. وقال في سورة الواقعة :﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴿١٠﴾أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾، وقال:﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴿٨٨﴾فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴿٨٩﴾.

يظهر خبر الحور في الجنة لزيادة التأثير في نفوس المتلقّين، فهذه حالهن :"قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ"أي:«قد قصرن طرفهن على أزواجهن من حسنهم وجمالهم، وكمال محبتهن لهم،

وقصرن أيضاً طرف أزواجهن عليهن من حسنهن وجمالهن ولذة وصالهن» [1]. ثم تزداد هذه النفوس شوقا إلى الحور ووصفهن –بعد معرفة أحوالهن– اعتمادا على تكرار جذر لفظ الحال الأول فقال :"حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ" بالجمع للدلالة على الكثرة، وذلك لكمال العطاء والامتنان، و"مَّقْصُورَاتٌ" يعني:«محبوسات قد قصر طرفهن وأنفسهن على أزواجهن، ومن ثم سموا البيت الكبير قصراً، لأنه يحبس من فيه» [2]، وكذلك في الجنة ما تظهره ألفاظ العطاء المتكررة من مثل:" **الْإِحْسَان وحِسَان**" و"**رَوْح وَرَيْحَان**" و"**جَنَّت وجَنَّات**"، وهو ما ينطبق تماماً مع الدور الذي يؤديه هذا الأسلوب في عملية التبليغ؛ إذ يتعلّق الأمر فيه بالمبلِّغ من خلال مبادرته في اتخاذ قرار على أعلى مستوى في تصحيح عقيدة الرجاء.

وأما العذاب فيتعلّق به أيضاً مجموعة من التكرارات الجزئية، التي تسعى في عملية تبليغها إلى إرساء عقيدة الخوف من الله جلّ وعلا، وكمال الإيمان بالأمور الغيبية. يقول تعالى في سورة الرحمان: ﴿**هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾**، وقال في سورة الواقعة: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴿٥٤﴾فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴿٥٥﴾**﴾.

وتُسهم المتابعة بين الفعل ومصدره في نص السورتين في إبراز أهوال يوم القيامة، وذلك بتكرار الفعل ومصدره منوّناً ليؤكد تحقق ذلك الشيء، ووقوعه على سبيل التهويل والتعظيم، على نحو ما نقرؤه من قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿**إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴿٤﴾وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴿٥﴾**﴾.

- (رُجّت ← رجًّا).
- (بُسّت ← بسًّا).

وفي هاتين الآيتين وصف لهولٍ من أهوال القيامة، وهو حال الأرض والجبال. «والوصف بالمصدر من الصيغ الصرفية في العربية الأبلغ من غيرها، لأنه حين يوصف

---

1 : عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان بن مُعلاّ اللويحق، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط1، 1424هـ–2003م، ص:795.

2 : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تع: عبد الرحمان بن ناصر البرّاك، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض–السعودية، ط2، 1429هـ–2008م، ج10، ص:667.

الموصوف بالمصدر يكون كأنه مخلوق من ذلك الفعل لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه»[1]. فيصبح صورة مجسمة فيه، أو هو مصدر للحدث نفسه، فالرّجُّ: هو الاضطراب والتحرُّك الشديد، وأما البَسّ: فيطلق بمعنى التفتت وهو تفرّق الأجزاء المجموعة هذا من جهة، ومن جهة أخرى يطلق على السَوْق للماشية. يقال: بَسَّ الغنمُ إذا ساقها [2]، فالجبال يومئذٍ مرجوجةٌ مضطربةٌ، ومبسوسةٌ مفتتةٌ مسيرةٌ في آن واحد. وقد عبّرت المصادر مع أفعالها عن كل هذه المعاني مؤكدة قوة الحدث عند وقوعه.

ويقوم التكرار من خلال استخدام جذر اللفظة بدوره في الربط بين مقاصد السورتين، فيؤدي إلى استمرارية المعنى بينهما على الرغم من تغيّر المستوى التعبيري في كل موضوع، على نحو ما نقرؤه من قوله تعالى في سورة الرحمان: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾، ثم قال في سورة الواقعة:﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴿٨١﴾﴾.

فـ﴿الدِّهَان﴾ بكسر الدال أي:«كدهن الزيت، ومعناه تذوب وتجري كذوبان الدهن وجريه ورقّته»[3]. وفيه معنى اللين، وهو تشبيه للسماء –يوم القيامة– في تموّجها واضطرابها بالشيء الذائب[4].

و﴿مُّدْهِنُونَ﴾ بمعنى «الإلانة، أي: لا تتراخوا في هذا الحديث وتدبّروه وخذوا بالفوْر في اتّباعه، ويأتي بمعنى المداهنة»[5]، والمداهنة هي مسايرة أمر الناس ولو كانوا على باطل.

تتداخل عناصر الطبيعة في هاذين السياقين مع الإنسان، في نسق يترك فكر القارئ يتأمّل لتفسير الصورة الذهنية التي رُسمت عنده عن الآيتين، فيبتكر لها مسبّباتها ويربط أحداثها بطريقته التي يمتلكها وقدراته الفكرية والعقلية التي يعرفها، لأجل امتلاك المعنى وتحقيق الفهم، الذي بُني بين الخوف (في الآية الأولى) والإرشاد(في الآية الثانية).

وليس هذا التداخل وليد مصادفة بقدر ما هو طريقة في التعبير (نسق لغوي) يتداخل فيها معرفة الخارج المؤثّر بالداخل العقلي وهو محور الوعي.

---

1 : ابن جني، الخصائص، ج3، 259.

2 : ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:284.

3 : محمد الأمين بن عبد الله الأُرميُّ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مر: هاشم محمد علي مهدي، دار طوق النجاة، بيروت–لبنان، ط1، 1421هـ–2001م، ج28، 294.

4 : ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:261.

5 : المرجع نفسه، ج27، ص:339.

ويُشير الاستخدام لأشكال التكرار الجزئي بشكل مكثّف إلى خصوصية لغة هذا النص المقدس، حيث يرتبط استخدام هذا الشكل بغاية تعليمية يؤديها الإسلام عموماً، وقدرته تعالى التي تظهر في ترتيب المادة المعجمية الواحدة ذات الشكل المختلف في الحقل الواحد، فنرى تكراراً يشكل تلازما بين الكلمات وتفاعلاً يسهل حفظها وتعلم استخدامها في الإقناع.

وبذلك يثبت التكرار الجزئي أنه وسيلة من وسائل الربط المعجمي، يُسهم في صنع وسائل أخرى للاتساق داخل باقي الآيات، منها الروابط النحوية والصوتية. وبذلك يتداخل التكرار الجزئي معها في صنع تماسك النص.

ولا يكتفي القرآن الكريم باستخدام أشكال التكرار السابقة، بل نراه يقدم صورة أخرى من صور التنوع في وسائل الربط، وإعجازاً باهراً في استخدام الكلمات عبر شكل آخر من أشكال التكرار ألا وهو **الاشتراك اللفظي**.

3- الاشتراك اللفظي:

وهو ثالث العلاقات الدلالية الذي يؤدي وظيفة الاتساق في النصوص، حيث يشغل موقعاً مهماً في علاقة الألفاظ بالمعاني، فأدرك علماء اللغة أهميته؛ لما له من أثر في عملية التخاطب، فخصوه بمزيد من العناية، وأثبتوا بأن اللغة العربية من أكثر لغات العالم غنىً من حيث عدد المفردات وتوليدها، ولا أدلّ على ذلك من كثرة الاستعمال في المجالات المتعددة واللامحدودة، حيث نجد أنّ فقهاء اللغة يُقرّون بأنّ الكلمة يكون لها من المعاني بقدر ما يكون لها من الاستعمالات[1].

ولقد ذكر القدماء المشترك اللفظي في تقسيمات الكلام، وعرّفوه واختلفوا في وجوده، وبيّنوا بعضاً من أسباب وقوعه، وأثر السياق في تحديد دلالته. وأذكر من بينهم:

- **سيبويه:** وهو أول من ذكره في تقسيمات الكلام، إذ قال في كتابه:«اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... واتفاق اللفظين والمعنى مختلف، مثل قولك: وجدت عليه من الموْجِدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة» [2]. فقد اكتفى سيبويه بهذه الإشارة إلى المشترك، وهو اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، واعتبره من كلام العرب.

---

1 : ينظر: صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط14، 2000م، ص:301.

2 : عمر بن عثمان بن قنبر(سيبويه)، الكتاب، ج1، ص:07-08.

- **ابن فارس (ت 395هـ)**: ذكر المشترك في باب أجناس الكلام، فقال:« ومنه اتفاق اللفظ، واختلاف المعنى، كقولنا: عين الماء، وعين المال، وعين الركبة، وعين الميزان...».

ثم عرّفه في كتابه "الصاحبي" بقوله:« أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر، كقوله تعالى:﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾[طه:39/20]. فقوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ﴾مشترك بين الخبر وبين الأمر، كأنه قال: فاقذفيه في اليمّ يلقه اليم. ومحتمل أن يكون اليمّ أُمر بإلقائه» [1].

يُلاحظ أنّ "ابن فارس" قد توسع في مفهوم الاشتراك، فخرج به من إطار الألفاظ إلى إطار الأساليب والتراكيب، فاجتماع الأسلوبين (أسلوب الخبر وأسلوب الأمر) في المثال السابق يُظهر التركيب ككل واحد متسق ومترابط لفظاً ومعنىً، مما يُعدد القراءات للفظ الواحد.

كما اعتنى المحدثون بالمشترك اللفظي وعرّفوه وأقرّوه في جميع اللغات، وبحثوا في طبيعة الأثر الذي يتركه في العمل الأدبي، وبيّنوا أثر السياق في تحديد أحد معانيه.

ومن بين المفاهيم التي تتعلق بموضوعنا ما قاله "أحمد مختار عمر" عن المشترك اللفظي بأنه:« اللفظ الواحد الدال على أكثر من معنى»[2].

وقيل:« هو أن يتفق اللفظ، ويختلف المعنى، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعداً»[3].

وحينما نتحدث عن اتفاق اللفظ الواحد (أو المفرد) في الشكل، فإنه أقصد هنا إعادته أكثر من مرّة في نفس الجملة أو في جمل متتالية أو غير متتالية بنفس الحروف والترتيب، مع وجود فرق في المعنى. ومنه فالاشتراك اللفظي يُقصد به «الاتفاق في الحروف، والاختلاف في المعنى بين كلمتين أو أكثر»[4].

ولعل أهم ما يُميّز هذا النمط أنه يحتاج إلى وعي كلي من الكاتب عموماً لطبيعة التغيير الذي يطرأ على المقطع عند تكراره، وعلاقة التغيير بالمعاني التي تولد متعلّقة باللفظ المتكرّر، ويُعدُّ هذا النوع من أساليب التكرار الناجحة التي تثبتُ قدرة الكاتب وبراعته [5].

ويلاحظ أن هذا التكرار يتميّز بكونه متغّيراً (معنىً) طويلاً يمتدُّ إلى مقطع كامل. وما يؤديه

---

1 : أحمد بن فارس بن زكريا(أبو الحُسين)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسُنن العرب في كلامها، تع: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1418هـ–1997م، ص:207.

2 : أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة–مصر، ط5، 1998م، ص:145.

3 : مساعد بن سليمان بن ناصر الطّيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1422هـ، ص:459.

4 : عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص147.

5 : ينظر: فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، ص129.

هذا التغيير والتنوّع هو إضاءة المفردات والعبارات داخل وخارج إطار الجملة الواحدة، وتسليط الانتباه عليها ممّا يضفي صبغة جمالية على مستوى البناء الفني للنص [1]، ويُضاف إلى جملة ذلك «ما يُحدثه التغيير من دهشة شعورية لدى القارئ الذي اعتقد أنه يقرأ شيئاً مُكرّراً، وإذا به أمام شيء جديد» [2]، يُذكّره باللفظ الأول الذي يحمل معه نفس الشكل، ولكن يُخالفه في المعنى، فتُولّد عنده حبُّ اجترار الماضي.. الماضي القريب، حتى إذا ما فرغ من قراءة النص يكون قد وعى معظم أجزاءه، ولا يكون ذلك إلا لقارئ حذِقٍ، على دراية بفنون اللغة وخبايا استعمالها ووجوه تأويلها.

ونجد مثل هذا النمط في القرآن الكريم، حيث يقوم الاشتراك اللفظي بالربط داخل إطار الجملة الواحدة، على نحو ما نقرؤه من قوله تعالى في سورة الرحمان: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴿٦٠﴾﴾.

فتكرار اللفظ –هنا– ليس لغرض التوكيد؛ لأن لفظة (الإحسان) التي جاءت في أول الآية لا تحمل المعنى نفسه الذي تحمله لفظة (الإحسان) التي ختمت بها الآية، وذلك أن معناها في الأول جاء على لسان الرسول –صلى الله عليه وسلم– بقوله: ‹‹الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاه، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك›› رواه مسلم[3].

أما معناها في آخر الآية:« هو إعطاء الحَسَن، وهو الخير»[4]. فمعنى:

–الإحسان الأول: الفعل الحسن.

–الإحسان الثاني: الجزاء الحسن.

والاستفهام للنفي عُقب بالاستثناء فأفاد حصر مجازاة الإحسان في أنها إحسان، وهو الجزاء الحق، لذلك ندرك أن لفظة (الإحسان) التي خُتمت بها الآية هي جزاء طبيعي لإحسان المخلوق؛ لأن الجنة مكافأة لمن آمن واتّقى.

---

1 : ينظر: نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط3، 1983، 2004م، ص:270.

2 : فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، ص129.

3 : مسلم بن الحجاج ابن مسلم النيسبوري، صحيح مسلم، شرح: محي الدين النووي، دار ابن الهيثم، القاهرة–مصر، ط 1، 2003م، ج2، كتاب الإيمان، ص:16.

4 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:330.

كما نجد استخدام الاشتراك اللفظي بين الجملتين المتقاربتين نسبياً، واللتان تأخذان منحىً واحداً في إقناع المتلقي، يُظهر دور السياق وأهميته في تحديد دلالة اللفظ المتكرر بينهما، على نحو ما نراه في قوله تعالى من سورة الرحمان: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾، وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾.

فالإنسان المرادُ به:

- في الآية الأولى: جنس الإنسان (ولد آدم)، والمخلوق من نطفة.
- في الآية الثانية: آدم وهو أصل الجنس، والمخلوق من الصلصال.

وتكرار مثل هذه الألفاظ يدلّ دلالة واضحة على تركيز القرآن الكريم على موضوع اختاره لإبداء معنى بعيد، أو معانٍ كثيرةٍ على القارئ أن يستجيب لها، بعد أن يستذكر قدرة ربه في نفسه التي خلقها من نطفة، ثم يستعظم هذه القدرة مقتنعاً بيقينه بعد معرفة مبْدأ خلقه وتكوينه، والذي يتمثّل في خلق آدم-عليه السلام- ﴿مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾. ليَستجيب بعدها و يعترف بنعم أخرى لا ينبغي أن يُكذّب بها.

وقضية الخلق لا يتنازع فيها البشر، ولكنهم لمّا أعرضوا عن موجبها، سيق لهم الخبر في الآيتين على أسلوب التعديد بدون عطف ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾، وقد جاء المسند (الخبر) على شكل جملة فعلية وأخّره على المسند إليه لتقوية الحكم وللتخصيص. ذلك إذا علمنا أن أصل الجملة هو (خلق الرحمانُ الإنسانَ)، فيكون فعل الخلق هو المسند.

وهذا التدرج في الإقناع أسلوب من أساليب القرآن الباهرة، التي تعتمد في التأثير على اللفظ الواحد المكرّر ذو المعاني المتعددة، تزيد في تكثيف المعنى إلى حدٍّ ما.

ولعل أهم ما يؤديه هذا التغيّر والتنوّع في استخدام المعاني، هو إضاءة المفردات وقدرتها على تأدية أكثر من معنى واحد داخل سياقات متعددة، كما يضفي عليها حسن سبك العبارة الصبغة الجمالية، التي تأخذ بذهن القارئ إلى تنمية حصيلته اللغوية عبر تجدّد المعاني داخل نسق متعالق يحيل بعضه إلى بعض بفعل تشابه ألفاظه.

ومثل هذا التكرار من شأنه أن يجعل الحركة بكليتها أشبه ما تكون بدائرة كبيرة نقطة البداية والنهاية فيها واحدة، والمتأمل في هذه البنية التكرارية يلحظ أنها تعتمد على تحويل

الشكل التعبيري إلى بنية مغلقة، بدايتها تلتحم بنهايتها، ومن ثمّة نقول على النص أنه قد حقق معنى التماسك بمفهومه الشكلي.

4- التـــرادف:

وهو أحد العلاقات الدلالية، ووسيلة من وسائل اتساع اللغة، يُسهم في امتداد المعنى داخل النص، مما يمكن للمتكلم الانتقال بيُسر وسهولة بين ألفاظه المترادفة، التي تلائم سياقه فتجعل نصّه مترابطاً متّسقاً، وذلك انطلاقاً من وصفنا اللغة العربية بأنها تحظى بسعة التعبير، وكثرة المفردات، وتنوّع الدلالات.

ومعنى الترادف في اللغة ما يوضحه " **ابن فارس**" **(ت 395هـ)** في قوله : « الراء والدال والفاء أصلٌ واحد مطرد، يدل على اتباع الشيء؛ فالترادف التتابع، والرديف الذي يُرادفك»[1].

أما إذا أردنا الوقوف عند مفهومه في الاصطلاح نجد فيه الكثير من التعريفات قديماً وحديثاً، يقول "**الشريف الجرجاني**" **(ت816هـ)**:« المترادف ما كان معناه واحداً وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك، أخذ من الترادف الذي هو ركوب أحدٍ خلف آخر، كأنّ المعنى مركوب واللفظان راكبان عليه، كالليث والأسد...» [2]. وقال صاحب "**المزهر**":« هو أن يُسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة؛ نحو السيف والمهنّد والحسام»[3].

ويُفسّر علماء الأصول وقوع الترادف بوجود واضعين مختلفين، وهو« أن تضع إحدى القبيلتين أحد الإسمين، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد، من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى، ثمّ يشتهر الوَضْعان، ويخفى الواضعان، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر، وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية»[4].

وفي علم اللغة الحديث يُقرَّر الترادف بأنه شكل من أشكال الاتساق المعجمي، يتطلب إعادة مرادف عنصر معجمي في النص أو شبه مرادف له بحسب مناسبة السياق. والمثال التالي يُوضّح ذلك:

---

1 : أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص:503.

2 : علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان- (د.ط)،1985م، ص:210.

3 : جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تع: محمد أحمد جاد المولى بك، دار التراث، القاهرة-مصر، ط 3، (د.ت)، ج1، ص:404.

4 : المرجع نفسه، ص:405-406.

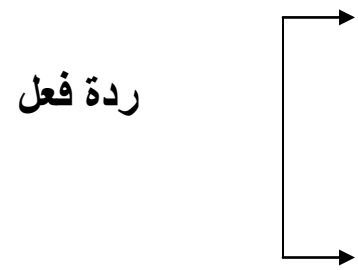

فكلمة (فرح) تعتبر إعادة للكلمة الواردة نفسها في الجملة الأولى، وهذا تكرار مباشر، وأما (سَعِدَ وابتهج وسُرَّ) مرادفات لـ"فـرِح".

يعمل التكرار في صورة الترادف على توصيل القصد والإخبار عنه، والحرص على ترسيخه في ذهن المتلقي، من خلال جمع تراكيب النص، وتعليق بعضها ببعض. ومعناه أن يعمد القرآن الكريم إلى توظيف ألفاظ تعمل على تأدية المعنى (كأن يكون وعضاً)، وفي موضع غيره يتم استبدال تلك الألفاظ بأخرى تؤدي نفس الغرض. ومثاله قول الله –جلّ وعلا– في سورة الواقعة: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴿٦٠﴾عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴿٦١﴾.

يقول "**ابن منظور**" في معنى (**خلق**):« الله تعالى الخالق الخلاق، الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأصل الخلق التقدير، والخَلْقُ في كلام العرب: ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه؛ وكل شيء خلقه الله فهو **مُبتدئه** على غير مثال سُبق إليه»[1].

ويقول في معنى (**نشأ**):« أنشأه الله: خلقه، ونشأ ينشأُ نشأً ونشوءاً ونشاءً ونشأةً ونشَاءَةً: حيي، وأنشأ الله الخلق أي: **ابتدأ** خلقهم»[2].

يتبيّن من خلال المعنى اللغوي لفعل الخلق والإنشاء أنهما يدلان على مسمى واحد وهو الإيجاد والإنشاء، «فهو نفخ الأرواح في الأجساد الميتة وفي الأجساد البالية»[3].

---

1 : ابن منظور، لسان العرب، ج10، مادة(خلق)، ص:85.

2 : المرجع نفسه، ج1، مادة(نشأ)، ص:170.

3 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:318.

وبما أن معنى (الخلق والإنشاء) واحدٌ فيعدان بذلك رمزين لفظيين أو علامتين لغويتين يوفرهما نظام اللغة في الآيات السابقة؛ صِيغَ بهما مضمون البلاغ الذي سينقل للمتلقي دلالات ومقاصد المصدر أو المبلِّغ- المولى عزّ وجلّ-، فيكون أحدهما بالنسبة إلى الآخر شرحاً لما خفيَ منه.

وبذلك يعلم الناس أن امتنان الله تعالى عليهم بنعمة الخلق السوي (في أحسن صورة) قادر -إن أعرضوا وكفروا- أن يعيد خلقهم مرة أخرى لكن على أسوأ صورة لا يعلمونها، لذلك عبّر عنها بـ(ننشئكم)أي:« في صورة من الحيوانات الممتهنة المرتطمة بالأقذار كالقردة والخنازير»[1].

بذلك يسهم الترادف في بناء نص القرآن الكريم من خلال التركيز على المجال الدلالي الرئيسي، الذي يُشكل موضوعه(علاقة الخالق بالخلْق)، والمجال الدلالي الذي يشكل خصوصية نص السورتين(موضوع الامتنان ومنه نعمة الخلق والإيجاد)، فيعمل الترادف بوصفه أداة ربط نصية على إيجاد قناة للتفاعل بين تلك المواضيع على مستوى أبنيتِها اللغوية (جعلها)، ومن ثم التأثير في المتلقي فهماً وإدراكاً. والشكل التالي يوضّح حلقة التأثير والتأثّر.

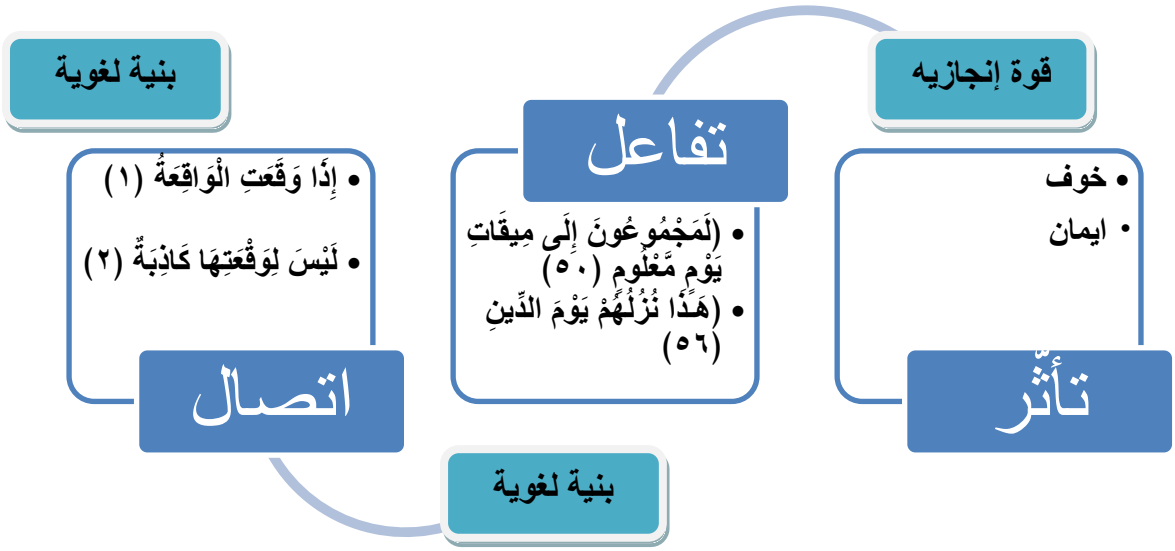

الشكل رقم(06):تفاعل البنى اللغوية

1 : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير، دمشق-سوريا، ط7، 1420هـ-1999م، ج7، ص:407.

ويظهر أثر الترادف في شدِّ زوايا النص وتماسكه، عبر إفرازه ظاهرة لغوية تميزه عن غيره، ألا وهي: **المراوحة في الأسلوب** ، وطرد الملل والسآمة [1]؛ لأنّ ذكر اللفظ مكرّراً بعينه قد لا يُستحسن، وقد يُكره. فيقع الترادف بين الجمل ليُؤكّد المعنى دون التكرار الحرفي للبُنى. كما نرى في قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴿٨﴾وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾. وقال:﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴿٢٧﴾. ثم قال:﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴿٤١﴾

مما سبق ألاحظ أنّ الترادف وسيلة من وسائل بناء الموضوع الرئيسي للسورتين، عبر تعالق المعاني في حقول دلالية صغرى، وتشكل في مجموعها مجالين دلاليين رئيسيين وهما مجال النعيم ومجال العذاب.

كما يُشكّل وجود الترادف في نص القرآن الكريم جزءاً هاماً من الثقافة العربية، والذي تبرز من خلاله قدرة تعبير اللغة عن المعاني واستقصائها عبر المترادفات، فتُسهم في تحقيق الغاية المنشودة، وهي شدّ ذهن القارئ وتركيزه عند معاني الكلمات المألوفة، ومرادفاتها غير المستخدمة عبر ثنايا النص ككل، فتجعل منه وحدة متماسكة.

واستخدام القرآن الكريم للترادف لا يؤدي وظيفة نصية أو مهمة تعبيريةً فحسب، بل نجده يرتبط بالغاية التعليمية عبر تلازمه مع ألفاظ أخرى شارحة له، على نحوٍ يقوم فيه الترادف بوظيفة إثراء تلك المفردات التي تمتدّ عبر النص، خاصة التي يتعلّق استخدامها بالمعجم القرآني. الأمر الذي يعكس مدى سعة التعبير في اللغة العربية وتعدد دلالات وحداتها، فضلاً عن كسر الثقل اللغوي للتركيب الناتج عن كثرة الغريب، ومثاله قوله تعالى في سورة الواقعة:﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴿١﴾لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴿٢﴾. وقال:﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴿٥٦﴾.

و﴿الْوَاقِعَةُ﴾ و ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ واحد وهما يدلان على ذلك اليوم العصيب. والواقعة كالحاقة والقارعة وغيرها من الألفاظ الغريبة التي أطلقت على ذلك اليوم، افتُتحت بها السورة مُعلنةً عن موضوعها العام الموجه للناس كافة من أجل التخويف والتهويل.

---

1 : ينظر: محمد بن ابراهيم الحمد، فقه اللغة (مفهومه وموضوعاته وقضاياه)، دار ابن خزيمة، الرياض–السعودية، ط 1، 1426هـ–2005م، ص:202.

وهذا الافتتاح البديعي يسترعي الألباب بتوقّع حدث عظيم، يوَدُّ المؤمنون أن يكونوا حينها في مَأمنٍ منه، وأما الضّالون المكذبون ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴿٥٣﴾فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴿٥٦﴾[سورة الواقعة]، فذكّرهم بأنه يوم الدين أي يوم الجزاء، وجعل يوم الدين وقتاً لنزلهم مؤذن بأن ذلك الذي عبّر عنه بالنزل جزاء على أعمالهم لذلك وعدهم أنه سيجمعهم﴿إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[الواقعة.الآية:50]

فمن خلال هذه المترادفات يجتمع في نفس المتلقي خوف وتهديد بعد إدراكه معاني هذه الآيات المتسقة، فيتذكّر ويتّعض.

وفضلاً عن تلك الخصائص التي امتاز بها القرآن الكريم، التي تجلّت بوضوح مع أثر الترادف، نجد أن هذه الظاهرة اللغوية وسيلة من وسائل الربط المعجمي تسهم في صنع وسائل أخرى للتماسك داخل باقي النصوص، منها الروابط النحوية والصوتية، فيتداخل الترادف معها في صنع اتساق النص وتعالق وحداته، كما نرى خصوصية استخدام هذه الوسائل بما يتناسب مع الخصائص العامة للقرآن الكريم من مثل الغاية التعليمية، والطابع السردي الملخّص للأحداث، والذي يظهر أكثر اعتماده على المترادفات.

IV. وظائف التكرار وأغراضه البلاغية:

للتكرار أغراض بِلُغة البلاغيين ووظائف بِلغة علماء النص، فكلا الفريقين انتبه لهذه الظاهرة اللغوية المساهمة بشكل واضح في اتساق النصوص وترابطها، ومن خلال تناول موضوع أثر التكرار في اتساق النص القرآني، أستنتج ما يلي:

1- أغراض التكرار: تتعدد أغراض التكرار بتعدد أغراض مستعمليه؛ إذ لا يخلو تكرار من غرض مفيد، أو هدف واضح لجأ إليه المخاطب في توجيه رسالته، ومن أغراضه:

1 - **التوكيد:** وهو أهم غرض للتكرار، حيث نلجأ للتأكيد عموما كلما أحسسنا بشيء من استهانة المخاطب بمن يخاطبه، أو تردداً في قبول كلامه، فبقدر وقوع الريب والشكّ في الأمر تتكاثف وسائل التوكيد لدفعة ومن أهمها(التكرار).

2 - **القَسم:** يعد القَسم في حدّ ذاته وسيلة من وسائل التوكيد، والذي نلجأ إليه كلما كانت الحاجة ماسة للإقناع والشعور بدرجة عالية من الإنكار، وهو مكرر في القرآن الكريم

خاصة عند إثبات جحود الكفار والمشركين، وتزداد وظيفة القسم تأكيداً، وغرضه وضوحا كلما كان القسم مكرراً مناسبةً للمقام.

3 – **التحذير**: يختلف التحذير باختلاف بواعثه، التي قد يكون مصدرها الشفقة والرحمة بمن نحذره، وقد يكون التعالي والتهديد مثلا، والتحذير عموماً لن يكون له كبير وقع إلا إذا كان مكرراً وهذه أغلب حالات وردوده، ليكون صدى المحذّر بالخطر قويا معلِّلاً شر ما يقول، مبرّراً غاية التحذير المُكرّر.

4 – **التعجب للتهويل والتعظيم** : تعتري النفس البشرية ألوان من المشاعر تبعاً لما يثيرها، فأحيانا نستغرب أو نستعظم، أو نهول من أمر ما لندرته أو جهل كنهه وحقيقته، ويزيد التكرار لهذه الأساليب مع التعجب أغراضاً أخرى تأكيداً لما وقع للنفس تعجيباً وتهويلاً وتعظيماً وتفخيماً.

5 –وقد عدّد صاحب "**العمدة**" للتكرار أغراضاً أُلخصها فيما يلي:

أ – التشويق والاستعذاب.

ب –التنويه والإشادة (في مقام المدح والتعظيم).

ج –التوبيخ والتقرير (في مقام الوعيد والتهديد).

د – التشهير (في مقام الهجاء).

هـ –الازدراء و التهكم[1].

2– وظائف التكرار النصية:

ذكر الباحثون في مجال نحو النص عدّة وظائف للتكرار ألخصها في ما يلي:

- يهدف إلى تدعيم الاتساق النصي من خلال ربط الوحدات المعجمية.
- يمنح المخاطب القدرة على إيجاد صورة لغوية جديدة تستهوي القارئ.
- إيجاد تفاعل منطقي لسير الأحداث عبر تحريك الشخصيات المعبرة عن توجهات أو سلوكيات محدّدة يسعى النص للإشادة بها أو العكس.
- الاعتماد على النمط الوصفي من خلال ربط حيثيات الموصوف بما يدركه المتلقي.

---

1 : ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت–لبنان، (د.ط)، 1982م، ج2، ص:73.

V. قائمة بأنواع التكرار في سورتي الرحمان والواقعة وأغراضه البلاغية:

استئناساً ببعض الدراسات السابقة وكتب التفسير، واعتماداً على قراءتي الخاصة تمكّنت –بفضل الله وتوفيقه– من جمع عدد معتبر من ألفاظ التكرار في سورتي (الرحمان والواقعة)، وقد رتّبتها في هذا الجدول، وهي ليست على سبيل الحصر، بل من الممكن أن تُضاف إلى هذه القائمة ألفاظاً أخرى لوجود الخلاف في تفسير معناها.

الرقم	التكرار	نوع المكرر	نوع التكرار	الآية	الغرض
1	أأنتم- أأنتم	ضمير	تكرار مباشر	الواقعة[59-64-69-72]	التقرير والتحدي
2	أشأناهن– إنشاءً	فعل–اسم	تكرار جزئي	الواقعة[35]	التوكيد
3	أصحاب- أصحاب	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[38-41]	التنويه والإشادة
4	أصحاب الشمال– أصحاب الشمال	جملة اسمية	تكرار مباشر	الواقعة[41]	التهويل
5	أصحاب المشأمة– أصحاب المشأمة	جملة اسمية	تكرار مباشر	الواقعة[9]	التهويل
6	أصحاب الميمنة– أصحاب الميمنة	جملة اسمية	تكرار مباشر	الواقعة[8]	التعظيم
7	أصحاب اليمين– أصحاب اليمين	جملة اسمية	تكرار مباشر	الواقعة[27-91]	التعظيم
8	أفرأيتم- أفرأيتم	فعل	تكرار مباشر	الواقعة[58-63-68-71]	التحدي والتعجيز
9	أفنان- دان	اسم	ترادف	الرحمان[48-54]	التشويق
10	أُقسم- لقسم	فعل- اسم	تكرار جزئي	الواقعة[45-46]	التوكيد
11	الإحسان- الإحسان	اسم	اشتراك لفظي	الرحمان[60]	التقرير
12	الآخرين- الآخرين	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[14-40-49]	التوكيد
13	الإنسان- الإنسان	اسم	اشتراك لفظي	الرحمان[3-14]	التقرير
14	الإنسان – الإنس	اسم	تكرار جزئي	الرحمان[3-33]	التقرير
15	الأولون- الأولون	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[48-49]	التوكيد

16	الأولين- الأولى	اسم	تكرار جزئي	الواقعة[49-62]	التوكيد
17	الأولين– الأولين	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[13-49]	التوكيد
18	البحر– البحرين	اسم	تكرار جزئي	الرحمان[19-24]	التعجيز
19	الجان– الجن	اسم	تكرار جزئي	الرحمان[15-33]	التقرير
20	ذو الجلال والإكرام– ذي الجلال والإكرام	جملة اسمية	تكرار مباشر	الرحمان[27-78]	التعظيم والإشادة
21	الحميم- حميم	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[54-93]	التهويل والتشهير
22	السابقون– السابقون	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[10]	التفخيم
23	السماء– السماوات	اسم	تكرار جزئي	الرحمان[7-33-29-37]	التعظيم
25	السماء– السماء	اسم	تكرار مباشر	الرحمان[7-37]	التهويل والتعظيم
26	الشمال– المشأمة	اسم	تكرار جزئي	الواقعة[9-41]	التهويل
27	الضالون- الضالين	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[51-92]	التهويل والتشهير
28	العظيم- العظيم	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[46-74-96]	التعظيم والإشادة
29	القيامة- يوم الدين	اسم	ترادف	الواقعة[1-56]	التوكيد والتهويل
30	الماء-ماء- الماء-ماء	اسم	تكرار مباشر	الواقع[31-68]	التقرير
31	المجرمون- المجرمون	اسم	تكرار مباشر	الرحمان[41-43]	التأكيد
32	المرجان– المرجان	اسم	تكرار مباشر	الرحمان[22-58]	التشويق
33	المقربون- المقربين	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[11-88]	التوكيد
34	المكذّبين- المكذبون	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[51-92]	التوكيد

35	المنشئون- ننشئكم-النشأة-أنشأتم	اسم-فعل	تكرار جزئي	الواقعة[61-72]	التقرير والتحدي
36	الميزان– الميزان	اسم	تكرار مباشر	الرحمان[7-9]	التعظيم والتنويه
37	النخل- نخل	اسم	تكرار مباشر	الرحمان[11-68]	التوكيد
38	النعيم- النعيم	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[12-89]	التشويق
39	اليمين– الميمنة	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[27-90-91]	التعظيم والإشادة
40	أمثال- أمثالكم	اسم	تكرار جزئي	الواقعة[23-61]	التحدي
41	إن- إن	حرف	تكرار مباشر	الواقعة[-45-49-51-76-77-82-95]	التوكيد
42	إنا- إنا	حرف+ضمير	تكرار مباشر	الواقعة[35-47-66]	التعظيم والتفخيم
43	أنزلتموه- المنزلون-تنزيل	فعل-اسم	تكرار جزئي	الواقعة[69-80]	التقرير والتوكيد
44	بُست– بساً	فعل–اسم	تكرار جزئي	الواقعة[5]	التهويل
45	بينهما– بينها– بين	ظرف	تكرار جزئي	الرحمان[20-44]	التوكيد
46	تخلقونه- الخالقون	فعل- اسم	تكرار جزئي	الواقعة[59]	التقرير والتحدي
47	تزرعون- الزارعون	فعل- اسم	تكرار جزئي	الواقعة[64]	التقرير والتعجيز
48	تعلمون- تعلمون	فعل	تكرار مباشر	الواقعة[61-72]	التوكيد
50	تنفذوا– انفذوا–لا تنفذون	فعل	تكرار جزئي	الرحمان[33]	التحدي والتعجيز
51	ثلة– ثلة	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[13-39-40]	التنبيه
52	جعلناه- جعلناه	فعل	تكرار مباشر	الواقعة[39-65-70-73]	التقرير

53	جنات- جنّتُ	اسم	تكرار جزئي	الواقعة[12-89]	التشويق
54	جنتان– جنتان	اسم	تكرار مباشر	الرحمان[46-62]	التشويق والاستعذاب
55	حسان- الإحسان	اسم	تكرار جزئي	الرحمان[60-70]	التوكيد
56	حسان- حسان	اسم	اشتراك لفظي	الرحمان[70-76]	التشويق
57	حميم– يحموم	اسم	تكرار جزئي	الواقعة[42-43-54-93]	التهويل والتشهير
58	خلق– خلق	فعل	تكرار مباشر	الرحمان[3-14-15]	التأكيد
59	خلقناكم- ننشئكم	جملة فعلية	ترادف	الواقعة[57-61]	التوكيد
60	ذو- ذي	اسم	تكرار مباشر	الرحمان[27-78]	التوكيد والتعظيم
61	ربُّ– ربِّك– ربُّه	اسم	تكرار جزئي	الواقعة[74-80-96]	التعظيم والإشادة
62	رجت- رجاً	فعل–اسم	تكرار جزئي	الواقعة[4]	التهويل
63	روح- ريحان	اسم	اشتراك لفظي	الواقعة[89]	التشويق
64	سلاما– سلاما	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[26]	التشويق
65	شاربون- شرباً- تشربون	اسم- فعل	تكرار جزئي	الواقعة[54-55-68]	التوكيد
66	شاربون– شاربون	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[54-55]	التوكيد
67	شجرٍ- شجرتها	اسم	تكرار جزئي	الواقعة[52-72]	التوكيد
68	عليها- عليكما	شبه جملة	تكرار جزئي	الرحمان[26-35]	التوكيد
69	عليها– عليهم– عنها	شبه جملة	تكرار جزئي	الواقعة[16-17-19]	التوكيد
70	عينان– عينان	اسم	تكرار مباشر	الرحمان[50-66]	الاستعذاب

71	فاكهة- فاكهة	اسم	تكرار مباشر	الرحمان[11-52-68]	الاستعذاب
72	فاكهة– فاكهة	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[20-32]	الاستعذاب
73	فبأي آلاء ربكما تكذبان- فبأي آلاء ربكما تكذبان	جملة اسمية	تكرار مباشر	31مرة من أول السورة إلى آخرها	التقرير والتحدي والتعجيز
75	فسبح باسم ربك العظيم- فسبح باسم ربك العظيم	جملة فعلية	تكرار مباشر	الواقعة[74-96]	التعظيم والتفخيم
76	فلولا- فلولا	حرف	تكرار مباشر	الواقعة[57-62-70-83-86]	التقرير والتوكيد
77	فيهما- فيهن	شبه جملة	تكرار مباشر	الرحمان[50-56-70]	التوكيد
78	فيهما– فيهما	شبه جملة	تكرار مباشر	الرحمان[50-52-66-68]	التوكيد
79	قبلهم- قبلهم	شبه جملة	تكرار مباشر	الرحمان[56-74]	التوكيد
80	قرآن- الحديث	اسم	ترادف	الواقعة[77-81]	التنويه والإشادة
81	قيلاً- يقولون- قل	اسم- فعل	تكرار جزئي	الواقعة[26-47-49]	التقرير
82	كانت– كنتم	فعل	تكرار مباشر	الواقعة[6-7-86-87]	التقرير
83	كانوا- كانوا	فعل	تكرار مباشر	الواقعة[24-45-46-47]	التوكيد
84	كريم- كريم	اسم	تكرار مباشر	الواقعة[44-77]	التعظيم
85	كلّ– كلّ	اسم	تكرار مباشر	الرحمان[26-29-52]	التقرير
86	لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان– لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان	جملة فعلية	تكرار مباشر	الرحمان[56-74]	التعجيب
87	لو نشاء- لو نشاء	فعل	تكرار مباشر	الواقعة[65-70]	التوكيد
88	مارج– مرج–المرجان	اسم–فعل	تكرار جزئي	الرحمان[15-19-22-58]	التقرير

89	مقصورات- قاصرات	اسم	ترادف	الرحمان[56-72]	الاستعذاب
90	نار – نار	اسم	تكرار مباشر	الرحمان[15-35]	التوكيد
91	نحن- نحن	ضمير	تكرار مباشر	الواقعة[57-64-60-59-72-69-67-85-73]	التعظيم والتفخيم
92	نزلهم- نزلٌ	اسم	تكرار جزئي	الواقعة[56-93]	التهويل
93	وقعت– الواقعة–وقعتها	فعل–اسم	تكرار جزئي	الواقعة[1-2]	التعظيم والتهويل

وأحاول أن أمثّل لهذه القائمة بدائرتين نسبيتين توضّحان النتائج العامة

لكل من المكرّر ونوع التكرار، ونسبة توزيع كل منهما في سورتي الرحمان والواقعة:

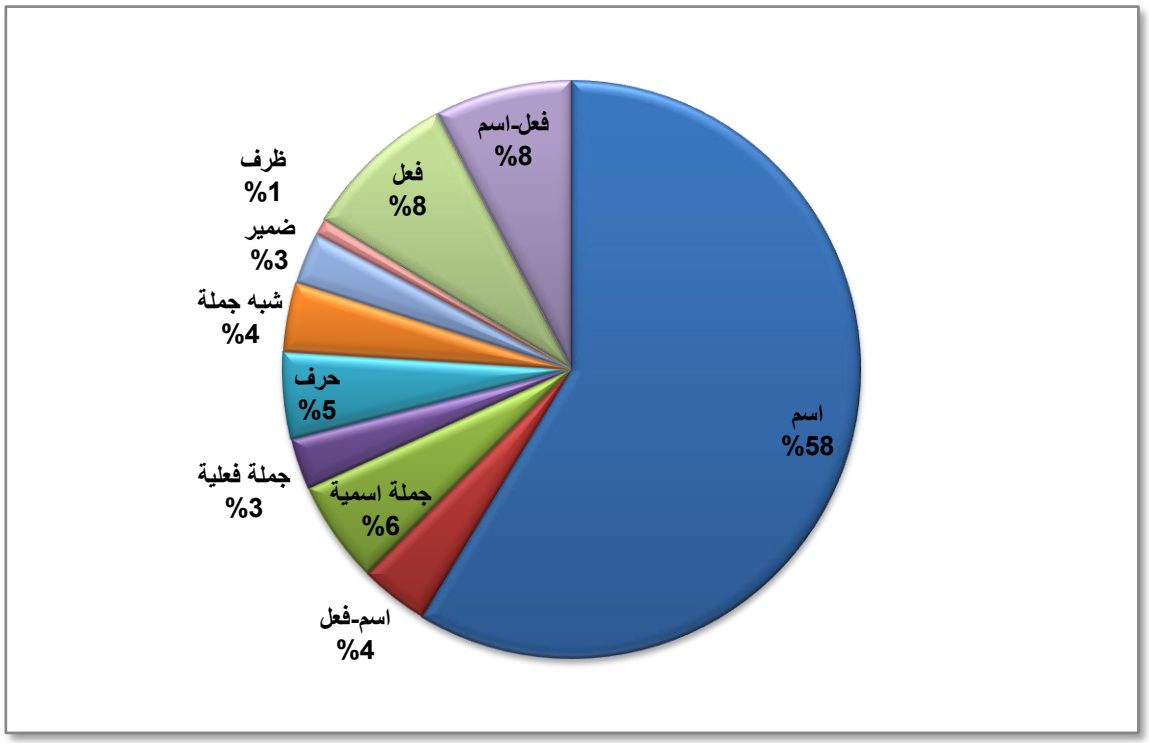

الشكل (07):دائرة نسبية توضح نوع المكرر وتوزيعه في سورتي الرحمان والواقعة

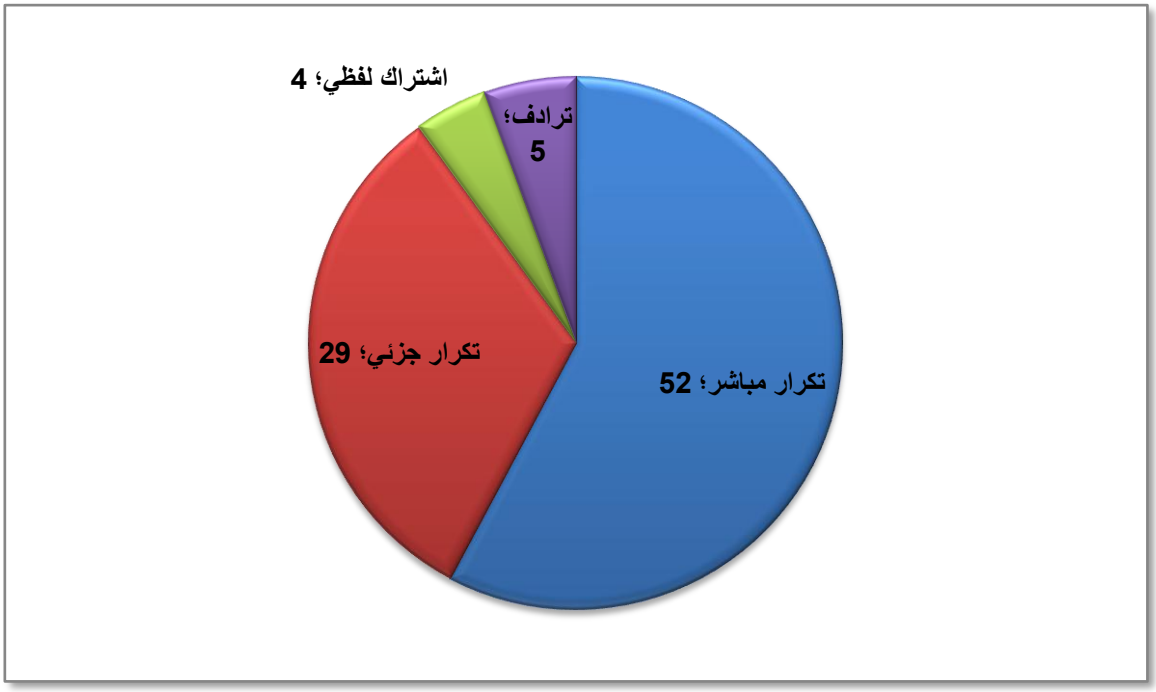

الشكل (08):دائرة نسبية توضح أنواع التكرار وتوزيعها في سورتي الرحمان والواقعة

من خلال ما تقدّم عرضه من بيان أثر التكرار في تحقيق الاتساق النصي في نص سورتي الرحمان والواقعة، وبعد إجراء عملية الإحصاء وبيان نسبة توزيع كل نوع، أستنتج ما يلي:

- ظاهرة التكرار ظاهرة لغوية عرفتها اللغة العربية في أقدم نصوصها الشعرية والسردية منها، وقد تناثرت أقوالٌ في الحديث عنها وإشارات إليها في كتب القدماء والمحدثين، ونالت بعضاً من الدرس الموجز أحياناً، والمفصّل أحياناً أخرى.

- إنّ اعتماد البنية النصية لسورتي الرحمان والواقعة على النوع الأول للربط المعجمي (التكرار) في سياقات مختلفة، أمر يُسهم في اتساق النص، وتكامل مقاطعه الوصفية والسردية والحجاجية، ذلك بوصفه طريقاً مفتوح ة بالنسبة للقارئ يحاور آياته ويؤولها انطلاقا من معرفته الخلفية(اللغوية والشرعية...) ورؤيته للعالم.

- يحاول القرآن الكريم من خلال التكرار التأثير في نفسيات المتلقين، من خلال تناوله الجانب المادي تعداداً وتوصيفاً(كحُجج)، واعتماده الأسلوب الموقع والمُكثّف بالتكرار والإعادة، وذلك لغاية توجيه المرسل إليه، وحَمْل المخالفين على تغيير آرائهم، وقد كشفت

عن ذلك نسبة توزيع المُكرّر الذي يعتمد عليه الوصف في إقامة الحجة، والموضّح في الجدول السابق والدائرة الأولى، حيث نجد أنّ الاسم قد سجل نسبة 58% وهو نوع التكرار الغالب في السورتين، مما يعني اعتماده على الوظيفة الإيهامية التي تجعل من الموصوف مطابق للواقع، يلي ذلك(الفعل) و(فعل مع اسم) بنسبة متساوية تقدر بـ 8%، ثم(الجملة الاسمية) بنسبة 6%، و(الحرف) بنسبة 5%، في حين نجد تساوى نسبة تكرار (اسم مع فعل) و(شبه الجملة) بنسبة 4%، بالمقابل نجد كذلك تكرار (الجملة الفعلية) و(الضمير) يتساويان بنسبة 3%، وأخيراً تكرار (الظرف) مسجلاً أدنى نسبة 1%. الأمر الذين يدعونا إلى استنتاج وظيفة كل هذه الأنواع من المُكرّرات في نص السورتين، والتي تتلخّص في:

-أ- تغيير رأي المخالفين وإقناعهم بما يُلقى عليهم، عبر إرباكهم بقوة التغيير في الأسلوب ثم الرجوع إليه بطريقة منهجية، تعمل على تسفيه رأيهم وحملهم على السكوت.

-ب- بناء موضوع السّجال، وتعليم الأتباع على أسلوب المُحاجّة ومخاطبة العقل بالمنطق.

-ج- تسلسل الأفكار في بعض الأحيان (خاصة حينما يتعلّق الأمر بالوصف) يؤدي إلى تحريك المشاعر ومخاطبة الوجدان.

- عدد الجمل الاسمية المكررة في سورة الرحمان ثلاث وثلاثين(33) ممثلة في قوله تعالى:﴿**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾. موزعة توزيعاً تاماً من بداية السورة إلى نهايتها، ممثلة مركزا تلتقي فيه جميع المعاني الفرعية الخادمة للموضوع الرئيسي، فهي بمثابة الرابط بين الألفاظ والتراكيب في حقول دلالية مختلفة، مما يُكسبها التّجدد في كل مرّة وحَمْل المُخالفين على تغيير آرائهم بقوة الإنكار، وغير المُخالفين على الاعتماد في تثبيت النفس على الحق على طريقة المكرّر.

وعموماً نجد أنّ الجمل الاسمية أكثر تكراراً من غيرها، وهو دليل على سمة الثبات لنعم الله-عز وجل- وآلائه على عباده في الدنيا والآخرة، مما يرتبط مباشرة بالمعنى الأول (صفة الرحمان) أو (جزاء الأصناف الثلاثة).

- يتبيّن أيضاً أن تحقيق الاتساق داخل النصوص يعتمد في كثير من الأحيان على التكرار المباشر ثم الجزئي، ولا يُلغي دورهما –كما ذهب الكثير من الدارسين– ولا أدلّ على ذلك من استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب بشكل واضح وجلي.

- اعتماد السورتين على أسلوب التكرار القائم على إعادة اللفظ بلفظه أو بمعناه، وذلك في موضوع الإقناع(مثل الترادف:خلقناكم=ننشئكم)، يُساعد على تنويع اللفظ واستخدامه في صور مختلفة تتماشى وطبيعة المتلقي، ثم ارتباط هذه الألفاظ بالموضوع العام للسورتين مشكّلة نسقاً متّسقاً، يعمل على التأثير في المتلقي.

الفصل الثالث:

أثر التضام في اتّساق النص القرآني

I. تمهيد:

يندرج التضام ضمن الظواهر الخطابية ذات القيمة الإبلاغية، وقد عدّها العلماء القدماء ضمن باب البديع، فمنهم من وقف عند إحصائها دونما أيّ تعليق، ومنهم من أشار إلى دورها في تحسين الكلام، ووظيفتها في الجمع بين شيئين أو أشياء في البيت أو خطاب معين[1]. وعليه يمكننا إدراك الفرق بين الرأيين من خلال معرفة أثر هذه الظاهرة في صنع الاتساق داخل النص القرآني.

يعمل نحو النص للكشف عن ظاهرة التضام الواقعة بين الجمل والفقرات في النصوص، من خلال توظيفها للكثير من العلاقات التي ترب ط بين المفاهيم بمحاولة توسيع نطاقها داخل النص، ذلك إذا علمنا « أنّ المرء يملك مجموعة من المفاهيم في صورة شبكة من العلاقات الدلالية تختلف بالطبع في كميّة المخزون، وكيفيته نتيجة الفروق الفردية» [2]، إلا أنّ لهذه العلاقات الدلالية أهميّة سواء عند إنتاج النص أو عند تلقيه.

وقد كان لعلم النفس الإدراكي إسهام كبير في هذا الجانب من خلال اكتشاف كيفية تخزين المعلومات في الوعي، فقد وجدوا تجريبياً بواسطة اختبار التداعي أنّ المفهوم لا يخزّن منعزلاً في الذاكرة، وإنما توجد بين بعض المفاهيم علاقات وثيقة مثل: (تلميذ– يتعلّم)، (قرد– يتسلّق)[3].

وقد كان المعيار الثاني من المعايير النصية عند "ديبوجراند ودريسلر" هو التضام [4]. وهو معيار يختصُّ بالاستمرارية المتحققة في عالم النص " Textual Warid"، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم "Concepts" والعلاقات "Relations" الرابطة بين هذه المفاهيم[5].

---

1 : ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:130.

2 : عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:153.

3 : ينظر: المرجع نفسه، ص:153.

4 : نقلاً عن: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية–مصر، (د.ط)، 1998م، ص:141.

5 : نقلاً عن: سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري(دراسة في قصيدة جاهلية)، مجلة فصول (مجلة علمية محكمة تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب)، العددان الأول والثاني، 1991م، ج10، ص:155.

ويوضح هذا " ديبوجراند ودريسلر" من خلال عرض إحدى أنماط العلاقات، وهي علاقة السببية Causality، التي تربط بين مفهومين أو حدثين، أحدهما ناتج عن الآخر[1]، ونوضّح ذلك بالمثال التالي:

- سقط الكأس، فتحطّم.

فحدَثُ(التحطيم) سبب حدث (السقوط)، والعلاقة الرابطة بين المفاهيم تحتاج من القارئ جهداً في التفسير والتأويل، واستخدام ما في مخزونه الذهني من معلومات عن العالم.

والتضام من بين الظواهر اللغوية التي تندرج ضمن الظواهر المسئولة عن إحداث اتساق على مستوى اللفظ النصي، والتي يدور حولها محور الدراسة في هذا الفصل، لذا سوف لن أتطرق إلا للأمور التي لها علاقة بين التضام ووظيفته النصية والابلاغية، ومنها:

-العلاقة بين المعنى المعجمي للتضام والاتساق النصي.

-أنواع التضام ووظائفه داخل النص القرآني.

-أثره في تحقيق الاتساق في سورتي الرحمان والواقعة.

II. مفهوم التضام:

1 - لغةً: ورد في "القاموس المحيط" في باب الميم فصل الضاد ما نصه:

- « الضَّمُّ: قبض شيءٍ إلى شيءٍ.
- ضَمَّه فانضَم: إليه.
- تَضَامَّ وضامَّهُ و اضطَمَّ الشيء: جمَعه إلى نفسه. وكغُرابٍ: ما ضُمَّ به شيءٌ إلى شيءٍ.
- الاضْمامَة بالكسر: الجمَاعةُ. وكصَبورٍ: كلُّ وادٍ يُسْلَكُ بين أكَمَتينِ طَويلَتينِ.
- الضَّمْضَامُ: الذي يحتوي على كل شيء.
- الضَّمَّةُ: الحلبة في الرِّهان. وفرسٌ سبّاقُ.
- الأضَاميمِ: جماعات الخيل. واضْطَمَّ عليه: اشْتَمَلَ»[2].

---

1 : ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص:142.

2 : الفيرز آبادي، القاموس المحيط، باب (الميم)، فصل (الضاد)، ص:1143.

تُجمع كل هذه المعاني في عبارة واحدة ترتبط بالجمع والاشتمال والضمّ والاحتواء والوصل.

2 اصطلاحاً:

التضام وسيلة من وسائل تيسير طول الكلام، لذا فإنّ الذي يصغي للكلام – أيًّا كان– يعجب أن يراه ممتداً إلى غير حدود، فقد ينقطع المتكلم عن كلامه بعد برهة وجيزة أو بعد فترة طويلة، غير أنّنا لو حلّلنا هذا الكلام، لوجدناه – مهما طال– يتكون من أبنية صغيرة الحجم، قد تكون جملاً مفيدة عند بعض الباحثين، أو مكوّنات مباشرة عند بعضهم، أو تكون أنماطاً عند بعض آخر، وكلّ بناء من هذه الأبنية جميعاً لا يكاد يستغرق وقتاً يذكر في نطقه،جعل من ذلك الكلام – رغم طوله– يسيراً في الفهم[1].

– فما الذي جعل من هذا الفهم يسيراً رغم أنّه يتكوّن من وحدات صغيرة الحجم متميزة تمييزاً ذاتياً لها بداياتها ونهاياتها المختلفة؟

إنّ الذي ييسّر طول الكلام وامتداده هو(التضام)، وهو أن تقبل لفظة تركيبياً أن تُسبق أو تُتلى بكلمة من قسم آخر، ولا تقبل أن تسبق أو تتلى من قسم ثالث. وقد استخدم "**ابن مالك**" النحوي هذه الظاهرة حين قال:

بالجرِّ والتنوين و النِّدا وألـ ... ومسندٍ للاسم تمييزٌ حصلْ

سواهما الحرفُ كهلْ وفي ولـمْ ... فعلٌ مضارعٌ يلي لمْ كيَشَمْ[2].

فالأسماء تقبل مثلاً أن تتضام (ياء النداء) معها، أمّا الأفعال المضارعة فتتميز بقبولها التضام مع (لم) التي تأتي سابقة عليها، كل ذلك أصوات يمكن سماعها وملاحظتها، ثم استخدامها في تميّز والتحام، وهي وسائل شكلية.

ولقد ذهب علماء اللغة المحدثون مذهب "ابن مالك النحوي" في هذه القضية، فهذا "**دو سوسير**" يرى أنّ العلوم الطبيعية « تبدأ تصنيفها بوصف كل وحدة من الوحدات، نجد أنّ وصف عناصر اللغة لا يمكن أن يتم إلا بالنظر إلى علاقة كل عنصر بما عداه

---

1 : ينظر: جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية لكلام العرب نظريةً وتطبيقاً(دراسة بنيوية)، توزيع مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية– مصر، 1995م، ج1، ص:113.

2 : محمد بن عبد الله بن مالك، ألفية ابن مالك في النحو والصرف، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط 1، 2000م، ص:06.

من العناصر الأخرى، نظراً لأنّ أحداً من هذه العناصر لا يملك أيّة قيمة ذاتية (باطنية) اللهم إلاّ بتقابله مع العناصر الأخرى»[1].

وفي الجلوسيماطيقا يرى "**هلمسيلف**" أنّ ظهور أي عنصر لغوي يحكمه ظهور عنصر لغوي آخر، يقول:«أي عنصر لغوي مثل الاسم أو الحرف [الفونيم] أو الصائت أو الصامت لا يمكن تحديده أو تعريفه إلا في وجود العنصر الآخر أو العناصر الأخرى، فهذه العناصر ليست قابلة للتحليل اللغوي لأنّها مستقلة، وإنّما هي قابلة للتحليل من حيث هي عناصر ذات علاقات محددة مع عناصر أخرى داخل بنية معينة في لغة معيّنة»[2].

هذا ما توصل إليه علماء اللغة قديماً وحديثاً من أنّ التضام بين أقسام الكلام يكون محدداً أصلاً، فبعض الأقسام تتضام مع بعضها ولا تتضام مع غيرها وهكذا.

ينطلق علماء اللغة حديثاً من معطيات ثلاثة للتعريف بظاهرة التضام، التي اقترحها "روبرت ديبوجراند" وتقوم على استبدال المجالات الثلاثة المعروفة تقليدياً في علم الإشارة وهي: النحو والدلالة والبراغماتية، بثلاثية جديدة هي:

- وصلية تتابعية.
- وصلية المفاهيم.
- وصلية مجموعة الأحداث والخطط والأهداف[3].

وعليه يشتمل التضام على «الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة »[4]، واستخدام مثل هذه الظاهرة يهدف إلى الحفاظ على استقرار النص السردي، من خلال استمرارية الوقائع داخله، بوصفه نظاماً من الحكي، وبالمفهوم التواصلي للنص، تستند فكرة الاستمرارية تلك إلى الافتراض القائل بوجود « ارتباط بين مختلف وقائع النص من جهة،

---

1 : نقلاً عن: جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية لكلام العرب، ج1، ص:114.

2 : نقلاً عن: المرجع نفسه، ج1، ص:115.

3 : ينظر: روبرت ديبوجراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، إعداد مركز نابلس للكومبيوتر، مطبعة دار الكتاب، ط 1، 1992م، ص:11.

4 : المرجع نفسه، ص:11.

وسياق استغلاله من جهة أخرى أو بمصطلحات معرفية، ولكلّ واقعة قيمة بصفتها وسيلة في التوصل إلى بعض الوقائع الأخرى على الأقل»[1]، والمثال التالي يُوضح ذلك:

– "ما لي أرى طلبة الآداب الذكور لا يحضرون الدرس النحوي؟ الطالبات يحضرْن".

فـ(الذكور والبنات) ليسا مترادفين، إلا أنّ ورودهما في النص على هذه الشاكلة يسهم في بناء النصية.

فالعلاقة التي تحكم كلاًّ من (الذكور– البنات) علاقة تعارض، إضافة إلى علاقات أخرى واردة في المثال مثل: الكلّ بالجزء أو الجزء بالكلّ ،أو عناصر من نفس القسم العام. على أن القارئ يتجاوز صعوبة اكتشاف مثل هذه العلاقات بخَلْق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية معتمداً على حدسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات وغير ذلك[2].

وعليه فا**لتضام**:« هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك» [3]، ومنه فالتضام هو المصاحبة المعجمية (Collocation) ، ويراد بها العلاقات القائمة بين الألفاظ في اللغة مثل (الولد / البنت) علاقة التضاد، وعلاقة التقابل، وعلاقة الجزء بالكل، وعلاقة الجزء بالجزء، ممّا شاع في اللغة عامة وفي علم الدلالة خاصة.

والتضام بشكل عام يمكن فهمه من وجهين هما:

أ– **الوجه الأول:** هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف طريقة منها عن الأخرى تقديماً وتأخيراً وفصلاً ووصلاً، ويمكن أن نطلق على هذا الفرع من التضام اصطلاح (التوارد)، وهو بهذا المعنى أقرب إلى اهتمام دراسة الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية منه إلى دراسة العلاقات النحوية و القرائن اللفظية.

ب– **الوجه الثاني** : أنّ المقصود بالتضام أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصراً آخر، فيصطلح عليه هنا(التلازم)، أو يتنافى معه فلا يلتقي به فيسمى هذا(التنافي)،

---

1 : روبرت ديبوجراند وآخرون، المرجع السابق، ص:71.

2 : ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:25.

3 : المرجع نفسه، ص:25.

وعندما يستلزم أحد العنصرين الآخر فإنّ هذا الآخر قد يدل عليه بمبنى وجودي على سبيل الذكر أو يدل عليه بمبنى عدمي على سبيل التقدير بسبب الاستتار أو الحذف[1].

وفيما يلي تخطيط للعلاقة بين القرائن الداخلة تحت عنوان التضام[2]:

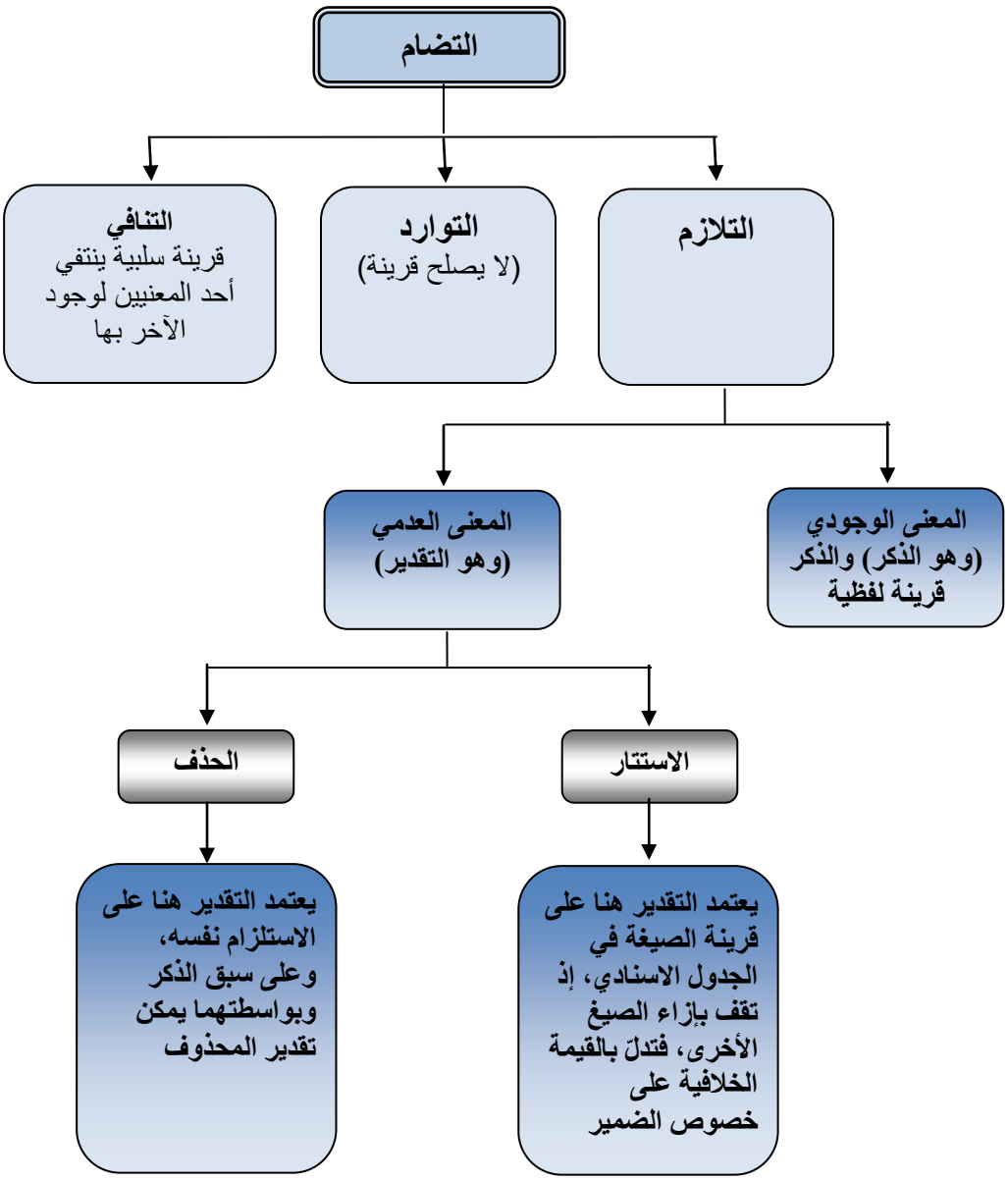

الشكل رقم(09): العلاقة بين القرائن الداخلة تحت عنوان التضام

1 : ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، (د.ط)، 1994م، ص:216-217.

2 : المرجع نفسه، ص:222.

ويعرّف "تمام حسان" كلاً من هذه الأقسام الثلاثة للتضام على النحو التالي:

- التلازم: هو أن يستلزم أحد العنصرين التحليلين النحويين عنصراً آخر، وأهم نماذجه الاختصاص، وتلازم الصفة والموصوف والمعطوف والمعطوف عليه.
- التنافي: هو أن يتنافى أحد العنصرين مع الآخر فلا يلتقي به.
- التوارد: هو الطرق الممكنة في رصد جملة ما فتختلف طريقة منها عن الآخر تقديماً وتأخيراً وفصلاً ووصلاً[1].

و**التضام** نوع من أنواع الربط المعجمي، حيث يرتب ط عنصر بعنصر آخر، من خلال الظهور المشترك المتكرر في سياقات متشابهة. مثل لفظ(الحرب- الأعداء- الصراع- الجنرال)و(المجتمع- الاقتصاد- الطبقة)و(محاولة- نجاح)و(ملك- سلطة)...الخ، ويعدّ هذا النوع أكثر أنواع الربط المعجمي صعوبة في التحليل؛ حيث يعتمد على المعرفة المسبقة للقارئ بالألفاظ في سياقات متشابهة، والتوصُّل إلى فهمها في سياق النص المترابط[2].

وهناك علاقات تضامية أخرى تحكم هذا النظام، مثل:

- **العلاقات التطابقية:** والتي تكون بين اسم يحمل علامة التأنيث وآخر يحمل نفس العلامة، أو بين اسم معرفة وآخر معرفة أو بين اسم مرفوع ومرفوع آخر.
- **العلاقات الاشتقاقية** والتي تكون بين الألفاظ. مثل: قرأت قراءةً متأنيةً. حيث تشترك اللفظتان (قرأتُ) و(قراءةً) في مادة اشتقاقية واحدة.

فهذه العلاقات تعمل في نظام متضامّ مرتّب تحت مسمّى العلاقات البنائية السنتاجمية، والتخطيط التالي يمثّل هذه الشبكة:

---

1 : تمام حسان، المرجع السابق، ص:222.

2 : ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:109.

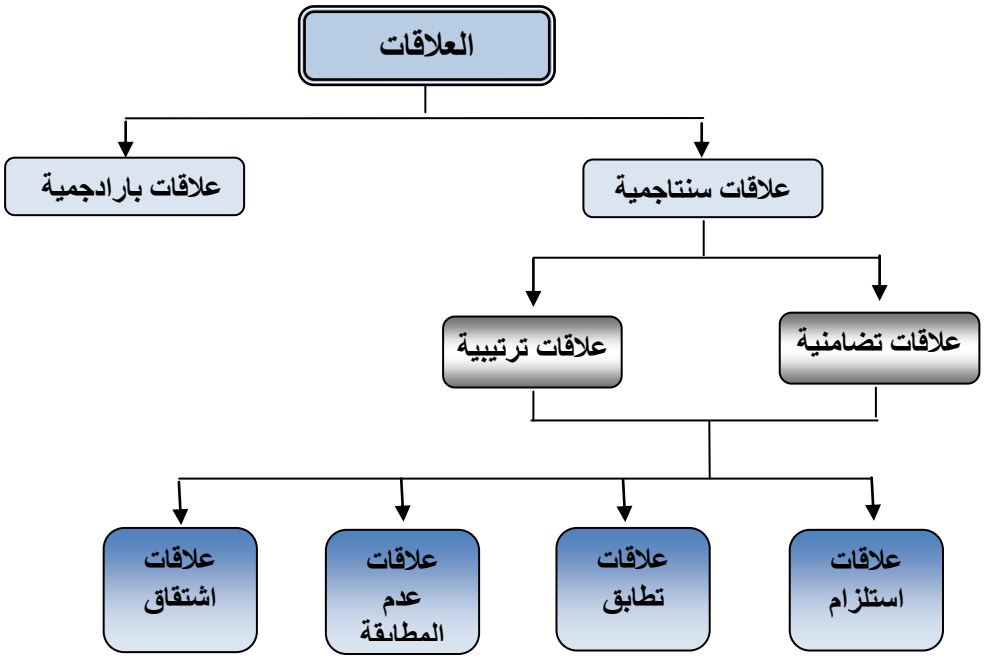

الشكل(10): نظام العلاقات البنائية السنتاجمية

والاتساق بواسطة علاقة **التضام** يتم عبر توارد زوج من الكلمات ترتبط بعلاقات معجمية غير التكرار. كالطباق والجزئية والكلية والعموم والخصوص والترتيب والمجاورة وغيرها من العلاقات الممكنة بين مفردات النص ووحداته.

تلك العلاقات الحاكمة للتضام متنوعة تسهب كتب اللغة الحديثة في تفصيلها، وهي ما أدرجه ضمن الأنواع.

III. أنواع التضام: للتضام نوعان(حسب تقسيم الدكتورة: عزة شبل محمد):

1 - التقابل:

ورد "**التقابل**" في بعض معاجم اللغة العربية باسم الطباق وهو: الجمع بين الشيئين، يقولون طابق فلان بين ثوبين. ثم استُعمل في غير ذلك فقيل: طابق البعير في سيره إذا وضع رجله موضع يده. وكلّ فقرة من فقر الظهر والعنق طبق، وذلك أنّ بعضها منضود على بعض[1]. قال السجلماسي:« هو مثال أول لقولهم: طابق ومطابقة: خالف ونافر ومنافرة، لا شاكل ووافق ولاءم، على ما يظنه قوم من العلماء، ويغلط فيه كثير من الناس وجماعة

1 : ينظر: أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1981م، ص:339-340.

من أهل الأدب.. والطباق: قول مركب من جزأين كل واحد منهما هو عند الآخر بحال منافريه.. وجماع ذلك وضع الأشياء المتقابلة بحذاء بعض»[1]

يقول "أبو هلال العسكري" في المطابقة:« قد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هو الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة، أو الخطبة، أو البيت من بيات القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار...الخ»[2]

قال تعالى:﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.[سورة الحديد.الآية:23]

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: « مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ في الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ في الآخِرَةِ»[3].

وقد ورد التقابل في اصطلاح علماء اللغة حديثاً باسم **التقابل** أو **التضاد**(Contrast or opposition)، حيث تترابط الكلمات مع بعضها البعض من خلال أشكال التقابل بأنواعها المختلفة، المكملات والمتعارضات والمقلوبات...الخ[4].

والعلاقات **التقابلية** هي ما تربط بين طرفين أو موقفين أو حدثين متقابلين، وتتميز هذه العلاقة في الانجليزية باستخدام تعبيرات رابطة (Conjunctive expressions)، مثل لكن (But)، ومع أن (However)، ومع ذلك (Nevertheless)، وعلى النقيض (On the contrary)[5]. وتتجلى علاقة التقابل في « فن المقابلة، ففيها يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو بتقابلهما على الترتيب»[6].

ويتحقق الربط في النص بواسطة التقابل من خلال توقع القارئ للفظة المقابلة، فيفاجئه أسلوب القرآن بالإبحار داخل النص، من خلال سلاسل مترابطة من الوحدات

---

1 : أبو محمد القاسم، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ص: 370. نقلاً عن: محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:131.

2 : أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص:339.

3 : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الرشيد للكتاب، باب الوادي– الجزائر، (د.ط)، 2003م، كتاب اللباس، باب لبس الحرير للرجال، الحديث رقم: 5832، ص:1216.

4 : ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:109.

5 : ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1998م، ص:145.

6 : المرجع نفسه، ص:151.

التي تخلق الاتساق في النص، وهذا غير محدود بأزواج الألفاظ في جمل متاخمة، ولكنه يحدث في سلاسل مترابطة طويلة قد تقع داخل حدود الجملة، أو خارج حدودها في جمل أخرى. ويستخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب كثيراً، لذا سأركّز في دراسة لهذه الظاهرة في سورتي (الرحمان والواقعة) على الألفاظ المتضادة التي وردت أكثر من مرّة (بمعنى لفظ يقابل آخر)، ولا أعني تلك الألفاظ التي تحتمل معنيين متضادين(مفردة واحدة)، وذلك لاكتشاف العلاقة بين اللفظ وما يقابله في معناه، وما تتركه هذه العلاقة من تضام بين جمل النص.

ففي سورة الرحمان يقول تبارك وتعالى: ﴿الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾. حيث يظهر التقابل بين الآيات الكونية، بين نوعين مختلفين في الجَرْم والحجم والطبيعة، فهي مقابلة بين نظيرين، بين الشمس والقمر، والنّجم والشجر.

و**الشَّمْسُ** كتلة ملتهبة بحرارتها ونشاطها تؤثر في غيرها، و**الْقَمَرُ** صخرٌ جامدٌ ببرودته وهدوءه متأثّرٌ بها، وعليه فإنّ هذا التقابل يوحي بعلاقة بين المؤثِّر والمتأثّر، والآية الكريمة في تعداد فضائل الله تعالى بدأت بالأكبر حجماً ثم الأصغر، كما بدأت بالأصل في الإضاءة ثم المُضاء، الذي يتأثر بضوئها فيعكسه على غيره. والذي يجمع هذين المتضادين أنهما ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ أي:« لحساب الناس مواقع سيرهما »[1]، وهي كناية عن السير المنتظم الذي لا يختل.

و﴿**النَّجْمُ**﴾ و﴿**الشَّجَرُ**﴾ أيضاً متقابلان، إذا حملنا المعنى على أن النجم:« هو النبات والحشيش الذي لا سُوق له فهو متصل بالتراب ، والشَّجر: هو النبات الذي له ساق وارتفاع عن وجه الأرض»[2]. فتكون مقابلة بين نوعين من جنس واحد، والتقابل يظهر بين الأصغر والأكبر بين البداية والنهاية؛ إذ النجم بداية خلق الشجر فيظهر على وجه الأرض بدون ساق، ثم يرتفع عن الأرض شجراً بساقٍ إلى أحجام مختلفة. والذي يجمع هذين المتضادين انقيادهما لأمر الله تعالى.

---

1 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:234.

2 : المرجع نفسه، ج27، ص:236.

وجُعلت الجملتان مفتتحتان بالمسند إليه ليكون ما بعده من معنى معلق به، والمسند فعل مضارع للدلالة على تجدُّد السير والسجود، وتكرره على وجه لا ينقطع إلا بأمره سبحانه وتعالى مادام الامتنان قائماً والمُخبر عنه موجوداً.

وجيءَ بالجملتين اسميتين للتهويل بالابتداء باسم الشمس والقمر، والتدعيم بسجود النجم والشجر، وذلك على جهة جمع النظائر بين المزاوجات المتضادة، للتأثير في المتلقي(الإنسان) الذي يستلزم أن يكون أكثر عبودية وانقياداً لأوامر الله تعالى المتمثّلة في القرآن الكريم من تلك الجمادات والنباتات التي عرفها الآن بالخبر أنها تسبح وتسجد لله. وعليه تبدو الآيتين متضامتين تربطهما علاقات دلالية بين مفرداتهما، وهي علاقة تعارض تشدُّ النّسق الجُملي لأداء غرض واحد، رغم أن هذه الوحدات توحي بالتنافر، إلا أنّ فعليهما إنجازيين(بحسبان- يسجدان) يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالسياق المقامي، الذي يحمل على سلوك طريق الحق.

ويتواصل مقام الامتنان والإخبار بما هو أعظم وأكبر تأثيراً، يقول تبارك وتعالى:﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴿٧﴾، وقال:﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴿١٠﴾.

يظهر في هذه الآية أسلوب المقابلة بين الضدّين بذكر(السَّمَاء و الْأَرْض) وقوله أيضاً:﴿رَفَعَهَا﴾ و ﴿وَضَعَهَا﴾، ورَفْع السماء: يقتضي خلقها مرفوعة، إذ كانت مرفوعة بغير أعمدة، وفي مجرّد الرفع محلّ العبرة بالخلق العجيب، وإيذاناً بسموّ المنزلة وشرفها؛ لأن فيها منشأ أحكام الله ومصدرَ قضائه، ولأن فيها مكان الملائكة، وهذا من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه[1].

ووضْعُ الأرض، خفضها لهم، أي جعلها تحت أقدامهم وجُنوبهم لتمكينهم من الانتفاع بها، بجميع ما لهم فيها من منافع ومعالجات[2].

ولفظ (السماء والأرض) يعربان مفعولاً به بفعل محذوف يُفسّره المذكور، والجملة التي بعدهما (رفعها- وضعها) مُفسّرة لا محلّ لهما. وتقديم الاسم المنصوب على الفعل الناصب له، زيادة في الاهتمام بالاعتبار به، وهذه طريقة في الإخبار عن المسند إليه

1 : ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:237.

2 : ينظر: المرجع نفسه، ص:241.

بالمسند الفعلي، وأصل الكلام (رفع اللهُ السماءَ) و(وضع اللهُ الأرضَ)، والعرب كلما أرادت الاهتمام بأحد عناصر الكلام ولفت الانتباه إليه، قدّمته حتى وإن خالفت ترتيب الجملة المتعارف عليه تنويها به وإشارة إليه.

وبهذا الأسلوب العربي الفصيح نزلت بعض آي القرآن الكريم كما نلحظه في الآيتين السابقتين. فـ﴿**السَّمَاءَ رَفَعَهَا**﴾ في تقابل عجيب مع الآية الأخرى ﴿**الْأَرْضَ وَضَعَهَا**﴾؛ فالسماء تقابل الأرض، ورفعها تقابل وضعها، والرابط بين الجملتين (واو العطف) التي تكسب الكلام الاستمرارية في تعداد فضائل الله تعالى على الناس وامتنانه عليهم. و(الهاء) في فعل الرفع والوضع عائدة عن الاسم المسند، والقارئ في اتصال تامٍ بمعنى السورة لا يكادُ ينقطع عنه بفعل هذه الروابط النحوية والإحالية، التي تسهل المعنى وتُعين عليه.

وممّا يسّر عملية الفهم هذه هو حسْن السبْك بين الآيتين، وذلك من خلال دمْج بعض الوحدات المعجمية متقابلة على سبيل الرفْع من الأدنى إلى الأعلى، وتدلُّ على تنويع المنافع والتفصيل فيها، ومن تمام المنافع على الإنسان المغايرة في ذكر أنواعها وتعدادها، فقال:﴿**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا**﴾ و﴿**الْأَرْضَ وَضَعَهَا**﴾، حيث بدأ بالسماء قبل الأرض، أي بدأ بالأكبر والأعلى ثم الأصغر والأسْفل، و(وَضَعَها) دلالة على ذلك، ولم يقل: ﴿**دَحَاهَا**﴾، لأنّ الرّفْع ضده الوضْع، مما يتبيَن أن أسلوب التقابل ساهم في الجمع بين الأضداد لتبدو على صورة واحدة في سياق متّسق، تُساهم في تأدية المعنى بما يناسب مقام الامتنان، وذلك بقوّة الحدث المتمثّل في الفعلين الإنجازيين (رفعها–وضعها).

وفي هذه الأرض المبسوطة يتواصل مقام الامتنان، فيقول تعالى في نفس السورة:﴿**فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ١٢**﴾.

وهي مقابلة بين أنواع الجنس الواحد، وتضادٍّ بين الأشباه المشهورة؛ فهي بين الفاكهة التي هي اسم جامع لكل أنواع الثمار(بما فيها ثمار النخل)، ولقد ورد ذكرها في "تاج العروس" بمعنى:«التّفكُّه والتلذُّذ والتمتّع، وتفكَّه: أكلَ الفاكهة، ومنه الأثر: تفكهوا قبل الطعام وبعده»[1]. لكن الفاكهةُ تؤكل ولها رائحة، وأما النخيل يؤكل ولا رائحة له، وكذلك الفاكهة

1 : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السّتار أحمد فرّاج، مطبع حكومة الكويت، الكويت، (د.ط)، 1385هـ–1965م، ج36، مادة(فكه)، ص:461.

لأغراض التفكّه والتنعّم، « وهي اسم لما يؤكل تفكّهاً لا قوتاً وليس بضروري »[1]، وأما النخيل فهو لأغراض الغذاء والعيش والقوت. وما يجمع هذه المتضادات أنها مأكول الإنسان، وعليه فإن ما بعدها مقابل لها.

فبعد الامتنان بذِكر مأكول الإنسان يأتي مأكول الحيوان المتمثّل في ﴿**الْحَبّ ذُو الْعَصْفِ**﴾ أي: التّبن[2]، ومنه قوله تعالى:﴿**وفَاكِهَةً وَأَبّاً**﴾[عبس.الآية:31]. أي: ما يكون غذاءً للأنعام دون الناس.

وإذا أخذنا بما يُخالف هذا الرأي، بمعنى: أنّ ﴿**الْحَبّ ذُو الْعَصْفِ**﴾ وصفٌ لحبّ الشعير والحنطة، وبهما قوام حياة معظم الناس، تكون المقابلة بين ما يؤكل (الفاكهة والنخيل والحبّ) وبين ما هو مشموم من ﴿**الرَّيْحَان**﴾، وغير مُعدٍّ للأكل خارج عن نظام الغذاء والأكل أصلاً. وفي اجتماع الآراء كلها اجتماع لثلاث مقابلات، تجمع بينهما وحدة السياق والموضوع لأداء وظيفة نحوية متمثّلة في الإخبار والوصف، وهي عناصر وإن حُدّدت بأسماء بقيت محافظة على عموميتها، ولم يُسهم المقام التبليغي في تخصيصها وتعيينها(ذكر أنواع الفاكهة الأخرى أو ذكر أنواع التمر أو غيرها)، لذا فهي أقرب إلى مظاهر الاتساق منها إلى الانسجام، فهي تعمل على ربط الوحدات المفصلية مع بعضها البعض في بنية النص بواسطة روابط نحوية وإحالية، لتكتسب بهذا التفاعل صفة الإفهام وقبول التأويل.

وهذه مقابلة متناسبة تجْمَعُها مركبات اسمية مرتّبة، تحيل على التماسك بأسلوب التضاد، الذي يُفضي إلى المعنى. ويُشير "أبو حيان" إلى ذلك التناسب بقوله: « بدأ بالفاكهة؛ إذ هو من باب الابتداء بالأدنى، والترقي إلى الأعلى، ونكّر لفظها، لأن الانتفاع بما يذكر بعدها، ثم ثنى بالنخل، فذكر الأصل، ولم يذكر ثمرتها، وهو الثمر لكثرة الانتفاع بها، من ليفٍ وسعفٍ وجريدٍ وجذوعٍ وجمارٍ وثمر، ثم ثنّى ثالثاً بالحبّ الذي هو قوام عيش الإنسان في أكثر الأقاليم، وهو البرُّ والشعير، وكلّ ما له سُنبل وأوراق متشعّبة على ساقه، ووصفه بقوله: (ذو العصف) تنبيهاً على إنعامه عليهم بما يقوتهم من الحبّ، ويقوت بهائمهم من ورق الذي هو التبن، وبدأ بالفاكهة وختم بالمشموم، وبينهما النخل والحبّ ليحصل ما به

1 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:241.

2 : ينظر: أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج2، ص:628.

يتفكّه وما به يتقوّت، وما به تقع اللذاذة من الرائحة الطيبة، وذكر النخل باسمها والفاكهة دون شجرها لعظم المنفعة بالنخل من جهات متعددة، وشجرة الفاكهة بالنسبة لثمرها حقيرة، فنصّ على ما يعظم الانتفاع به من شجرة النخيل، ومن الفاكهة دون شجرها »[1].

وبهذه الجمل المتقابلة التي تُسهم في بناء موضوع السورة، يظهر النص كعلامة لغوية كبرى تختزن فيها مجموعة من الألفاظ المتضادة، كل مفردة منها تحمل دلالة موازية للأخرى في علاقة متّسقة، يُساهم السياق في فهمها، لتصل كما هو معروف في عملية التبليغ معكوسة إلى المتلقي حيث تنتهي في ذهنه، يفكّكها إلى حلقات ذات معاني جزئية، حيث يُفهم اللفظ بضدّه، وفي الأخير يمكن أن يتحوّل هو أيضاً إلى مبلِّغ أو باثٍ لهذه الرسالة التي رُسخت عنده في صورة متعالقة.

كما تظهر هذه الآيات في أسلوب إخباري مرتبطة معانيه ببعضها، قُدمت (فيها) على المبتدأ للاهتمام بما تحتوي عليه الأرض من منافع متنوّعة، والجملتان مُبيّنتان (تفصيلاً) لِما قبلهما (وضعها للأنام) مشتملتان على ما فيه العبرة والامتنان بعد قوة التأثير على ما فيها من فاكهة ونخل وحبٍ وريحان؛ لأن المنافع تقتضي المُغايرة في الأنواع وتعدادها، لاشتمال كل نوع على فوائد يختلف فيها عن الآخر ويستقلّ بها.

ويُسهم التقابل بوصفه وسيلة من وسائل الربط داخل النصوص في تعليق معاني الألفاظ والجمل بعضها ببعض–كما رأينا في الأمثلة السابقة–، حيث يظهر أثره في صنع التماسك من خلال تكوينه جملاً متعاقبة من التقابلات تشكل تراكيب متوازية في النص، بما ينشأ عنه تداخل وسائل الربط الأخرى مثل أدوات العطف، والتوازي التركيبي بين الجمل...الخ.

ويمتدُّ التقابل عبر نص السورة ليُعبّر عن موضوع العطاء والامتنان بما تظهر به حكمة الله سبحانه وتعالى في هذا الكون، فقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴿١٧﴾﴾.

وهي مقابلة ضديّة من حيث المكان والجهة، والمشرق:« جهة شروق الشمس، والمغرب: جهة غروبها، وتثنية المشرقين والمغربين باعتبار أن الشمس تطلع في فصلي

1 : نقلاً عن: زكريا علي محمود الخضر، أسلوب المقابلة في سورة الرحمان وأثره في المعنى، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، ج7، العدد (أ–ب)، 1432هـ–2011م، ص:77.

الشتاء والربيع من سمت، وفي فصلي الصيف والخريف من سمت آخر، وبمراعاة وقت الطول ووقت القصر، وكذلك غروبها وهي فيما بين هذين المشرقين والمغربين ينتقل طلوعها وغروبها في درجات متقاربة فقد يعتبر ذلك فيقال: المشارق والمغارب... وربٌّ: إشارة إلى ربوبية الله تعالى للمشرقين والمغربين، وهي الخلق والتصرّف»[1].

وفي هذه الآية ما يُعزّز به أسلوب المقابلة في سورة الرحمان، لضرورة تحول المشرق والمغرب لتلك الأنواع من الفاكهة والأغذية والأشجار، فمنها ما يطيب ثمره في الصيف، ومنها ما يُناسبه الشتاء، «وقد جعل الله تعالى ذلك بحكمته سبباً لتبدّل أجسام النبات وأحوال الحيوانات، وانتقالها من حال إلى غيره، ويبدّل الحر بالبرد، والبرد بالحرّ، والصيف بالشتاء، والشتاء بالصيف، إلى سائر تبدل أحوال الحيوان والنبات والرياح والأمطار والثلوج وغير ذلك من التبدّلات والتغيرات الواقعة في العالم بسبب اختلاف مشارق الشمس ومغاربها»[2].

وجملة﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾استئناف ابتدائي فيه بيان لجملة ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾﴿٥﴾، وعطف﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ فيه مراعاة المزاوجة بين النظيرين. وحذف المسند إليه وهو وارد في استعمال الآيات السابقة فلم يكرر ذكره، واكتفى بالمسند للتركيز عليه وهو أحد عناصر الامتنان، فتظهر الآية بذلك في شكل مترابط اقتضى أولها آخرها.

ومن ناحية أخرى، يستخدم القرآن الكريم علاقة التقابل المعجمي في إظهار حال المجرمين يوم القيامة، الذين كذبوا بنِعمه وآلائه عليهم في الدنيا. يقول تبارك وتعالى في سورة الرحمان:﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴿٤١﴾.

في الآية تصوير لحال المجرمين الذين كذّبوا بالحساب والنار يوم القيامة، فيُؤخذون إليها «بجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويلقون في النار، وذلك أشدّ لعذابهم والتشويه بهم»[3]، وقيل في اجتماع ناصيته مع قدميه:«تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه، ويجمع

---

1 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:247.

2 : علي الحمد المحمد الصالحي، الضوء المنير على التفسير، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض–السعودية، (د.ط)، (د.ت)، ج5، ص:545.

3 : إبراهيم بن السَّري (الزجاج)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ط 1، 1408هـ–1988م، ج5، ص:102.

فيقرنها، ثم يُكسر ظهره كما يكسر الحطب في التنّور» [1]، وهذا مشهد مخيف له وقع شديد على النفس الإنسانية، حيث يؤخذ المجرمون بنواصيهم وأقدامهم ويسحبون إلى جهنم، وتظهر فيه المقابلة الضدّية بين(النواصي والأقدام):

- **الناصية:** هي «ما انسدل على الجبهة من شعر الرأس» [2]، وجمعها نواصي والأخذ بها دلالة على التّمكن منهم.
- **الأقــدام:** جمع قدم، وهي «ظاهر الساق من حيث تمسك اليدّ رجل الهارب فلا يستطيع انفلاتاً، وفيه أيضاً يوضع القيد» [3].

والمناسبة في هذه المقابلة بين النواصي والأقدام، أنّ هؤلاء الكفرة قد تكبّروا عن الحق وأخذتهم الأنفة على أن يتّبعوا سبيل المؤمنين، فموطن تكبّرهم سيُبدأ به الإذلال، وكونهم لا يمشون إلى العبادة بأقدامهم، سيقيّدون بها تحقيراً. وفيها أيضاً الجمع بين الأعلى والأسفل من الجسم، لتكشف المقابلة عن حقيقة الفرق بين واقعهم في الدنيا وواقعهم في الآخرة ترهيباً من ذلك العذاب.

وبناءً عليه ينكشف جديد الحضور المكثّف لظاهرة العطف (في هذه السورة) على مستوى الجمل الاسمية والفعلية على السواء، والحضور القويّ فيها للألفاظ المتضادة، وعندما يتنزّل المعنى دلالياً على النص من منطلق وظيفي، فإنه يُؤشّر على مدى التوافق بين مبنى النص ومعناه، أخذاً بموضوع السورة التي توضّح جزاء صنفين من الناس يوم القيامة (المجرمون والمؤمنون). وإذا علمنا من مضمون الأخذ والجمع بين النواصي والأقدام بحرف الجر (الباء) بمعنى (من)، فهمنا الغرض من تقييد اسم المجرور، وهو إرادة إحضارها في الذهن على سبيل الحقيقة المجسّدة.

كما نجد أثر التقابل في بناء وحدة النص، من خلال تكرار الكلمات التي ترتبط بموضوع السورة، التي تصوّر واقع الناس يوم القيامة، والمفارقات الشاسعة التي تظهر بين

---

1 : جلال الدين السيوطي(ت849هـ)، الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة–مصر، ط1، 1424هـ–2003م، ج14، ص:130.

2 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص:100.

3 : المرجع نفسه، ج27، ص:263.

أهل الجنة وأهل النار، ابتداءً من النفخة إلى دخول الحياة الأبدية حيث الجزاء. ومن تلك الألفاظ المكررة ذات الحقل المعجمي المرتبط بأهوال يوم القيامة قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾. حيث جاء اسم الفاعل هنا للدلالة على الشدّة، فهي خافضة رافعة، «ترفع أقواماً وتضع آخرين: إما وصفاً لها بالشدّة؛ لأن الواقعات العظام كذلك، يرتفع فيها ناس إلى مراتب ويتضع ناس، وإما لأن الأشقياء يحطون إلى الدركات، والسعداء يرفعون إلى الدرجات؛ وإما أنها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارّها، فتخفض بعضاً وترفع آخراً: حيث تسقط السماء كسفاً، وتنتثر الكواكب وتتكدر، وتسير الجبال فتمرّ في الجوّ مرّ السحاب»[1].

وقد أضفى التضاد في هذه الآية الكريمة على المعنى دلالة إحائية عظيمة تبرز هول يوم القيامة؛ إذ الناس على أعمالهم إما يرتفعون بها في الجنان أو ينزلون بها في جهنم. وجاءهم هذا التهويل باسم الفاعل على وزن (فاعل) من الثلاثي للدلالة على وصف الفاعل متجدّداً؛ إذ هو وصف يدلّ على محدثه اعتماداً على حركة الزمن، كما يدلّ هذا الوزن على الصفة الثابتة ليوم القيامة، فهي ملازمة له متى وقع هذا اليوم، غير قابلة للتبديل والتغيير، تسدُّ باب الشكّ عند الذين كذّبوا بالحق فوعدهم بالخفض، وتثبّت الذين صدّقوا به فوعدهم بالرّفع.

ويُشير موقع الآية النحوي(خبران لمبتدأ مرفوع يعود على ضمير الواقعة)إلى بُعدٍ عزّز المعنى وقرّبه إلى الإفهام، لما يُثير المتلقي لفهم عظمة هذا اليوم.

ويمتدّ التقابل إلى أبعد من ذلك من خلال تجسيد صورة المكان الأخروي بشكل يمنحه حضوراً وعمقاً دلالياً، فضلاً عن كونه يقدّم حالة من الإحساس البصري للمتلقي كي يتمكن من تصوير أصناف الناس الثلاثة داخل المكان(الجنة/النار)، يقول تعالى في سورة الواقعة:﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴿٩﴾وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴿١٠﴾.

يتبيّن من خلال الآيات مقام (أصحاب الشمال) من جهة حيث العذاب والنار، ويُقابلهم مقام (أصحاب الميمنة والسابقون)من جهة أخرى حيث النعيم والجنة،

1 : جار الله أبو القاسم محمود بن عُمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج 6، ص:21.

وهو تقابل/ تضاد يُنافي أحدهما الآخر في الوصف والجزاء، وهذا التضاد بين الفريقين من شأنه أن يكشف عن أسلوب فنّي له تأثير على المتلقي، من حيث تجلي المعنى بأبعاده المختلفة؛ لأنه يجمع بين متضادين متنافرين، وبالتضاد والتنافر تتبيّن الأشياء ويجد المتلقي راحة في التقاء الضدين، فيُسارع إلى تصنيف نفسه حسب إدراكه الخاص.

وأول فريق يشدّ الانتباه هو فريق (أصحاب الميمنة) وقد عبّرت عنهم السورة في موضع آخر بـ(أصحاب اليمين)، ومعهم في النعيم (السابقون) الذين وُصفوا بـ(المقرّبين)، ولقد وصف الله –تبارك وتعالى– مكانهم بصفات جمعت بين الأمن والفوز والاستقرار الحسن، في مكان عظيم عالي الشأن، إنه على جهة اليمين وقريب من الرحمان، وأول هذه النعم التي أُعدّت لهم:﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴿١٥﴾مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴿١٦﴾﴾.

والجار والمجرور خبر ثالث عن ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾. والسُرر:«جمع سرير، وهو كرسي طويل متسع يجلس عليه المتّكئ والمضطجع»[1]، وهي:«مرمولة بالذهب، مشبّكة بالدرّ والياقوت، قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع»[2]، ومع هذا الترف هناك الراحة والأنس فهم ﴿مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾﴾. ولهم ما يشاءون من طيب الشراب والمأكل﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴿١٩﴾﴾.

والطواف يعني:« المشي المكرّر حول الشيء، وهو يقتضي الملازمة له»[3]، ومن تمام النعيم أن الولدان لا ينقطعون عن مناولتهم(المَعين)والمراد به:« الخمر التي لكثرتها تجري في المجاري كما يجري الماء»[4]، وهذا الشراب لا يضرهم ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ من التصديع:« وهو الإصابة بالصداع، وهو وجع الرأس من الخُمار الناشئ عن السكر»[5].

---

1 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:292.

2 : جار الله أبو القاسم محمود بن عُمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج6، ص:25.

3 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:293.

4 : المرجع نفسه، ج27، ص:294.

5 : المرجع نفسه، ج27، ص:294.

وعند تتبّع هذه الصفات تتضح حقيقة المقارنة لدى المتلقي باستحضار الماضي وتذكّره (الدنيوي) في سياق من الصور المتلاحقة عن لذائذ الخمر(الأخروي)، فيحدث الربط بين صورة الخمر في الآخرة وما ترسّب في الذاكرة من صفات خمر الدنيا وما يحدث لشاربيها، فيتمّ تحويل الفكر إلى مساره الصحيح بعد معرفة الفرق بين اللذة التي يعقبها ألم، وليست بدائمة، واللذة الهانية الخالدة التي يعقبها استقرار وثبات.

ثم هذا النعيم يتواصل في أشكال متعددة فقال –عزّ وجلّ–: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴿٢٠﴾وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴿٢٦﴾. فلهم بذلك كلّ ما يطيب للنفس من مظاهر العيش الرغيد وفاكهة ولحم طير وحور عين.

ويأتي الذكر على مكان أصحاب المنزلة السّنية (اليمين)، مما يتبيّن به حقيقة التضادّ بين هذه الآيات، وما يُقابلها من آيات أخرى تبيّن مكانة أصحاب المنزلة الدّنية (الشمال)، وهما منزلتان متضادتان في المسمى والجزاء والمكان.

فمكانة أصحاب اليمين يقول تبارك وتعالى فيها: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴿٢٧﴾فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴿٣٤﴾إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴿٣٥﴾.

منازل الذين آمنوا فيها من الراحة والجمال والتفكّه ما يشتهون، فهم في مكان يحوي على شجر السّدر، وهو من شجر البادية، ومحبوب لدى العرب، ولم يكن بإمكانهم الحصول عليه ليجعلوه في جنانهم وحيطانهم، وهو يمتاز بوفرة ظلّه وتهدّل أغصانه ونكهة ثمره، لذا خُصّ بالذِّكر من بين شجر الجنّة إغراباً به وبمحاسنه، وتشويقاً لمن كان محروماً منه، ولا يسكن البوادي[1].

وفوق كلّ هذا فأصحاب اليمين في ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾لا ينقطع، ولا يتقلّص كظلّ الدنيا، وهو ظلّ حاصل من التفاف أشجار الجنّة وكثرة أوراقها.

1 : ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج27، ص:299.

وفي مقابل ذلك ذكر القرآن الكريم منازل الذين كفروا فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴿٤٤﴾.

فهم في ﴿سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ مقابل السّدر المخضود (الذي يتنعم فيه أصحاب اليمين)، فالسموم ريح شديدة لا بلل معها، وكأنّها مأخوذة من السمّ وهو ما يهلك إذا لاقى البدن، وأمّا الحميم فهو الماء الشديد الحرارة[1].

ثم يأتي العذاب بوعيد يصوّر نوعية أكل وشراب هذه الفئة الضالّة، فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾. فالأكل من الزقوم: يعني الأكل من شجر العذاب، وهو في تضادٍ مع جزاء أصحاب اليمين (أكل الفاكهة ولحم الطير)، وزيادة على هذه الصورة الفظيعة التي تصور بدقّة الفرق في نوعية الجزاء بين الفريقين، ومدى التنافر بين ألفاظ النعيم وألفاظ العذاب، فهم يملئون من هذا الشجر بطونهم، ليزدادوا محنةً فوق محنتهم.

ثم تكتمل مشاهد هذه المقارنة بطبيعة الشراب الذي تغلي منه بطونهم، فهو من (الحميم) في مقابل(المَعين)، وزيادة في فظاعته لا ينقطع عنهم(ليس لحسنه ولا تقدّمه الولدان المخلدون)، ومستمرّة آلامه.

وبهذا الأسلوب يسعى النص القرآني إلى تحقيق دلالته البليغة المؤثّرة في المتلقي؛ إذ أن التّضاد الحاصل عن طريق العكس في الكلام يضمن إيصال معنى الآية على نحوٍ أشدُّ وقعاً وأكثر عمقاً في النفس المتلقية لِما فيه من الإبدال التهكّمي والسخرية اللاذعة، بل لما للوصف فيه من أهمية في نقْل المتلقي إلى قلب المكان بأشيائه وظواهره وتفاصيله. كما لعبت أدوات الربط فيه دوراً هاماً في جعل معنى الآية يُفضي إلى أختها، ومن أمثلتها:

- (واو العطف): في مثل قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴿٣١﴾وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴿٣٢﴾. التي أدت وظيفة الربط والتعداد.

---

1 : ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج27، ص:305.

- (ضمير الجمع الغائب): هنَّ-همْ، في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾. وقوله: ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾. والتي أدت وظيفة الربط والإحالة.

- (أدوات التوكيد): إنّ-إنّا، في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾. وقوله:﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾. والتي أدت وظيفة الربط والتوكيد والتعظيم.

- (استعمال مؤشرات الوصف): 1- الصور البيانية: المتمثّلة في التشبيه العادي، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾. والتشبيه البليغ في قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴿١٧﴾. والكناية في قوله:﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴿٣٧﴾، وهي كناية عن تحبب النساء لأزواجهن في الجنّة.

2- الصفات والنعوت : وذلك في مثل قوله: ﴿فِي سِدْرٍ مَّ خْضُودٍ﴿٢٨﴾وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴿٢٩﴾وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴿٣٠﴾وَمَاءٍ مَّ سْكُوبٍ﴿٣١﴾وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴿٣٢﴾. والتي أدت وظيفة الربط المعنوي من خلال التجسيد والتشخيص والبيان والتوضيح.

3- تحديد الموصوف: وهما المكانان المتضادان الجنة والنار.

وبهذا الأسلوب العجيب يواصل القرآن عرض صور التقابل بين منازل أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فيحدث نوعاً من الترابط أو الاتصال الذهني بين النص والمتلقي، من خلال ما يُقدّمه هذا التقابل من إحساس بصري لدى المتلقي بما يُثيرُه في نفسه من رهبة أو رغبة، حيث يعمَدُ إلى ربط حيثيات المكان الموصوف بما يُدركه خارجياً، وما يعيه من معالم الدنيا فتصبح المعادلة الشعورية عنده كالآتي:

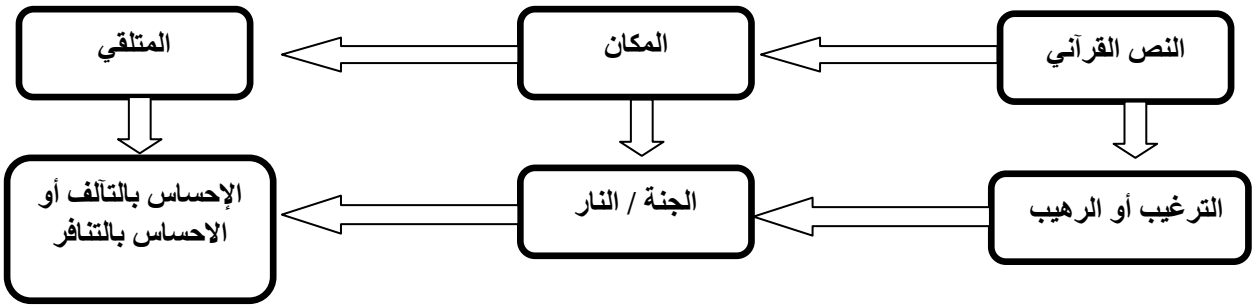

الشكل رقم(11): المعادلة الشعورية المُدركة من خلال صور التقابل

اتخذت السورتان من الفوز والخسران موضوعاً لهما، فقدّمتا صفة الإنسان المصدّق بيوم الدين المؤمن بحقيقة البعث والنشور، فهو في أعلى عليين ومكانه باليمين(خاف مقام ربّه)، وله من الأمن والنعيم المقيم الكثير، كما قدّمتا صفة الإنسان المكذّب بيوم الدين وبحقيقة البعث والنشور(المجرمون)، وأن مكانه بالشمال، وله من العذاب ما لا يقدر عليه. لذلك نجد أن علاقة التقابل هذه هي علاقة أساسية ترتبط بها كل العناصر المعجمية المكونة لنص السورتين، من خلال التركيز على الصفات والنعوت والأحوال وطبيعة المكان.

وعلى هذا فإنّ السّمة الأولى التي تميّز هذا النوع من التضام داخل سورتي الرحمان والواقعة، هو اعتمادها على وضع الصورتين متضادّتين بهدف خلق إنسان واعٍ بمسئوليته في تحديد مصيره، وأنه ليس بمقيّدٍ بأن يكون ضالاً أو مهتدٍ، بل هو على حرية في تحديد موقفه، لذلك يعتمد السرد على صور التقابلات المختلفة التي تدعم – مجتمعة– تقابلاً آخر على مستوى موقف الإسلام من نموذج أصحاب اليمين ونموذج أصحاب الشمال.

أما السّمة الثانية التي تمَيّز بها هذا النوع فتتمثل في: ارتباط موضوع السورة بمفهوم الوعظ بشكل عام، الذي يعتمد على ثنائية الترغيب والترهيب، فهو(المتلقي) لا يزال في حركة مستمرّة بين سعادة وشقاء، حتى يثبُت على رأي تأثُّراً بما أحدثه النص، ويقتنع في حجّة بما تصوّر له من مشاهد للمخالف، ولذلك يظهر أثر التقابل في كونه أداة ربط بين الجمل، يعمل على خلق نص متّسق، يُساعد على عملية الفهم والإفهام بدلالات متناقضة.

2 – الارتباط بموضوع معين:

النصوص عادة ما تتضمن علاقات خاصة بين كلماتها، وهي علاقات يصفُها علماء اللغة بالمَعنَوية، تكون بها أقل سهولة في التحديد لتقاربها في الدلالة، و تلعب دوراً هاماً في إحداث الاتساق من خلال الظهور المشترك وارتباطها بموضوع معين، مما يُكسب النص تنوّعٌ في الموضوعات، وكل موضوع منها يُبرز مخزون اللغة عبر تضام مجموع الكلمات المرتبطة به،«والتي تمثل أساساً مشتركاً مع المخزون الإدراكي لدى المتلقي، مما يُسهم في إدراك وحدة النص وتماسكه»[1].

1 : عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:157.

ويُنظر إلى تلك العلاقات التي تجمع أطراف النص وتربط بين عناصره، على أنها علاقات دلالية[1]، ترتبط بينها برابط دلالي معيّن[2]، تحت مسمى الحقل المعجمي أو الدلالي *. مثال ذلك علاقات: العموم/الخصوص، السبب/المسبب، المجمل/المفصّل... وفي نظر "محمد خطابي":« لا يكاد يخلو منها نصّ يحقق شرطي الإخبارية والشفافية مستهدفاً تحقيق درجة معيّنة من التواصل، سالكاً في ذلك بناء اللاحق على السابق، بل لا يخلو منها نصّ يعتمد الربط القوي بين أجزائه»[3].

وفي هذا المجال يُمكنني أن أستعين برأي "أحمد المتوكّل" القائل بـ :« أنّ كل المحمولات في النحو الوظيفي تدلّ على واقعة(State of affairs)، وتنقسم الوقائع إلى أربعة أصناف: أعمال(Actions) وأحداث(Processes) وأوضاع(Positions) وحالات(States)»[4]، ولتوضيح ذلك يضرب الباحث الأمثلة التالية:

-انطلق زيـــد ــــــــــعمـــل

-دوى الرّعـــد ــــــــــ حادثـة

-زيد واقـــــف ــــــــــ وضـع

-مرض زيـــد ــــــــــحالـــة

ويضع "أحمد المتوكّل" قيوداً لعطف المحمولات تخضع لها، وهي:

أ - قيد تناظر الوقائع: يجب أن يكون المحمول المعطوف عليه والمحمول المعطوف (أو المحمولات المعطوفة) دالين على الصنف نفسه من الوقائع.

ب - قيد وحدة الحقل الدلالي: يجب أن يكون المحمول المعطوف عليه والمحمول المعطوف (أو المحمولات المعطوفة) دالين على واقعتين منتميتين إلى نفس الحقل الدلالي، شريطة ألا تكونا متناقضتين أو مترادفتين.

---

1 : ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:268.

2 : صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت-لبنان، ط1، 1429هـ-2008م، ص:190.

* : الحقل الدلالي أو المعجمي : هو مجموعة من الكلمات المتقاربة في معانيها يجمعها صنفٌ عام مشترك بينها. أو هو مجموعة متكاملة من الكلمات ترتبط دلالاتها بمجال يُعبّر مجموعها عنه. ينظر: صلاح الدين زرال، المرجع السابق، ص:190.

3 : محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:269.

4 : أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص:198.

ج – قيد تناظر الوظائف التداولية: يجب أن يكون المحمول المعطوف عليه والمحمول المعطوف (أو المحمولات المعطوفة) حاملين لنفس الوظيفة التداولية[1].

وفي النص القرآني نجد ما يُسمى بـ"عطف العناصر"، ولكن قد تكون المسافة المعنوية بينهما بعيدة(بُعد الآيات عن بعضها) نسبياً عند سورتي الرحمان والواقعة، وهي طريقة تستبعد المتوقّع وتحل محلّه غير المتوقَّع، مما يُفاجِئ القارئ بما لا ينتظره حرفياً، فينشأ بذلك الغموض، ويقترب التعبير من اللغز، مما يتطلّب من القارئ بذل جهد إضافي لفهم مقاصد النص، من خلال ربط علاقات تلك العناصر ببعضها، لذا أعتمد الأمثلة التالية في التحليل، وهي أمثلة محدودة إذا ما قُورنت بمجموع العلاقات الموجودة في السورتين:

*– **المجموعة (أ):**

–قال تعالى في سورة الرحمان:

–﴿الرَّحْمَنُ﴿١﴾عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴿٢﴾خَلَقَ الْإِنسَانَ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴿٤﴾الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴿٥﴾وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴿٦﴾.

–﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴿٧﴾.

–﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴿١٠﴾.

–﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴿١٤﴾وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴿١٥﴾

أول ما يُلاحظ على العناصر ذات الظهور المشترك في الأمثلة السابقة أنها مرتبطة برابط الاسم الذي يجمعها، وهو لفظ الجلالة ﴿الرَّحْمَنُ﴿١﴾، مُبتدءاً السورة بجملةٍ اسمية، تستشرف أذن المتلقي لِما سيرِدُ من خبر(الثابت بدلالات الجملة الاسمية) المناسِب لهذا الوصف. فجاء الخبر في شكل مجموعة من الجمل المتتالية، تحتوي على العناصر:(**عَلَّمَ–خَلَقَ –عَلَّمَ–رَفَعَ–وَضَعَ**). وهي أفعال صيغتها(فعّل– فعَل) وزمنها(الماضي) مسندة إلى لفظ الجلالة.

فالعناصر الأولى (**عَلَّمَ–خَلَقَ –عَلَّمَ**) غير متعاطفة لمجيئها على نمط التعديد في مقام الامتنان(كما بيّنتها في فصل التكرار)، ويدخل في هذا المعنى لفظ "**بِحُسْبَانٍ**" ،

1 : أحمد المتوكل، المرجع السابق، ص:201.

ثم تليها أربعة أخرى(يَسْجُدَانِ–رَفَعَهَا–وَضَعَ–وَضَعَهَا) متعاطفة بحرف العطف، وجيء بالمسند فيها فعلاً مؤخراً عن المسند إليه لأجل التخصيص.

فعدم العطف بين العناصر الأولى فيه حُجج دامغة للمنكرين، الذين لا ينازعون الله تعالى في هذه الصفات، لكنهم لمّا أعرضوا عن موجبها(وهو توحيده)، «سيق لهم الخبر بها على أسلوب التعديد بدون عطف، كالذي يعد للمخاطب كثرة أخطائه وغفلته، وهذا تبكيت »[1]، وهذا الأسلوب يمكن إدراجه في قائمة الوقائع، التي يتقدّمها **العمل**، وفي كل آية يدلّ على نفس الصنف، لزيادة تقوي الحكم.

ويبدأ العطف بين العناصر الأربعة الثانية لخروج الأسلوب من التعداد إلى إيفاد الدلالة لِما في(سجود النجم والشجر ورفع السماء ووضع الأرض) من عبرة بمعرفة عظيم قدرة الله تعالى على الخلق، فهي للاتعاظ وليست للتوبيخ.

وبما أنّ هذه السورة بُنيت على نظام المزدوجات، فإنه روعي فيها تقديم الأهم على المهم من ألفاظ الدالة على العمل(بمصطلح النحو الوظيفي) الموافق لقيام الحجة وبيان السبيل، بما تقتضيه درجة الإنكار وطريقة الإقناع، وهذا الظهور المشترك للعناصر المتوافقة في العمل، «دالة على تصرفات الله ليُعلّمهم أنّ الاسم الذي استنكروه هو اسم الله وأنّ المسمى واحد »[2]. وهذا هو الحقل الذي يجمع بين العناصر(عَلَّمَ–خَلَقَ –رَفَعَ–وَضَعَ) لاشتراكها في موضوع (الخلق)الذي يعود عن لفظ الجلالة في بداية السورة، فيُمثّل بذلك بؤرة تدور حولها كل معاني الجمل(الامتنانية) بعدها، مما يتبيّن اجتماع المعجم اللغوي للآيات لأداء مهمة الربط التي تُفضي إلى الاتساق.

–المجموعة(ب)**: قال تعالى في سورة الرحمان:

– ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴿٣٥﴾.

–﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴿٣٩﴾.

– ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴿٤١﴾.

– ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴿٤٣﴾يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴿٤٤﴾.

---

1 : محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص:232.

2 : المرجع نفسه، ج27، ص:231.

الأفعال الواردة في الآيات الثلاث الأولى أفعال مضارعة مبنيّة للمجهول، تدلّ على الأمور الغيبية، ووقوعها في الزمن المستقبل بدلالة الآية السابقة ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴿٣١﴾. وهو تحذير للمكذّبين بما سيقع يوم القيامة من أنواع العذاب، فإرسال الشواظ والأخذ بالنواصي والأقدام من طرف ملائكة العذاب الموكلون بذلك، هي الصورة التي أراد القرآن الكريم نقل أذهان الناس إليها، والتركيز على هذا الفعل بلفظ المضارع الدال على العمل، فيه وعيد شديد بأن الجزاء من جنس العمل، وهو مستمرّ ما استمرّ تكذيب الناس بفضائل الله عليهم.

وفي هذه الأفعال بيان على عدم الإفلات من العقاب يوم القيامة، وهو استئناف بياني لتوضيح أن ذلك اليوم هو يوم حساب وعقاب يتوقّف فيه عمل الإنسان، لذلك جاء الخطاب بعدم سؤالهم عن ذنوبهم، فقط سيماهم وعلاماتهم التي في أجسادهم هي الدالة على أعمالهم.

ثم يستمرّ التهويل والتسفيه لهم، وبيان حالهم بالمضارع الدال على التردّد والإكثار منه. والتردّد هنا ليس كالتردّد الدنيا:

- فالتردّد في الدنيا: هو عدم قبولهم الحق، والشكّ فيه.
- والتردّد في الآخرة: هو مشيُهم بين مكان النار وبين الحميم.

يتّضح أن هذه الأفعال جيء بها للتحذير بعد تعداد نعم الله وفضائله في بداية السورة، فهي الآن في مقام بيان أهوال القيامة بذكر النار وشدائدها. وهو الحقل الذي يجمع عناصر هذه الآيات لإتمام المعنى العام للسورة، الذي يقضي بمعرفة حق الرحمان.

ومن خلال المجموع (أ) و(ب) أستنتج أنّ فضائل الله تعالى المتمثّلة في أفعال(الخلق –الرفع–الوضع–المرج...) لا ينبغي أن تُقابل بأفعال الخلق(التكذيب)لذلك خاطبهم بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ثم الذين هذا فعلهم في الدنيا يُقابلون هم أيضاً يوم القيامة بأفعال العقاب(يُرسل –يُؤخذ)، ولذلك جاءت مبنيّة للمجهول تحقيراً لهم، ولذلك فالآيات في الموضوعين تتناسق معنوياً من أول السورة إلى الآية:(44) لارتباطهم بموضوع الردّ على المنكرين.

ويتكوّن كل تضام فرعي من مجموع من الألفاظ المندرجة تحته، حيث يصبح الوصف مجالاً نشِطاً لظهور حقل جديد، على نحو ما نجده في وصف الجِنان عند قوله تعالى:

***-**المجموعة(ج)**: في سورة الرحمان:

-﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴿٤٦﴾.

-﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴿٥٠﴾.

-﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴿٥٤﴾.

-﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴿٥٦﴾.

-﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴿٦٨﴾.

-وقوله تعالى في سورة الواقعة:

-﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾.

-﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴿٣١﴾.

فتتشكّل قطعة الوصف السابقة من مجموعة من الأسماء المتضامّة التي تصفُ هذا المكان وهي:(جَنَّتَانِ- عَيْنَانِ- فُرُشٍ- قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ- فَاكِهَةٌ- وَنَخْلٌ-وَرُمَّانٌ- وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ- بِأَكْوَابٍ- وَأَبَارِيقَ- وَكَأْسٍ- سِدْرٍ-طَلْحٍ-ظِلٍّ-مَاءٍ...)، تُشير هذه الأسماء إلى علوّ المكان وسِعته وحسنه، وما به من وسائل الراحة وأنواع الأكل والفاكهة، وما يفتقده العرب كالظلّ والماء، وما يشتهيه الإنسان من شهوة. حيث يمتدّ هذا الوصف عبر السورتين بغرض التشويق، ثم يجعل القرآن لذلك شرطاً لدخول هذا المكان وهو أن يكون من أصحاب اليمين أو السابقين على تفاضلهما في الجزاء.

وفضلاً عن هذه العلاقة المكانية التي تربط المكان(وما بداخله) بأصحابه، يُقدّم القرآن الكريم علاقة أخرى بين الموصوف(الجنة) وأصحابها، وهي العلاقة الزمانية، حيث علّق ذلك بحادث يوم القيامة، وهو زمن يبدأ بانطلاق علاماته الكبرى ومنها(رجُّ الأرض وبسّ الجبال)، فتصبح القيامة رأساً لتضامّ فرعي يُسهم الوصف في بنائه ابتداءً من أول السورة على نحو

ما نجده في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴿٣٧﴾[الرحمان]. وقال: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴿٤﴾وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴿٧﴾[الواقعة].

فيتضام في ذلك الوصف مجموعة من الألفاظ هي:(انشقت–السماء–الواقعة–خافضة–رافعة–رُجّت–رجّاً–بُسّت–بسّاً–هباءً–منبثّاً–أزواجاً– ثلاثة)، تلك المحمولات التي تصف القيامة وأهوالها، تدلّ على الصّنف نفسه من الوقائع، وما يحدث في هذا الوقت من حركة الأرض والجبال وفزع الناس وتفرّقهم.

وفي هذا الوصف تظهر المحمولات مرتبطة برابط العطف(الواو–الفاء)، حيث يدلّ كلّ محمول على حادثة خاصة، مثل:(انشقاق السماء–رجّ الأرض–بسّ الجبال–هباءً منبثّاً–أزواجاً ثلاثة)، وكلّ هذه الحوادث يرتبط(ينتمي) بوقوع الواقعة التي تجتمع في حقلها الدلالي، كما أنها تُؤدي معها نفس الوظيفة، فتظهر بذلك علاقة العام والخاص التي تجمع بين هذه المواضيع.

وفي هذا السياق المكاني والزماني، تُقدّم السورتان وصفاً لجميع البشر الذين يُشرَكون لصنع أحداث ذلك اليوم، وتصنيفهم إلى ثلاثة أصناف(أصحاب ميمنة–أصحاب مشأمة–السابقون)، من خلال تقديم أوصافهم، أو أعمالهم التي عُرفوا بها في الدنيا، وهي التي تقود كلّ صنف إلى جزائه. وهؤلاء الأصناف هم:

- **السابقون**:﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴿١١﴾فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾. وقال: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴿٨٨﴾فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴿٨٩﴾[الواقعة]. حيث جاء ذكر جزائهم خاصاً.
- **أصحاب اليمين** (الميمنة): حيث قدّمت الآيات وصفاً لكل من سيدخل الجنة فقال عزّ وجل: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾[الرحمان]. وقال فيهم في سورة الواقعة: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴿٤٠﴾[الواقعة].

- **أصحاب الشمال(المشأمة):** قال تعالى فيهم :﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾[الرحمان]. وقال:﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴿٤٥﴾وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴿٤٧﴾. وقال:﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴿٥١﴾[الواقعة].

وهذه الفئة من الناس والتي تكون في جهة الشمال، توضّح الآيات عذابهم من بين ذكر صفاتهم ليكتمل المشهد عند المتلقين بأن هذه الصفات تؤدي إلى هذا العذاب. يقول تعالى في سورة الرحمان: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ . وقال:﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٤٢﴾هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴿٤٤﴾[الرحمان]. وقال في سورة الواقعة :﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴿٤٢﴾وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴿٤٣﴾لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾. وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴿٥١﴾لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴿٥٢﴾[الواقعة].

تشكّل الألفاظ المسطّرة العذاب أو بعضه، حيث كان الابتداء بالاحتواء وعدم سؤالهم عن ذنوبهم، مروراً بأنواع العذاب الأخروي، وصولاً إلى الخلود في النار(الطواف بينها وبين حميمها)، بما يضع المتلقي في موقف حرج وكأن العذاب يحويه وحده، وذلك لمجيء أنواع العذاب متتالية في صف دقيق تنفُر نفسه من مشاهده، كما يستعين القرآن الكريم في ذلك بالتشبيه والتكرار. يقول تعالى :﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴿٥٥﴾[الواقعة]. لزيادة تقرير ما للعذاب من بشاعة، وإفادة التعجيب من حالهم ممّا يبعث عن التأثير في نفس المتلقي.

إذن من خلال ما تقدّم من وصف الجنان والعذاب، يتبيّن«أنّ العلاقة وطيدة بين المكان والوصف، بوصف الأخير آلية تشكّل الأول، وتُكسبه الهوية»[1]، كما يعمل على خلق بعض العلاقات الدالة داخل النسيج النصي بما يخدم الموضوع العام في شكل متّسق معجمياً، ولكن من الملاحظ عن الوصفين الواردين(العذاب والإحسان)، «أنه جمع

1 : نقلا عن: أسماء سعود أدهام الخطاب، التقابل المكاني الأخروي في سورة الواقعة(دراسة بلاغية وصفية)، مجلة آداب الرافدين، 1428هـ-2007م، العدد46، ص:18.

العذاب جملة، وفصّل آيات الثواب ترجيحاً لجانب الرحمة على جانب العذاب، وتطييباً للقلب، وتهييجاً للسامع؛ فإنّ إعادة ذكر المحبوب محبوب، وتطويل الكلام في اللذات مستحسن»[1].

ويستمرّ التّنوّع في الحقول داخل السورتين بما يخدم التضام الرئيسي، كما نرى في آيات الامتنان، التي تحوي تعداد بدائع الله في الكون وسِرّ عظمته، بما يُنافي الكفر به، وعبادة غيره معه. يقول تعالى في سورة الرحمان:

-﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴿٢﴾خَلَقَ الْإِنسَانَ﴿٣﴾.

-﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴿٧﴾.

-﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴿١٠﴾.

-﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴿١٤﴾وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴿١٥﴾.

-﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴿١٩﴾بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴿٢٠﴾.

وقال في سورة الواقعة:

-﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴿٥٧﴾.

-﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴿٦١﴾.

وهذا شكل آخر من العلاقات المتداخلة بين مجموع الألفاظ المرتبطة في تضام فرعي، تُمثّل موضوع عجائب خلق الله تعالى وبدائع صنعه في الكون، والمتمثّلة في(القرآن-الانسان-السماء-الميزان-الأرض-الجان-البحرين-برزخ-الموت-الانشاء...)، وهذا أسلوب تواصلي يرمي إلى إثبات -قضية- صفة الرحمان وتوحيده بالعبادة، وفق نمط حجاجي يقوم على الإقناع بالحجة والبرهان، والسعي لتغيير وجهة نظر من أنكر اسم الرحمان، فتكون العناصر(القضية-البرهان) المرتبطة بهذا النمط، متضامّة مع وحدة الموضوع التي تعمل على إثباته، والتخطيط التالي يُوضح باختصار عملية الإقناع هذه:

1 : عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ-1998م، ج18، ص:345.

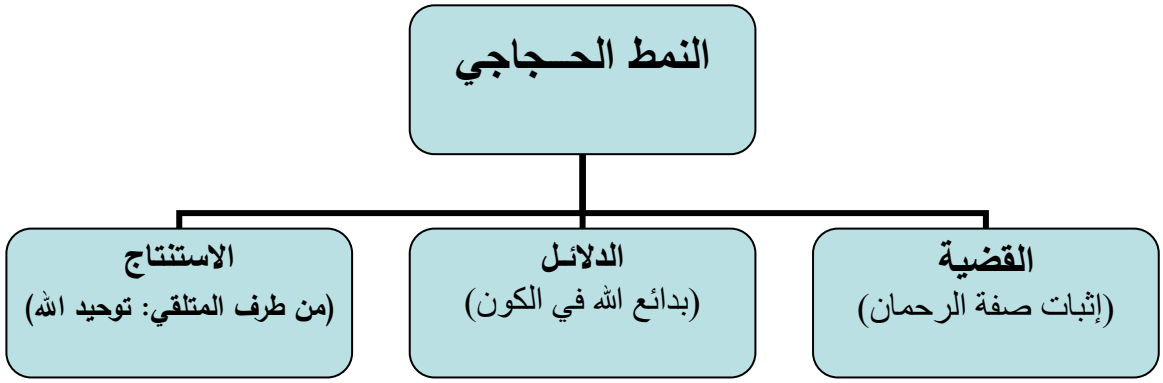

الشكل رقم(12): عملية الإقناع وفق النمط الحجاجي

والقضية –كما أشرت إليها– هي: إثبات صفة الرحمان وتوحيده بالعبادة، والدلائل في ذلك تتمثّل في معجزات الله تعالى في الكون، وهي حجج غير قابلة للإنكار تترك المتلقي في موقف المستنتج اعتماداً على قوة الاستقراء للمنجز النصي والقوة الخارجية.

حيث قدّم في هذه الآيات نعمة الدين المتمثلة في معجزة القرآن، ثم تلاه بخلق الإنسان المخاطَب به، ثم عاد فأتبعه إيّاه، «ليعلم أنه إنما خلقه للدين، وليُحيط علماً بوحيه وكتبه، وقدّم ما خلق الإنسان من أجله عليه، ثم ذكر ما تميّز به عن سائر الحيوان من البيان»[1]، ثم تواصل الآيات ذكر أصناف النعم ومختلف الآلاء، من خلق الشمس والقمر والنجم والشجر والبحر...إلخ، وكلها تمثّل مظاهر الطبيعة(بين الحيّ والمتحرّك) يُدركها المتلقي بحسّه الذاتي، عبر وصف موضوعي خارجي، يسعى للكشف عن صفات الموصوف كما هي في الواقع.

على هذا النحو يشكّل كل من التضام الرئيسي، والتضام الفرعي معجم السورتين، في صورة شبكة متداخلة من العلاقات تُسهم في بناء موضوعهما، فيُصبح التضام شكلاً من أشكال الربط المعجمي داخل النص القرآني، فضلاً عن أثره في إضفاء سمة التنوّع باختلاف الموضوع والألفاظ المتضامّة معه من سورة إلى أخرى، كما أنه يُعدّ إحدى الوسائل الهامة التي تُسهم في فتح قناة تواصل بين النص والقارئ –على اختلاف توجّهات المتلقّين– عن طريق إدخال التضام الفرعي بما يتناسب مع التضام الرئيسي وارتباطه بموضوع السورة.

1 : عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي(أبو البركات)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج2، ص:588.

IV. وظائف التضام وأغراضه البلاغية:

التضام هو ظاهرة بلاغية أدرجها العلماء ضمن باب البديع، وهو توارد لفظين معجمياً لعلاقة بينهما تحوي جملة من الوظائف والأغراض، وبعد الانتهاء من بيان أثره في تحقيق الاتساق، ألخّص وظائفه فيما يلي:

- التضام وسيلة من الوسائل الأكثر براعة في تجميع عدد من أفكار وتوسيع المفاهيم داخل نطاق النص، باعتباره وسيلة قادرة على الربط بين الألفاظ في حقول دلالية مختلفة.
- يمتاز التضام بما يسمى بظاهرة(التوارد)، وهي ارتباط ألفاظ مع أخرى معينة دون غيرها، والأكثر من هذا له القدرة على تعليق فقرات النص ببعضها، عبر ربط ألفاظه نحوياً وفق ظاهرة (التلازم)، كما يجمع بين العناصر المتقابلة التي يتضح بعضها بعلاقة التضاد أو التقابل، فيظهر النص بذلك وحدة واحدة مترابطة نحوياً ومعنوياً.
- يعتمد التضام على الجمل القصيرة والخطابات المباشرة في رصف أجزاء النص وتعليق بعضه ببعض، عبر علاقات سببية وأخرى تعارضية أو شرطية أو متشابهة أو حتى ذات روابط زمنية
- للتضام وظيفة مرجعية داخل النص، وذلك بتعليق عناصره بلفظ وارد في أوله أو متكرّر من حين لآخر(ماثل في النص)، وقد يكون اسماً ظاهراً أو ضميراً يعود على المخاطب أو فكرة ما يُدافع عنها أو وصفاً داخلياً أو خارجياً، فتكون بذلك كل أجزاء النص مجتمعة تعمل على توجيه ذهن المتلقي إليه وصرف انتباهه نحوه.
- يعمل التضام على اتساق النصوص وفق ترتيب عناصر النص وفقراته بطريقة منهجية تُكسب النص تسلسلاً منطقياً يسهل فهم معانيه.
- يعمل التضام على وظيفة الاستمرارية لمعاني النص، ممّا يُسهم في اتساقه دون تفصيلٍ مُمل.

- يعتمد التضام على أسماء الذوات، وأفعال الجوارح، وأفعال الحالة، والجمل الاسمية، والنعوت في توصيف مشاهد النص التي تتراوح بين المفتوح والمغلق والحسن والسيئ.. أو الثابت والمتحرك، حيث تُمنح الشخصيات فيها الهوية من أجل التفاعل، مما يُكسب النص حضوراً وعمقاً دلالياً، فضلاً عن كونه يُقدّم حالة من الإحساس البصري لدى القارئ، كي يتمكّن من تصوير تلك الموصوفات، فيحدث نوعاً من الترابط أو الاتصال الذهني بما تُثيره في نفسه من مشاعر.

تتداخل هذه الوظائف في النصوص لتحقيق أهداف أو أغراض معيّنة، مثل:

-توجيه المرسل إليه إلى قضية هامة، من خلال تتبّع الأسباب والمظاهر.

-حمل المخالفين على تغيير آرائهم.

-وظيفة الكلام في هذا النوع من الربط توجيهية تأثيرية.

-ومن أغراضه أيضاً الإقناع والغاية منها تغيير رأي السامع وإقناعه بما يُلقى عليه.

-رسم الصور وإيهام المتلقي بمطابقتها الواقع، لِما فيها من دقة التصوير وتعدد الثنائيات واعتماد النعوت...الخ.

V. قائمة بأنواع التضام في سورتي الرحمان والواقعة وأغراضه البلاغية:

استئناساً ببعض الدراسات السابقة وكتب التفسير، واعتماداً على قراءتي الخاصة تمكّنت –بفضل الله وتوفيقه– من جمع عدد معتبر من ألفاظ التضام في سورتي (الرحمان والواقعة)، وقد رتّبتها في هذا الجدول، وهي ليست على سبيل الحصر، بل من الممكن أن تُضاف إلى هذه القائمة ألفاظاً أخرى لوجود الخلاف في تفسير معناها.

أولاً: التقابل:

الرقم	التقابل	نوع الألفاظ المتقابلة	السورة / الآية	الغرض
1	الأولين– الآخرين	اسم-اسم	الواقعة[13-14-39-40]	القدرة على جمع الخلق.
2	السماء– الأرض	اسم–اسم	الرحمان[7-37-10-29-33]	تبيان آيات الله في الكون
3	الشمس– القمر	اسم-اسم	الرحمان[5]	تبيان آيات الله في الكون
4	المشرقين– المغربين	اسم-اسم	الرحمان[17]	بيان سعة ملكه تعالى
5	الميمنة– المشأمة	اسم-اسم	الواقعة[8-9]	تصنيف العباد يوم القيامة
6	النجم–الشجر	اسم-اسم	الرحمان[6]	آيات الله في الكون
7	اليمين– الشمال	اسم-اسم	الواقعة[27-41]	مكانة المؤمنين والكفار يوم القيامة
8	تصدّقون– تكذّبون	فعل-فعل	الواقعة[57-82]	إقامة الحجة
9	ثلة من الأولين– قليل من الآخرين	جملة اسمية-جملة اسمية	الواقعة[13-14]	الأولين وأسبقيتهم في الدخول إلى الجنة
10	جهنم– جنتان	اسم-اسم	الرحمان[43-46-62]	العقاب والإحسان
11	خافضة– رافعة	اسم-اسم	الواقعة[3]	توضيح حقائق الخلق(المكانة والشأن)
12	رفعها– وضعها	فعل-فعل	الرحمان[7-10]	قدرة الله في بسط الأرض ورفع السماء
13	فان– يبقى	اسم-فعل	الرحمان[26-27]	عظمة الخالق وضعف المخلوق
14	في سدر مخضود– في سموم وحميم	شبه جملة	الواقعة[28-42]	موطن أهل الجنة وموطن أهل النار

ثانياً: الارتباط بموضوع معيّن: المجموعات الثلاث الأولى ألفاظ مرتبطة بنفس الموضوع في سورة الرحمان، والثلاثة الأخرى في سورة الواقعة، وعليه فكل سورة تكون بها ثلاثة حقول:

الرقم	الألفاظ المرتبطة بموضوع واحد	نوعها	حقلها
01	القرآن–الانسان–الشمس–القمر–السماء–الأرض–النجم–الشجر–الميزان–الفاكهة–النخل–الحبّ–الجان–المشرقين–المغربين–برزخ–اللؤلؤ–المرجان–الجوارالمنشآت–البحر.	أسماء	الحقل الدال على بدائع الله في الكون
02	عينان–فاكهة–فرش–جنتين–قاصرات الطرف–إحسان–نخل–رمان–رفرف	أسماء	الحقل الدال على النعيم
03	جهنم–شواظ–حميم	أسماء	الحقل الدال على العذاب
04	جنات–سرر موضونة–ولدان مخلدون–أكواب–أباريق– كأس من معين –فاكهة–لحم طير–حور عين– سدر مخضود–طلح منضود– ظلّ ممدود – ماء مسكوب–فاكهة كثيرة–سلام – روح – ريحان	أسماء وجمل اسمية	الحقل الدال على النعيم
05	سموم–حميم–ظلّ من يحموم – زقوم–جحيم	أسماء	الحقل الدال على العذاب
06	الخلق–الإمناء–الموت–الإنشاء–النار–الشجر–الزرع–الماء–المزن–القرآن–الأرض–الجبال	أسماء	الحقل الدال على بدائع الله في الكون

من خلال ما تقدّم عرضه من بيان أثر التضام في تحقيق الاتساق النصي داخل نص سورتي الرحمان والواقعة، وبعد إتمام عملية الإحصاء وبيان نسبة توزيع كل نوع، أستنتج ما يلي:

– لا تقتصر وظائف الارتباط بموضوع معين على الربط داخل ال موضوع الواحد فقط، بل تتعداه إلى الربط بين المواضيع المتشكّلة لنص السورتين، كما يشكل كل موضوع حلقة من حلقات هذا النص.

– اختلاف نسبة توزيع وسيلتا التضام(التقابل والارتباط بموضوع معين)داخل نص سورة الرحمان والواقعة، فقد حظيت السورتان على نفس النسبة من العلاقات المتقابلة، مما يبيّن شدة الإلحاح والرغبة في إقناع المخالفين، أما الارتباط بموضوع معين فهو يشكل أعلى نسبة ورود في السورتين، وأكثر الكلمات ارتباطاً بحقول دلالية ثلاث تتراوح بين إقامة الحجة وموضوع الوعد والوعيد، فهو النوع الأكثر تأثيراً في تضام الآيات وتعالق ألفاظها.

– يُشير معدّل استخدام وسيلتا التضام في السورتين وتنوّعها بين أشكال التضاد وأشكال الارتباط إلى الأبعاد التعليمية التي ارتبطت بنص القرآن الكريم، وحرصه على إبراز دور المعجم ودلالاته في بناء حجج وبراهين لمحاورة هؤلاء المنكرين.

- وسيلتا التضام لا ترتبطان فقط بقدرة اللغة على التنويع في استخدام هذه الوسائل. بل تشير أيضاً إلى دورهما في بناء النمط الحجاجي الذي تمتاز به السورتان، وذلك من خلال تواصل الآيات في ذكر نعم الله تعالى وآلائه في الكون، و الاعتماد على الوصف المتتالي لمظاهر الجزاء الأخروي، ممّا يُسهم في اتساق البناء العام للنص وسهولة تعلُّقه بذهن القارئ، من خلال ارتباط عناصره بنفس الموضوع.

– ظاهرة التضام هي ظاهرة لغوية عرفتها اللغة العربية في أقدم نصوصها الشعرية والسردية، وقد تناثرت أقوال في الحديث عنها وإشارات إليها في كتب القدماء والمحدثين.

– إن اعتماد البنية النصية لسورتي الرحمان والواقعة على النوع الثاني للربط المعجمي (التضام) في سياقات مختلفة، أسهم في اتساق النص وتكامل مقاطعه الوصفية والحوارية والحجاجية، ذلك بوصفه طريقاً مفتوحة بالنسبة إلى القارئ يحاور نصه ويؤوله انطلاقاً من معرفته الخلفية ورؤيته للعالم.

- يحاول القرآن الكريم من خلال التضام التأثير في نفسية المتلقين، من خلال تناوله الجانب المادي تعداداً وتوصيفاً، وقد كشفت عن ذلك الألفاظ التي اتسمت بنسبة عالية من الشيوع في الموضوع المادي الدنيوي(بدائع خلق الله من سماوات وأرض وشمس وقمر...)

والأخروي(جزاء الجنة والنار)، عكست مدى نجاح الوصف في تحقيق الوظيفة الإيهامية التي تجعل من الموصوف مطابق للواقع، كما يبرز في هذا الوصف أسماء الأصناف، وأفعال الجوارح، وأفعال الحالة، والجمل الاسمية والنعوت(أي وصف سلوك الناس أفعالهم وحركاتهم في مستقرّهم الأخير، الجنة أو النار).

– اعتماد السورتين على أسلوب المقارنة، القائم على الوصف الدقيق لمشاهد الجنة والنار(وهما مشهدان متقابلان)، يُساعد على تنوع المواضيع وتعددها وارتباطها في صورة متّسقة، تعمل على التأثير في المتلقي.

الخاتمة

سيظل القرآن الكريم المعين الذي لا ينضب بالدلالات والمعاني المتجددة والتي يسعى الباحثون على اختلاف مشاربهم يبحثون عنها، ويستنطقون هذا النص المقدس بكلّ حذر وشغف، متتبعين المناهج اللسانية للتحليل وعلى قدر كاف من علم التفسير، وقد حاولتُ بدوري في هذا البحث أن أُقدّم قراءة لغوية تحليلية لنص القرآن الكريم، متخذا من سورتي الرحمان والواقعة أنموذجاً في ذلك، مستعيناً بإجراءات علم نحو النص والمنهج الوصفي الوظيفي، لأتمكّن من استكشاف أثر الربط المعجمي في إحداث الاتساق داخل نص سورتي الرحمان والواقعة، وعليه فقد توصّلتُ إلى النتائج التالية:

1. لا تحليل للنص إلا بمنهج علمي واضح المبادئ والأسس، يعمل على توحيد المصطلح، ويجمع بين التراث والحداثة باعتبار الرؤية المنصفة، ممّا يُغني البحث العلمي ويُؤثّر في نتاجه، والمنهج الوظيفي –حسب قراءتي للنص القرآني من خلاله–يعمل على تحقيق ذلك باعتماده الوصف في التحليل (وصف البنية اللغوية)، وهو وظيفي في الوقت نفسه لأنه يُبيّن الوظيفة التي تؤديها البنية اللغوية.
2. لكلّ لسان خصائصه، ومن خصائص اللسان العربي أن للّفظ دلالة متجدّدة بتجدّد السياق، ووظيفة خاصة نصّية داخل الوظيفة العامة التواصلية للنص، وهي البنية الأساسية المكوّنة لأجزائه.
3. إنّ كلّ متتالية من الجمل تشكّل نصاً، شرط أن يكون بين هذه الجمل علاقات، تتمُّ هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة تؤدي مجتمعة وظيفة نصية وتواصلية ضمن النص الأكبر، وعليه فالنص إنتاج مترابط متسق ومنسجم وليس رصفاً اعتباطياً للكلمات والجمل وأشباه الجمل.
4. النص هو مجموعة من الأحداث الكلامية التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي ومتلقٍ له، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بمضمون الرسالة، وموقف اتصالي يتحقق فيه التفاعل،

كما أنه نسيج من الكلمات المرتبطة مع بعضها البعض، وفق علاقات نحوية ومعجمية وتركيبية وصرفية لتأدية غرض أو غاية ما.

5. لقد تمَّ توسيع مفهوم النص من خلال مفهوم الاتساق الذي ليس له طبيعة نحوية فحسب، بل يتضمن في الوقت نفسه جوانب تتعلّق بموضوع النص وجوانب دلالية، ويرتكز الاتساق على أساس دلالي محوري مجرّد للنص.
6. الاتساق هو التلاحم والتعالق بين أجزاء النص داخل السياق الواحد، وتناغم بين البنى المختلفة وظروف إنتاجها ودلالتها، والتي تحقق للنص وجوده واستقلاليته ووظيفته العامة المناطة به، وسورتا الرحمان والواقعة مثال رائع يحتذى به في سلوك هذا الأسلوب، فهو يقيم علاقة لفظية بين عناصرها المكونة لأجزائها، وعلاقة معنوية بين آياته وموضوعاتها، كما يسهم في ربط أجزاء تلك الموضوعات بما يقابلها في السورة الأخرى لخدمة الموضوع العام للقرآن الكريم.
7. يعتمد اتساق النصوص على ظواهر الربط المعجمي من تكرار وتضام في إحداث تماسك عناصر النص، وترابطها في شبكة من العلاقات المعجمية والأنظمة العلامية الأخرى.
8. يُعد أسلوب الربط المعجمي الذي يعتمد على التكرار والتضام من أكثر الأساليب انتشاراً في نصوص اللغة العربية، والنص القرآني أقوى مثال على ذلك؛ إذ يتداخل مع جميع الأساليب النحوية والبلاغية الثابت منها والمتغير لإحداث التأثير وتحقيق الغاية.
9. يُعد اتساق النص من الاتجاهات الحديثة التي تهتم بدراسة النصوص اللغوية في مختلف أشكالها، وذلك بالاعتماد على القراءة الوصفية للعلاقات التي تجمع بين عناصر النص وتراكيبه (السطحية)، باعتمادها على البنى المتكررة (المتشابهة) أو المتنافرة.
10. تعنى أدوات الربط النحوية والمعجمية بالربط بين أجزاء النص وجُمله المتعددة، والعمل على التأليف بينها حتى تصبح نصاً واحداً متّسقاً.

11. ظاهرة التكرار والتضام ظاهرة لغوية عرفتها اللغة العربية في أقدم نصوصها الشعرية والسردية منها، وقد تناثرت أقوالٌ في الحديث عنها وإشارات إليها في كتب القدماء والمحدثين، ونالت بعضاً من الدرس الموجز أحياناً، والمفصل أحياناً أخرى.
12. إنّ اعتماد البنية النصية لسورتي الرحمان والواقعة على وسيلتي الربط المعجمي(التكرار والتضام) في سياقات مختلفة، أمر يُسهم في إحداث الاتساق بين الآيات، وتكامل مقاطعها الوصفية والسردية والحجاجية ، ذلك بوصفه طريقاً مفتوح ة بالنسبة للقارئ يحاور نصه ويؤوله انطلاقا من معرفته الخلفية(وفي مقدمتها المعرفة الشرعية) ورؤيته للعالم.
13. على الرغم مما أثاره أسلوب التكرار من جدال حول جدواه إلا أنه اليوم يعد أحد وسائل الربط المعجمي المساهمة في تماسك النصوص واتّساقها، وقد ورد في أقدم النصوص العربية، ووظفه الشعراء والكتاب لأغراض بلاغية مختلفة، وبه نزل القرآن الكريم، ذلك النص المعجز في لفظه ونظمه ومعناه، مما يتبيّن أهمية هذه الظاهرة اللغوية في أصلها، وما تحمله من دلالات كبيرة مؤدية وظائف رئيسية كالتوكيد والتشويق والتنبيه والتنويه.
14. التكرار ظاهرة بلاغية ونصية بالدرجة الأولى، لذلك نأى عنه الصرفيون لأن مدار بحثهم اللفظة منفردة، والنحويون لم يتناولوه إلا من باب التوكيد اللفظي والمعنوي.
15. تنوعت وتوزعت نسب ورود أشكال التكرار في السورتين تنوعا حسب السياق الحجاجي والوصفي، ممّا يُسهم في نسج أجزاء النص وتعليق بعضها ببعض، وجعل القارئ في جوّ النص عبر تلبية رغباته النفسية.
16. امتازت السورتان بتوظيف التكرار بأشكاله الأربعة، تميّزاً يثبت جدوى وأهمية هذه الوسائل المعجمية في إحداث الاتساق داخل النص القرآني، ولعلّ ما اتّسمت به سورة الرحمان من تكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. جعلها تحضى بتسمية عروس القرآن، تشبيها لها بما يكثر على العروس من أدوات الزينة والجمال، وهو تكرار لافت بلغ عدده

واحداً وثلاثين مرة بشكل تتمركز حوله المعاني الرئيسية للسورة في إقامة المولى–عز وجل– حججه بذكر نعمه على عباده في كل تعقيب بعد ذكر الآية والنعمة.

17. التكرار ظاهرة لغوية تميّزت بها سورتا الرحمان والواقعة، وقد مثّلتاه بأنواعه المختلفة(التكرار المباشر والتكرار الجزئي والاشتراك اللفظي والترادف) لتحقّق بُعداً جمالياً ودلالياً.

18. يمتاز أسلوب التضام بالقدرة على التأثير في نفسية المتلقي، وقد استخدمه القرآن الكريم في سورتي الرحمان والواقعة بكثرة فاقت باقي أبواب البديع، بحيث ساعد –بأشكاله المتنوعة– في قولبة موضوع السورتين المتمحور حول إقامة الحجج على العباد في هذا الكون، وذلك ببيان قدرته–تعالى–وآلائه المختلفة بدءاً من خلقهم ووصولا إلى حشرهم ومحاسبتهم.

19. يُشير معدل استخدام وسيلتا التضام في السورتين وتنوعها بين أشكال التضاد وأشكال الارتباط بموضوع معين إلى الأبعاد التي ارتبطت بنص القرآن الكريم، وحرصه على إبراز دور المعجم ودلالاته في بناء حجج وبراهين لمحاورة هؤلاء المنكرين .

20. يُساعد التضاد على عقد الموازنات والمقارنات المختلفة، كما تبدو جليّةً المقارنة بين أهل الجنة وأهل النار في موضوع السورتين، مما يسهم في بناء صورة عامة للآيات المتقاربة أو المتباعدة، ومنه قيام نص متكامل يسعى للإقناع؛ إذ أن للتضاد أثر في بيان معنى اللفظ القرآني وتوجيه أقوال المفسّرين، وبه يمكن طرح احتمالات للمعاني التي قد تكون بعيدةً عن المقصد الذي يريده النص القرآني أو اللفظ القرآني.

21. تظهر أنواع كثيرة من المقابلات والمتضادات في سورة الرحمان، منها : مقابلة من حيث العدد، ومقابلة من حيث المعنى ومقابلة في النوع، والجنس، والضد، والنظير، وقد ظهرت المقابلة فما يلي:

أ -المقابلة بين الآيات الكونية، حيث المقابلة بين الشمس والقمر والنجم والشجر، ورفع السماء ووضع الميزان، ووضع الأرض للأنام، والمقابلة بين أنواع النبت والثمر في الأرض والمقابلة بين المشرقين والمغربين... إلخ.

ب -المقابلة بين آيات الخلق، حيث خلق الإنسان وخلق الجان، ومادة الصلصال ومادة النار.

ج -المقابلة بين الآيات المتعلقة بالحديث عن الآخرة، حيث المقابلة بين عذاب أهل النار ونعيم أهل الجنة، والمقابلة بين صفات العذاب مثل: النواصي والأقدام، والمقابلة بين أنواع النعيم مثل: الجنتان الأوليان والجنتان الأخريان.

-هناك ترابط بين هذه المتقابلات يظهر من خلال السياق القرآني.

22. إن المعرفة الخلفية (التفسير) لنص القرآن الكريم تسهم بشكل فعّال في إذكاء العلاقة بين القارئ والنص، وبالتالي تفتح له قناة التواصل تمكنه من تحديد الفهم الصحيح لمعنى الآيات، كما تُمكّنه من كشف أسرار إعجازه اللغوي، ومنه يأتي الحكم على اتساق سوره وآياته من خلال التحليل الذي يقوم على فهم العلاقة القائمة بين عناصره ووحداته المختلفة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، لجنة البيان العربي، القاهرة–مصر، (د.ط)، (د.ت).
2. إبراهيم بن السَّري (الزجاج)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ط1، 1408هـ–1988م.
3. ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، (د.ت).
4. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تع: عبد الرحمان بن ناصر البرّاك، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض–السعودية، ط 2، 1429هـ–2008م.
5. أحمد بن فارس بن زكريا(أبو الحُسين)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسُنن العرب في كلامها، تع: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1418هـ–1997م.
6. أحمد بن فارس بن زكريا(أبو الحسين)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ–1979م.
7. أحمد عفيفي، نحو النص(اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة، ط1، 2001م.
8. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 1405هـ–1985م.
9. أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 1986م.
10. أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية(الوظيفة المفعول في اللغة العربية)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء–المغرب، (د.ط)، 1987م.
11. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة–مصر، ط5، 1998م.

12. أحمد مداس، لسانيات النص(نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري)، عالم الكتب الحديث، القاهرة، ط1، 2007م.
13. الأزهر الزناد، نسيج النص(بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)، المركز الثقافي العربي، الحمراء–بيروت، ط1، 1993م.
14. برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (د.ط)، 1415هـ–1995م.
15. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء–المغرب، (د.ط)، 1994م
16. جار الله أبو القاسم محمود بن عُمر الزمخشري، المفصل في النحو، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، 2003م.
17. جلال الدين السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ط2، 1398هـ–1978م.
18. جلال الدين السيوطي، الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة–مصر، ط1، 1424هـ–2003م.
19. جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تع: محمد أحمد جاد المولى بك، دار التراث، القاهرة–مصر، ط3، (د.ت).
20. جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية لكلام العرب نظريةً وتطبيقاً(دراسة بنيوية)، توزيع مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية– مصر، 1995م.
21. جمال الدين ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 2005م.
22. جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت–لبنان، (ط1)، 1300هـ.
23. جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1998م.

24. الحسين بن أحمد الزَّوزَني(أبو عبد الله)، شرح المعلقات السبع، تق: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط2، 1425هـ–2004م.
25. خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1، 1430هـ–2009م.
26. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات العامة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000م، (د.ط).
27. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت–لبنان، (د.ط)، 1982م.
28. رضي الدين الاستراباضي، شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ– 1992م.
29. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
30. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيحي، القاهرة، ط1، 1996م.
31. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، إشراف: محمد جميل، دار الفكر للطباعة والتوزيع، بيروت– لبنان، 1424هـ– 2003م.
32. شكري عيّاد، اللغة والإبداع(مبادئ علم الأسلوب العربي)، انترناشيونال بوس، القاهرة، ط1، 1988م.
33. صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2004م.
34. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000م.
35. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط 14، 2000م.
36. صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت–لبنان، ط1، 1429هـ–2008م.

37. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان، (د.ط)، (د.ت).
38. ابن طباطبا، عيار الشعر، مر: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (د.ط)،1982م.
39. عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي(أبو البركات)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، ط1، 1430هـ–2009م.
40. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان بن مُعلاّ اللويحق، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط1، 1424هـ–2003م.
41. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: علي أبو رقية، موفم للنشر، الجزائر، (د.ط)، 1991م.
42. عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة –مصر، ط4، 2001م.
43. عثمان بن جني (أبو الفتح):
– الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط 2، (د.ت).
– الخصائص، تح: عبد الحميد هداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1424هـ–2002م.
44. عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ط 2، 1407هـ–1986م.
45. عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، تق: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ط1، 2007م.
46. علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تق: إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1400هـ.
47. علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، الأردن، ط2، 1414هـ–1993م.

48. علي الحمد المحمد الصالحي، الضوء المنير على التفسير، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض–السعودية، (د.ط)، (د.ت).
49. علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان–(د.ط)، 1985م.
50. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعارف، لبنان، (د.ط)، 1982م.
51. عمر بن بحر الجاحظ(أبو عثمان)،
– البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط4، 1975م.
– البيان والتبيين، شرح: حسن السندوبي، دار الفكر، بيروت–لبنان، (د.ط)، (د.ت).
52. عمر بن عثمان بن قنبر(سيبويه)، الكتاب، تع: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ–1999م.
53. عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ–1998م.
54. فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان، ط1، 2004م.
55. الكلاعي، إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، تح: محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985م.
56. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تع: أبو الوفاء الحوريني، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2004م.
57. محمد بن ابراهيم الحمد، فقه اللغة (مفهومه وموضوعاته وقضاياه)، دار ابن خزيمة، الرياض–السعودية، ط1، 1426هـ–2005م.
58. محمد بن أحمد القرطبي(أبو عبد الله)، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط1، 1427هـ–2006م.
59. محمد أحمد المحلي وعبد الرحمن السيوطي، تفسير الجلالين، دار القرآن الكريم، لبنان، ط1، 2007م.

60. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الرشيد للكتاب، باب الوادي- الجزائر، (د.ط)، 2003م.
61. محمد الألوسي، روح المعاني، دار الفكر، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1403هـ.
62. محمد الأمين بن عبد الله الأُرميُّ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مر: هاشم محمد علي مهدي، دار طوق النجاة، بيروت-لبنان، ط 1، 1421هـ-2001م.
63. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة-مصر، ط1، 1422هـ-2001م.
64. محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2003م.
65. محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1991م.
66. محمد بن السراج البغدادي، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط3، 1417هـ-1996م.
67. محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ط1، 2001م.
68. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1984م.
69. محمد بن عبد الله بن مالك، ألفية ابن مالك في النحو والصرف، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 2000م.
70. محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1987م.
71. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السّتار أحمد فرّاج، مطبع حكومة الكويت، الكويت، (د.ط)، 1385هـ-1965م.
72. محمد مفتاح، التشابه والاختلاف(نحو منهجية شمولية)، المركز الثقافي العربي، لبنان-المغرب، ط1، 1996م.

73. محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة، دار النهضة العربية، بيروت –لبنان، (د.ط)، 1408هـ–1988م.
74. محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، (د.ط)، (د.ت).
75. محمود بن حمزة الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1406هـ–1986م.
76. محمود سليمان ياقوت، علم الجمال اللغوي، دار المعرفة الجامعية، مصر،(د.ط)، 1995م.
77. محمود بن عُمر الزمخشري(جار الله أبو القاسم)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض–السعودية، ط1، 1418هـ–1998م.
78. محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير، دمشق–سوريا، ط7، 1420هـ–1999م.
79. مساعد بن سليمان بن ناصر الطّيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1422هـ.
80. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسبوري، صحيح مسلم، شرح: محي الدين النووي، دار ابن الهيثم، القاهرة–مصر، ط1، 2003م.
81. نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط 13، 2004م، ص:270.
82. ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الاتحاد العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
83. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (د.ط)، 1981م.
84. وهبة مجدي، معجم مصطلحات الأدب، مطبعة لبنان–بيروت، (د.ط)، 1974م.
85. ابن يعيش، شرح المفصّل، إدارة الطباعة المنبرية، مصر، (د.ط)، (د.ت).

الكتب المترجمة:

86. ج.يول و ج.براون، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني و منير التريكي، دار النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط)، 1997م.
87. جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، ومر: عبد الجليل ناظم، دار توباق للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1991م.
88. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418هـ- 1998م.
89. روبرت ديبوجراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، إعداد مركز نابلس للكومبيوتر، مطبعة دار الكتاب، ط1، 1992م.
90. سعيد حسن بحيري، إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة (مقالات مترجمة)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008م.
91. فان دايك، النص والسياق(استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، لبنان- المغرب، 2000م.
92. فان دايك، علم النص(مدخل متداخل الاختصاصات)، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001م.
93. فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: صالح فاتح الشايب، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض-السعوية، (د.ط)، 1997م.
94. كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص(مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005م.

الرسائل الجامعية:

1. ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق(رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها)، م إ: معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1424هـ.
2. محمود بوستة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2008هـ-2009م.

3. يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي،(رسالة دكتوراه في اللسانيات الوظيفية الحديثة)، م إ: قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، 2005-2006م.
4. يوسف العايب، المتعاليات النصية في أدب السجود والمعتقلات في الجزائر، رسالة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، م إ: قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، 2011-2012م. (مخطوطة).

المجلات والدوريات:

1. أسماء سعود أدهام الخطاب، التقابل المكاني الأخروي في سورة الواقعة(دراسة بلاغية وصفية)، مجلة آداب الرافدين، 1428هـ-2007م، العدد46.
2. زكريا علي محمود الخضر، أسلوب المقابلة في سورة الرحمان وأثره في المعنى، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، ج7، العدد (أ-ب)، 1432هـ-2011م.
3. سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري(دراسة في قصيدة جاهلية)، مجلة فصول (مجلة علمية محكمة تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب)، العددان الأول والثاني، 1991م.
4. عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، مجلة المبرز، العدد2.
5. مازن الوعر، نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مجلة الموقف الأدبي، العدد385.

مصدران باللغة الأجنبية:

1. A.S.Hornby.Oxford Advanced Learners Dictionary. Edition: Oxford press. Seventh Edition. D2008.
2. Robert Micro, Alin Roy et autres . dectionnaire le Robert . Paris. Montréal canada, 2eme edition,D1998.

فهرس الأشكال

الرقم	العنوان	الصفحة
01	بنية النحو في تطبيق قواعد الأساس وقواعد إسناد الوظائف وقواعد التعبير	11
02	أثر تكرار الآية في ربط معاني سورة الرحمان	62
03	محورية الجملة في سورة الرحمان	63
04	نموذج التحليل وظيفي لمقطع مكرّر جزئياً	73
05	التحليل الوظيفي لمقطع مكرر جزئيا	75
06	تفاعل البنى اللغوية	86
07	دائرة نسبية توضح نوع المكرر وتوزيعه في سورتي الرحمان والواقعة	95
08	دائرة نسبية توضح أنواع التكرار وتوزيعه في سورتي الرحمان والواقعة	96
09	العلاقة بين القرائن الداخلة تحت عنوان التضام	105
10	نظام العلاقات البنائية السنتاجمية	107
11	المعادلة الشعورية المُدركة من خلال صور التقابل	120
12	عملية الإقناع وفق النمط الحجاجي	130

فهرس

الموضوعات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول: مفهوم النص وآليات اتساقه	
I - من الجملة إلى النص	8
1 مفهوم الجملة	8
2 أنواع الجملة	13
II - مفهوم النص	16
1 - لغةً	16
1.1 - مفهوم النص في المعاجم العربية	16
2.1 - مفهوم النص في المعاجم الأجنبية	18
2 - اصطلاحاً	19
1.2- مفهوم النص في الدراسات اللغوية العربية	19
2.2- مفهوم النص في الدراسات الحديثة	21
III - نحو النص المفهوم والأهداف	28
1 - مفهوم نحو النص	28
2 - أهداف نحو النص	30
IV - الاتساق النصي	31
1- مفهوم الاتساق	32
1.1 -لغةً	32
2.1- اصطلاحاً	33
2- وسائل الاتساق	39
1.2- الربط المعجمي	39
2.2- الربط النحوي	40
3.2- الربط الصوتي	46
ملخص الفصل الأول	49

الفصل الثاني: أثر التكرار في اتساق النص القرآني	
I. تمهيد	52
II. مفهوم التكرار	52
1 - لغةً	52
2 - اصطلاحاً	53
1.2 التكرار في الدراسات العربية القديمة	53
2.2- التكرار في الدراسات الحديثة	56
III. أنواع التكرار	57
1 - التكرار المباشر	57
2 - التكرار الجزئي	70
3 - الاشتراك اللفظي	80
4 - الترادف	84
IV. وظائف التكرار وأغراضه البلاغية	88
1 - أغراض التكرار	88
2 - وظائف التكرار النصية	94
V. قائمة بأنواع التكرار في سورتي الرحمان والواقعة وأغراضه البلاغية	90
الفصل الثالث: أثر التضام في اتساق النص القرآني	
I. تمهيد	100
II. مفهوم التضام	101
1 - لغةً	101
2 - اصطلاحاً	102
III. أنواع التضام	107
1 - التقابل	107
2 - الارتباط بموضوع معين	121
IV. وظائف التضام وأغراضه البلاغية	131
V. قائمة بأنواع التضام في سورتي الرحمان والواقعة وأغراضه البلاغية	133
الخاتمة	138
قائمة المصادر والمراجع	144
فهرس الأشكال	154
فهرس الموضوعات	155